

ما بال فؤادٍ منذُ التقينا وهو يرفرفُ خجلًا كأنما وجدَ محرابهُ الضائع.

والتقينا

رواية

ندى معدوح

ممسيت بتهودة الهوى
لمصفاة بيل

des:israaadel

والتقينا

ندى ممدوح

إهداء (إلى رفيقة الروح، وشطر القلب)

إلى التي حياتي بدونها ليس لها طعم

وقلبي دونها حزينًا، فارغًا، مقفرًا، موحشًا وحشة

القبور

إلى رفيقة الدمعات، والضحكات، والبسمات

من شاركتني الحزن قبل الفرح

وكانت سندًا وقت الضعف

عجز قلبي عن وصف ما يكنه الفؤاد لك يا من

شُغف فؤادي بحبها، واحتلت سويداء القلب

برقتها، إلى (إسراء) التي رزقتني الله بوجودها

وحبها، أهديك كلماتي التي لن تفيكِ قدرك، فقدرك

لا يعادله كلام يا كنز قلبي، وفرحة عمري، ومهجة

فؤادي، كوني بخير ليصبح قلبي بخير، ليت

بأمكناني محو كل أحزان قلبك وأبدلها سعادة، لكن
صبرًا يا مهجتي فإن الله رحيم، واللقاء قريب،
تبسمي يا ذات البسمة الرائعة فإن بسمتك هي
شمسٌ تشرق في سماء قلبي.

المقدمة

بدون موعد كان لقاءنا
لقاء أنار قلوب العاشقين بالضياء
وبدون موعد كان الفراق
فراق شنت أفئدة المحبين
قد نعود يوماً وتلتقي دروبنا
وقد لا تتلاقى ولا نعرف بعضنا
لكن سيظل الحب الذي عشناه يوماً
متشبعاً بين جوانحنا حتى الممات

والتقينا

1_ أول لقاء.

نِسْمَةٌ رِيحٌ طَيِّبَةٌ هَلَّتْ، بَارِدَةٌ مُنْعِشَةٌ تَتْرَعُ فُؤَادِ
 المرءِ بالسُرورِ والانتعاشِ، تطايرِ على إثرِها
 وريقاتُ الشجرِ اليابسِ التي تساقطتْ فوقَ الأرضِ،
 زقزقةَ العصافيرِ تطربُ الأذانِ وهي تحومُ حولِ
 إحدى المساجدِ، الشمسُ لم تتكبدِ عنانَ السماءِ،
 لكن ضوءَ الصباحِ ملاً الأفقِ بلونٍ جميلٍ مريحٍ
 للنفسِ.

برز شاب على أسكفة المسجد، يرتدي حذاءه الامع
 السواد، ولسانه يُردد بخشوع بعض الأذكار،
 وانتصف واقفاً وقد أسبل جفناه ملتقطاً نفس عميق
 من هواء الصباح مالياً به رنتيه، وزفره بتمهل،
 ولسانه لا ينفك عن ذكر الله، وعبر باب المسجد

بخطوات هادئة رصينة، ثم أوقفه صوت طفلٍ

صغير يقبل من داخل المسجد، صائحًا :

_ أخي بلال، انهاردة في تسميع؟

فأفتر محياه الأسمر عن بسمه رائعة، وهو يومًا

برأسه قائلاً بوجهه الصبوح :

_ طبعًا يا عمرو في موعدنا، فأحفظ حلو وإلا ...

فضحك الصغير، وهو يقول مداعبًا وقد كان خفيف

: الظل، حلو الدعابة :

_ بلال، يا أخي وإلا إيه؟.. أنت مش بيهون عليك

ترعق حتى فينا، هقعده احفظ انا والعيال لحد ما

تيجي.

_ تمام يا عمرو، وبلاش مشاغبة.

انصرف بلال متوجهًا إلى سيارة لقمة عيشه،

واستقلها وهو يذكر الله بصوتٍ مسموع، وأدار

محركها منطلقًا بها، وهو يدعو الله التوفيق، وفتح
باب الرزق من أجل عائلته التي يعولها، لم يكن
عمله كسائق لأنه فاشل حاشاه..

لقد تعب وكد حتى حصل على شهادة الهندسة لكن
بدون واسطة في هذا الزمن يجعل المرء مركونًا
على رف النسيان والأهمال، فلم ييأس وها هو ذا
راضيًا بما كتبه الله له، المهم هو راحة النفس،
ورضى القلب، ودون ذلك فلا يهم.

♥ سبحان الله ♥

(بصي يا ماما، مش دي إسراء اللي بتيجي على
التلفزيون؟)

هتف بها طفلاً صغير مهلاً داخل ذلك النادي
 الشهير في قلب القاهرة، واستقبلت النجمة (
 إسرائء) الهتاف بفرحة غامرة وهي تبسم بإشراق
 له، فسارت نحوه وهي ترفع نظارتها فوق رأسها
 الأسود الحريري المنسدل بنعومة فوق ظهرها، أنفها
 دقيق رقيق صغير، وجهها مستدير منير كالقمر،
 عيناها واسعتان براقتان تظللهما رموش سوداء
 طويلة، أمّا لونها فها سر جمالها، فقد كانتا
 بنيتين لامعتين على الدوام.

قدها نحيف، وقامتها قصيرة لم ينقصان من
 جمالها البراق شيء، سلّمت على الصغير وعانقته
 بمودة، وصافحت والدته وألتقطت معهما بعض
 الصور، ثم أخذت تعدو خارج النادي لتتابع ركضها
 بعيداً عن ضوضائه، وبينما هي تعدو، غافلة عن
 عينين ترصدانها رسداً من داخل سيارة مغلقة

النوافذ فلا يظهر من يقودها والتي تحركت رويداً رويداً وراءها، توقفت إسرائاً تلتقط أنفاسها وهي تتجرع بعض الماء من الزجاجاة التي كانت في يدها، عندئذ تنأهى لها صوت سيارة تقبل نحوها، فألتفتت سريعاً و تقهقرت مبتعدة من أمامها وهي تغمغم :

_ إيه الغباء ده؟

لكن السيارة دارت حول نفسها، واتجهت نحوها، فأتسعت عيناها في دعر وارتياح، وركضت بكل ما أوتيت من قوة والسيارة تلاحقها، كان الطريق خالٍ في ذاك الوقت، فكانت تصرخ في انهيار مستجدة دون جدوى، وحاولت مناورة السيارة وهي تبتعد يمنى ويسر وتركض في كل اتجاه حتى تيقنت أن سائق السيارة لا يبغى شيء إلا قتلها شر قتلة.

سقط في نفسها، وحل الرعب قلبها، وهوت
دموعها بكل خوف، وبينما هي تلتفت اصطدمت
بها السيارة بكل قوة، فضرب جسدها في مقدمتها
ثم سقطت جثة هامة، وتوقفت السيارة ما أن
تأكد صاحبها إنه صدمها، وفتح بابها وكاد يترجل
لولا تلك السيارة التي أقبلت.

♥ سبحان الله ♥

عندما رأى الرجل الذي صدم المُمثلة (إسرائ)
بسيارته السيارة المُقبلة، إذ فرَّ هاربًا وقد هاب أن
يرآه، تاركًا جثة (إسرائ) وقد تفجّر من رأسها
الدم وفار، توقفت سيارة (بلال) وهرع منها
مُسرعًا في لهفة وجزع، ومال على وجهها
المُصطبغ بدماءها وهو يُردد :

_ لا حول ولا قوة إلا بالله، إِنَّ لَهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

راجعون

وتجمع النَّاس حوله ملتفون حول جسد (إسرائء)،
التي تم إسعافها في سُرعة بعد ما تعرف عليها
الممرضات والأطباء، وعلموا بشهرتها، وتبرع (بلال)
لها بنصف كيلو من دمائه، وأحضر جم ما
تحتاج إليه من علاج، ودفع ثمن عمليتها مما تبقى
معه، وجلس أخيراً يلتقط أنفاسه، ثوانٍ وكان شارد
الفكر وهو يتذكر إنه كان عليه إن يجلب دواء الكبد
لوالدته.

لكن لم يتبق معه شيء..

بل لقد أخذ سلفة من رفاقه حتى يدفع عملية

الفتاة التي لا يدري عنها شيئاً..

فأدحر التفكير عنه متوكلاً على الرزاق (عز

وجل)

وراح يُردد من صميم قلبه الأذكار..

وهو على يقين إن الله سيرزقه من حيث لا

يشاء ..

وعلاج والدته سيحضره في وقته إذا شاء الله)

(سبحانه وتعالى)

وبقى طيلة اليوم في المستشفى، لم يغادرها إلا

أماما حين كان يحادث والدته ليطمئننها عليه، ولما

استبد به التعب، وغزا النوم أجفانه أغلقهما

مستدعيًا النوم الذي جاءه مُرحبًا، وفي غبش الليل

نهض منتفضًا على صوت أنثوى يطلب منه أن

يستيقظ ويفتح عيناه، وابتدرته الممرضة،

تقول :

_ يا استاذ الأستاذة إسراء فاقت، وعمالة تصرخ

مش عارفين مالها، لو سمحت تعال شوفها، لإن

مفيش حد معاها غيرك.

فنظر لها (بلال) لثوانٍ، ثم لم يلبث إن سألها :

_ هو محدش كلم أهلها للآن ليه؟

أجابته الممرضة نافية :

_ كلمناهم يا فندم، بس محدش جه يشوفها،

هياخدوا وقت عشان يوصلوا لإنهم في بلد تانية.

ضيق (بلال) عينيه في ضيق، وهو يغمغم :

_ وانا عليّ اعمل إيه دلوقتي؟

هزت الممرضة منكبيها في حيرة، قائلة :

_ معرفش تعال شوفها.

مسح (بلال) وجهه بكفه في غلظة وهو يكظم

غيظه، ونهض سائرًا وراء الممرضة التي قاضته

إلى إحدى الغرف الصادر منها صوت بكاء رقيق،

وتركته وانصرفت، فتسمر مكانه ولم يدرك ماذا

عليه أن يفعل!

وخفق قلبه في قلق ..

لم يكن من الشباب الذين لهم علاقات مع

النساء...

بل إنه شاب ذا خُلُق يخاف إن يُخطأ في الحديث مع

إحداهن فيغصب منه الله..

فمن خاف الله فعل كل شيء تقرباً إليه..

ازدرد لعابه وهو يستعين بالله، ويطرق الباب

بظهر سبابته، ثم دفع الباب وهو منكس الرأس،

مُلقيًا السلام :

_ سلام الله عليك، تسمحي لي ادخل.

ولمَّا لم يتلق ردًا، وطال وقوفه، تجرأ على رفع

رأسه لينظر إليها، وتلاقت الأعين..

وللقاء العيون حديث..

حديثٌ لا يعلمه إلا القلوب..

فكفت (إسرائ) عن بكاءها الخافت، وتأوهت بألم
بسبب الألم الحاد في رأسها الذي تحيطه
الضمادات، وتأملته بمقلتين بريئتين مليئتين
بالدموع الحبيسة، وفي نفسها هابتة مهابة لم تهب
مثلها لأي رجلٍ في عمرها الحافل بالرجال.
قطع الصمت الذي ساد فجأة صوت (بلال)
الرخيم، قائلاً :

_ أهلك جبين كلها شوية وقت وهيكونوا هنا.

وأتبع يقول والأسى يصبغ وجهه :

_ للأسف أنا مقدرتش اشوف الشخص اللي خبطك

بالعربية.. كان مجرد حادثة، والحمد لله إنك

نجيت....

بتر عبارته صيحة (إسرائ) المنفصلة :

_ حادث؟ حادث إيه؟ دا حد بيحاول يقتلني.

رفع (بلال) نظره إليها، ولم ينبس لدقيقة، تاركًا
إياها تُفرغ ما بداخلها من دموع، ثم قال في

هدوء :

_ سوا كان حادث او قتل عمد فكل ده تقدرى
تبلغيه للشرطة..

قاطعة ضحكة متهكمة ندت عنها، وهي تكرر في
سخرية :

_ شُرطة! ها .. و هتعملي إيه الشُرطة؟

تتهد (بلال) وهو يسمع آذان الفجر يعلو في
الأرجاء، فأغمض عينيه دون مبالاة بها وراح
يُردد وراء المؤذن في خشوع باطن وظاهر، وما
إن انتهى، حتى فتح الباب وهو يقول :

_ أنا همشي دلوقتي طالما حضرتك بقيت بخير
حال.

وما هم أن يخطو للخارج، استوقفته صيحتها
صارخة:

_ استنى أنت رايح فين؟ أكيد مش هتسبني
لوحدي؟

فرغ حاجبه ذاهلاً وهو يُكرر في تعجب :

_ مش هتسبني لوحدي؟

والتفت إليها مغمماً :

_ تقصدي إيه؟

همت أن تجيبه لكنه قال مستدرجاً :

_ أنا هنزل اصلي الفجر، وراجع لإن الشرطة

هتيجي تاخذ اقوالنا وبعدها همشي.

وخرج مغلقاً الباب وراءه وهو في حيرة من

أمرها..

بقت (إسرائء) في سريرها تفكر وتخطط لما
ستفعله..

هي لا تريد أن تعود للمنزل بسبب القاتل الذي لا
تدري عنه شيئاً، و لن تشعر بالأمان..

ومتى شعرت به من الأساس؟!!

هو لم يزورها يوماً..

ولم تذق شعوره..

ولم تحياه.

وتفجر في نفسها الأسى كله..

♥ سبحان الله ♥

توقف ضابط الشرطة جوار فراش (إسرائ) ليأخذ أقوالها، وشرع يسألها إذا كانت تشك في أحدٍ معين، لكنها نفت ذلك، وأخذ الكاتب يدون وراءهما ما يقولون، حتى سألها الضابط وهو يشير إلى (بلال) الواقف في آخر الغرفة مُطرق الرأس،
ولسانه لا ينفك عن ذكر الله :

_ أنتِ تعرفي الشخص اللي اسعفك هنا، مش
يمكن هو اللي خبطك بالعربية، عشان كده اسعفك
بسرعة؟!!

رمقت إسرائ بلال الذي لم يلتفت إليها قط في غيظ
من لامبالاته، وأسرعت تقول :

_ مستحيل يا فندم.

فسألها الضابط مندهشًا :

_ ليه مسحتيل يا أنسة إسرائ؟

انبعث صوت إسراء وهي تقول في رقة :

_ مستحيل لأنه ...

وتعمدت الصمت ثوانٍ، استرقت خلالها نظرة إلى

بلال، وازدردت لعابها وهي تلي قولها بخوفٍ :

_ لأنه خطيبي...

يُتبع

#والتقينا

#ندى_مدوح

2_ لقاء القلوب.

"لُقاءك كنسمة هواء، انعش القلب من رقادهِ،
وأعاد له الحياة."

"مستحيل.. لأنه خطيبي"

دوت العبارة كالصاعقة على مسامع (بلال)، وكف
لسانه عن لهج الذكر في صدمة طغت على ملامحه
الرجولية..

أبلالٍ هو؟! إمّا يوجد أحد آخر يُدعى بلال!

أيّ خطيب! عمّ تهذي تلك السانجة!

إنه لم يفكر بان يخطب قط، وهكذا فجأة يُصبح

مخطوبًا!؟

دون علمه، ولا إدراكه!؟

ومن خطبته فتاة دون حتى إستئذان!

غضب هائل تشبعت به ملامحه، وهو يرفع بصره

إليها..

إليها هي بالذات..

لم يكن قد تنبه لمغادرة الضابط من صدمته التي
بدت له كمطرقة هوت فجأة على رأسه فغيبته عن

العالم لردحًا من الزمن.

أكثر ما يكرهه في حياته هو الكذب! وتلك المرأة
تبدو بارعة في إختلاق المعاذير، و تهوى الكذب

كعينيها..

ازدردت (إسراء) لُعبها في خوف ملاً جُم

جوانحها، وظل الذعر من عينيها، وهي ترمقه في

توتر، أرادت أن تُحسن من صنيعها الذي اقترفته،
فأستحضرت أكثر شيء تجيده..

التمثيل..

وهل يوجد شيء تجديه مثله!

فاستمطرت عينيها بكاءً حارقاً يُدمي القلوب،
وأبدعت في التمثيل، فبدت كأنما تلعب دوراً في
إحدى مسلسلاتها ينقصه فقط الجمهور ليصفق.
وتفاجأ .. تفاجئ بلال من بكائها، وتسمر مكانه
مبهوتاً ولم يلبث ببنت شفة، وأن شفت كل خلجة
من خلجاته عن غضبٍ عظيم نجح في كظمه
بأعجوبة يُحسد عليها لا ريب.

هتفت (إسراء) دون أن تنظر إليه باكية:

كنت مجبورة أقول كده! صدقتي أنا مجبورة

وغصب عني..

وصمتت تختلس النظر نحوه، لتري ردة فعله، لكن
 ملامحه لم تشف عن شيء ألبته، فأردفت تقول:
 _باين عليك راجل وابن ناس وهتقف جنبي، أكيد
 مش هترد أيد اتمدت لك، أنا في حد معرفهوش
 بيحاول يقتلني..

كانت صادقة في آخر عبارتها، وذرفت عيناها دمعاً
 صادقاً هذه المرة، وهي تسترسل:

_ليه وعشان إيه معرفش! كل اللي اعرفه أني
 خائفة..

لا يكذب إنه تأثر، وحديثها ترك في نفسه أثراً
 عظيماً في سويداء القلب، ورمقها في أسف عندما
 استكملت بصوتٍ واهن، وبوجه ممتقع عاده
 تمثيله:

_خائفة من كل اللي حواليا، إزاي أنام لـ يجيلي
 الغدر من أقرب ما ليا، حاولوا يسمموني في نص

بيتي ولولا ربنا مكنتش نجيت.. ولا عشت، وحاول

حد يخنقني وأنا نايمة وبرضو ربنا نجاني،

ودلوقتي الحادثة زي ما أنت شايف.

تزلزل قلبه من حديثها لا شك، واضطربت نفسه،

وتهدج صوته، قائلاً:

_ طب.. طيب وأنا اعمل إيه دلوقتي؟

كان حائر.. وحق له أن يحتار، لأول مرة يجابه

موقفٍ هكذا، وتبكي فتاة أمامه ناهيك عن أخته

فقط..

لأول مرة يتعامل مع النساء لا سيما أولاء الآتي

يقلهم بالسيارة..

_ تتعامل كأنك خطيبي عشان الشرطة متورطكش

في حاجة أنت مش قدها.. وتأخذني معاك بيتك.

عبارتها الأخيرة دوت على أذنيه بما يشبه الصدمة
فخشبت جسده وهو ينظر لها في بلاهة، ووجدتها
بنظرة غاضبة وافتر ثغره عن حديث لم يلبس أن
احتبس في حلقه، عندما أردفت تقول بنبرة تفيض
بالشجن:

_ أكيد مش هتسبني في الشارع، انا مستحيل
ارجع مع اهلي وأنا مش عارفه مين عايز يقتلني
فالقاتل اكيد حد منهم.

قضض بلال أسنانه وهو يتميز غيظًا، وغمغم
بحدة سرت قشعريرة في جسدها:

_ وهو في عيلة ممكن تأذي حد منهم؟ أنتِ الخبطة
أثرت على دماغك غالبًا.

(بلال المهيب) هكذا همست في نفسها وهي تنوي
منادته دائمًا بينها وبين نفسها بهذا اللقب، فهي
باتت تهابه حقًا ولم يحدث إن هابت يومًا رجلًا

مثله قط.. بالحقيقة، من كانوا في حياتها هم اشباه رجال، فسيكون خطأ جثيم إن فعلت مقارنة بينهم.

ليتها تنفذ في داخله فتسبر أغواره، وتعلم أي الطريق تسلك لقلبه! فتعلم كيف تتود إليه، فيوافق أن يحميها.

وانبعث صوته حادًا، صارمًا، حاسمًا، مهيبًا وهو يجار:

_أنا همشي وأتمنى مشوفكيش قدامي تاني في أي مكان.

وغادر الحجرة صافقًا الباب بقوة جعلتها أجفلت وهي تشيعه بنظرات لامعة بالدموع الحقيقية، وبقى بصرها معلقًا على الباب، كأنما تنتظر أن يعود، وضافت بها نفسها وهي تشعر إنها منبوذة لا يحق لها العيش، فغطت وجهها بكفيها وانخرطت في بكاء يبكي الحجر..

ما به هذا الرجل لم يحاول أن يستميلها كما يفعل
الرجال عادةً، علاوة على غزلهم وملاطفتهم كأنه
قُد من صخر .. ألا يعرف من هي ليرفض لها
طلبًا، كان عليه هو أن يدعوها إلى منزله لا
العكس.

أواصر الألفة تتبع فجأة من صميم القلب تتبئها إن
ذاك الراحل ثمة رباط بينهما، فحتمًا سيعود ولن
ينتهي المطاف، وإن لم يعد فما الضير من السير
إليه.

كفكفت أدمعها وهي تمعن في التفكير لحل لهذه
المعضلة، وكيفية الوصول إليه، ولم يدُم تفكيرها
طويلاً، وهي تبتسم في ظفر وبلمعة مأكرة.

♥ الحمد لله ♥

مكالمة هامة أجراها بلال وهو يقف مستنداً بظهره على مقدمة سيارته، غافلاً عن تلك التي ترتدي ملابس المرضى، وتتسلل في خفة منبعها ضئلاً قدها، وهي منحنية ومخفية وجهها مخافةً أن يدركها، وفتحت صندوق سيارته بكل حذر ودقة، واندست بداخله وأغلقتة بذات الحذر، ولم يمض حينٌ من الوقت وكان بلال يستقل سيارته وهو يصل هذه وذاك ويباشر عماله متناسياً تلك الفتاة العابرة التي مرت في حياته كذكرى نثرها حطام الحياة في مهب الرياح، وفي مخبئها كانت إسراء متكورة في الصندوق الذي بالكاد احتواها وجسدها راح يرتج من سرعة السيارة، وهي تتمتم في غيظ:

_ ما براحة بقا أنت سايق طيارة، إيه ده؟ بقى انا

إسراء يحصل فيّ كده، إن ما وريتك!

ثم سكتت لهنيهة، وأتبعته تقول في حنق:

_ اوريه إيه بس وعليه هيبة تخوف انا هسكت

خالص.

وغفت في مكانها من الإعياء، وعندما فتحت

عيناها، تتأببت وهي تفرد ذراعيها الذين ضربا

في الصندوق فتأوهت بألم وهي تتذكر أين هي

الآن في تلك اللحظة، وتمتمت في مرار:

_ أنت لسه موقفتش؟! هتشل انا كده!

ورفعت غطاء الصندوق وأطالت النظر من الفرجة

الضيقة لتبصر ليلٌ بهيم غشى الدنيا بظلامه،

فأغلقت الغطاء وهي تتمتم:

_ الليل ليل، مش هيروح ده؟!!

ومع هممتها كان بلال يوقف سيارته ويترجل
منها، فلما أحست بذلك رفعت الغطاء، وكان بلال
يسير حيثُ منزله، وهي تُخرج ساقها في حذر
خفية أن تصدم في شيء، ووقفت تتلفت حولها
حتى وقعت عيناها عليه، وسارت في حذر نحوه.

(يا مصيبيتي)

صيحة هادرة فزعة أستوقفتها ...

يتبع

#والتقينا

#ندى_ممدوح

3_ البلوة

"يا مصبتي، مين دي؟"

عبرت العبارة أذني (بلال)، صادمة جامدة وهو
 ينظر لقريبته التي تجاوزته راكضة إلى حيث
 سيارته، فأستدار بتأنٍ مبهوتًا في حيرة راحت تأكل
 شغاف قلبه، حينما وقعت عيناه عليها..

هي بذاتها!

بشعرها المنسدل وراء ظهرها في نعومة، وتحيطه
 ضمادة لفت جُل رأسها، وبملابس المستشفى، فما
 الذي تفعله!

كيف لحقت به؟!

بل كيف عرفت بمكان بيته فتبعته..

لكن.. الأمر لم يدم إن أستبان له لقد كانت مختبئة
في صندوق سيارته لا ريب..

لا غرو! إذا إنه لم يشعر بها ولا بوجودها من
الأساس.

وتفجر غضب هائل في نفسه، وهو يندفع نحوها
بخطوات تكاد تلتهم الأرض، فتراجعت..

تراجعت في خوفٍ انفجر كبركان زفر حممه بغتةً
في داخلها، وتملكها رعبٌ لم تذق مثله قبل،
وازدردت لعابها وهي توشك على البكاء قائلة
بصوتٍ متهدج :

__ أنت .. أنت شكك متوحش كده ليه؟

وأغلقت عيناها في عنف وهي ترى أندفاعه
نحوها، وما كاد يصل حتى كان يلکم قبضته
المتكورة، وهو يهتف جازاً على أسنانه:

_ أنتِ إيه اللي جابك ورايا، أنتِ مجنونة، بتعملي
إيه؟

فقرع قلبها طبول الخوف أكثر، وتلاحقت أنفاسها
وهي تحاول إيجاد ثغرة تنفذ منها فتجو من برائن
غضبه المندلعة:

_ اللي جبني، إيه اللي جبني صح؟
فصرخ فيها في غيظ:

_ أنتِ هتهزري، إيه اللي جابك ورايا.. انطقي!
تلعثم فمها وهي تدير عينيها في المكان متحاشية
النظر إلى عيناها، وهمت بكلامٍ لم تدري كيف تنطق
به، فتراجعت للوراء بخطوات حذرة، وهي تنتظر
لعيناها بعينين دامعتين، هامسة كطفلة صغيرة
ضائعة:

_ اللي جبني الشكر!

لم تكن تعلم ما الذي تهذي به، فكانت تتنطق اول ما
يأتي على شفتيها.

صرخ بلال فيها:

_ نعم! اللي جابك إيه؟! مفهمتش.

فضحكت في بلاهة وهي تهمس:

_ الشكر، إني أشكرك يعني وكده!

فرفع بلال حاجبه في دهشة، متسائلًا في تهكم:

احلفي .. والله بجد؟!!

ازدردت إسراء لعابها، وغمغت بذات الصوت

المشئت:

_ والله، والله، والله ده اللي جبني..

كانت كاذبة وتعلم هذا، ولم يصدقها فنظر لها

بإزدراء، وبوجه كالح عابس، فهتفت في لهفة:

_ اصبر بس متتعصبش ، مش صدقني ليه؟ ونبي

ونبي ونبي ده اللي جنبني!

صرخ بلال وهو يتقدم منها في تعصب:

_ اسكت.. اسكتِ خالص وكفاية حلفان ومتقوليش

والنبي تاني أنتِ فاهمة.

فاستكانت كطفلة وديعة وهي تغطي شفيتها بفمها

وتؤميء برأسها، وانبعث صوت فتاة مذهولاً مما

يحدث، تهتف باستنكار:

_ بلال، أنتِ تعرفها! تعرف الممت...

ابتلعت باقي حروف عبارتها عندما استدركتها

إسراء مكمة فمها بكفها وتهزلها رأسها برجاء

ألا تسترسل، فلم تفهم الفتاة، وانحنى إسراء عليها

هامسة:

_ بالله عليكِ اسكتي خالص هو ميعرفش مين أنا!

ففركت الفتاة عينيها وهي تحملق فيها بعينين
تكادان تخرجان من محجريهما، وهتفت:

_ ده أنتِ بجد ولا حلم!

وهمست متعجبة بصوتٍ خفيض:

_ أنتِ بتعملي إيه هنا؟

وشملتها بنظرة فاحصة من قمة رأسها لأخمص
قدميها، واستطردت:

_ أنتِ بتمثلي في المنطقة عندنا؟!!

واختلست نظرة إلى بلال الذي بدا يروح ويجيء
كانما يحاول السيطرة على نفسه وهو ينفث في
غضب، واستتبعته تقول بذات الهمس:

**_ هو بلال مبقاش بلال ولا في إيه؟ هو من امتي
بيمثل!**

دنت منها إسراء وكادت تخبرها بشيء لولا أن
اجفلها صوت بلال الصارخ:

_تعالى هنا ..

فألتفتت إليه مرتجفة، بينما اردف هو وهو يفتح
باب سسارته في عنف، مشيرًا لها:

_اركبى!

وحداد بصره إلى قرييته، فصرخ فيها:

_وأنتِ الثانية يلا على البيت.

فردت عليه الفتاة في إصرار:

_مش هتزعج من مكاني غير لما اعرف إيه

الحكاية.

فأسدل جفنيه مستدعيًا الهدوء قبل أن يصاب
بالجنون، وأجابها بحدة صارمة:

_قلت على البيت.. يلا مش عاوز اعيد كلامي.

فدبت الفتاة بقدميها، واسترقت نظرة إلى إسرائ
وانصرفت وهي تتمتم على مضمض.

دار بلال نظره إلى إسرائ وأشار لها بعينه أن
تدخل السيارة، فتصنعت القوة وهي تعقد ساعديها
امام صدرها في رفض بيّن، وتقول في نبرات
قوية:

_ لأ مش هركب معاك عشان ترجعني المستشفى
حتى لو هتسبني في الشارع.

ولم تترك له الفرصة ليعقب، بل هتفت في لهفة:
_ يرضيك طيب إن ادخل المستشفى وحد يقتلني..

قاطع عبارتها قول بلال في برود مثير للدهشة:
_ ما تتقتلي وأنا مالي! ميهمنيش.

فسالت دمعة حزينة على وجنتيها محتها سريعاً،
وهي تسير صاعدة السيارة في إحباط وأسى.

حتى إنها لم تشعر به وهو ينطلق بالسيارة..

فقد شغلها التفكير عن كل شيء آخر..

ماذا لو فلح القاتل ذات مرة بالتخلص منها!

فليس كل مرة تسلم الجرة كما يقولون؟!

فهل ستموت!

وهي لم تحيا حياتها بعد!

لا تزل لم تعش الفرحة التي تتمناها..

لا يزل الحزن يسيطر على نفسها رغم كل شيء..

ثمة ضيق دائم يكاد يهلك أنفاسها، والعجب أن

الجميع يظن إنها تملك سعادة العالم كله ما دام

تملك المال.

أغبياء لا يعلمون إن الأمان لا يساويه مال الدنيا.

وإن راحة القلب وسكونه هو الكنز الحقيقي الذي

يجب أن يسعى إليه الإنسان..

لم تعرف متى توقفت السيارة و وصلا إلى
المستشفى التي بدت لها خاوية مخيفة كأن ملك
موتها يحوم فيها في انتظارها، وقبضة باردة
اعتصرت قلبها دون هوادة، ونظرت إلى بلال
بنظرة خاطفة.. فلم يبدا على وجهه أدنى أثر للتأثر،
وهو يغادر السيارة في برود، مغمغماً في حدة:

_ أنزلي، مش هسيبك غير لما اطمئن إنك في
اوضتك.

وتبعته دون حرف وسارت وراءه وهي مطرقة
الرأس كلا يعرفها أحد..

لماذا أظلمت الدنيا في عينيها فجأة وهو يفتح
الباب مفسحاً لها الطريق، وخطت داخل الحجرة
كمن يُساق للموت، وأحست بحركة من لدن
الفراش جعلتها ترفع رأسها مجفلة وما كادت تفعل
حتى شهقت في فزع وهي تتقهقر للخلف..

فهنالك عند فراشها كان شابٌ ملثم يقبض على
مقبض ذا نصلٍ حاد، وهناك الوسادة التي
وضعتها مغطاة بدلاً عنها كي لا يعرف أحد بعدم
وجودها وقد تناثر قطنها فعلمت إنه طعن الوسادة
المسكينة التي كانت سبب نجاتها، وتحرك الشاب..

بحركة سريعة مجفلة للجميع وهو يرفع يده
ويهوى بالنصل الامع اتجاه صدرها..

صدرها مباشرةً

واغمضت عينيها وهي تصرخ في هلع..

لكن بلال تحرك بعدما خرج من صدمته ليمسك
بيده قبل أن تصل إليها ويدفعها للوراء في حركة
عنيفة، ويركل الشاب للخلف في غضب، فما كاد
يرتد هذا الأخير حتى هجم عليه بغضب بنصله،
فانحنى بلال متفادياً الطعنة وضرب ساعده في
وجهه، ويده الأخرى قبضة على النصل مجبرة

الشاب على افلاته، ووقفت إسرائاً تراقب ما يحدث في انهيار يُدمي القلب، وخبطة نيفة تلقتها من الشاب وهو يندفع فاراً من المكان، ولحق به بلال عبر الرواق، وتعالى صرخات زائرين ومرافقين المرضى، وشهقات الخوف من الممرضات المندفعات في خوف، ارتقى القاتل درجات السلم وبلال وراءه، وتقلصت المسافة بينهما وفتح بلال في أن يقبض عليه من تلايب ملابسه ويسقطه ارضاً ويعلو فوق صدره وينقض عليه لكمة بعدما أطاق اللثام عن وجهه، وهو يصرخ:

أنت مين، وعايز تقتلها.. ليه؟

أجابه الشاب بأن رفع قدمه وضرب ظهر بلال الجاثم على صدره فسقط إثر ذلك منقلباً واعتدل بسرعة بارعة، ولم يجد ادنى أثر للملثم، فزفر

متهدًا وهو يلتقط أنفاسه، وأسرع يهبط الدرج
متجهًا إليها..

إلى إسراء

وكان لأول مرة يدق قلبه في خوف على أحد غير
عائلته..

وعندما عاد كان رجال الأمن منتشرين في المكان،
سعيًا وراء القاتل، واستجوابًا له عما حدث
بالتفصيل، وعلم إن إسراء فقدت الوعي، وجلس
في إحباط أمام غرفتها، وهب في لهفة مع خروج
المرضة، التي تساءلت:

_ أنت بلال؟!!

فأجابها:

_ ايوة أنا هي كويسة؟

فردت تطمئنه:

_ركبنا لها المحاليل وساعة كده وهتفوق، بس قبل
ما يغمى عليها.. وصتتي بحاجة ...

لم يدعها بلال تستكمل، وهو يسألها في شغفٍ
نطقت به عيناه وإن لم تعبر نبرته الجامدة:

_وصتك بايه؟

_إنك متسبهش، الممثلة قالتلي بالحرف (قولي
لبلال ميسبنيش)

وتابعت في فضول:

_هو مش حضرتك خطيبها برضو؟!!

لم يشعر بلال بنفسه وهو يهز رأسه موافقةً على
سؤالها، بل لم ينتبه للقب (الممثلة) وقد غرق
تأثرًا في جملتها التي تركتها إليه.

وغادرت الممرضة من أمامه، وعاد هو ليجلس
في استرخاء لا يعلم مصدره، وأسند رأسه على

الجدار واسدل أهدابه على حيرة نفسه، لماذا استلذ

ذاك الشعور الذي بدأ يتولد بداخله؟

شعور أنه ثمة من تكون أنت حمايته!

ولو كان غريبًا..

لا تربطكما أيّ صلة قرابة!

وتبسم تبسم المحتار..

كان عسيرٌ عليه ان يصل لقرار!

أتركها! اماذا يفعل!

أما يفر من المكان ويكون في منأى عن كل ذلك.

لكن هذه ليس رجولته ولا من شيم الرجال.

مر به الوقت دون أن يشعر وهو لا يزل مسبل

الجفنين في غمرة أفكاره، حتى نبئته الممرضة

إنها استعادت وعيها، فشذ همته للذهاب لتلك

الغريبة التي أتصفت به بغتة كعلكة علقت في

ملابسه ولا يدري كيف يزيلها، وطرق على الباب
في هدوء ودخل دون كلمة

ودون حرف

وبخطوات هادئة ساكنة رغم صلابتها..

وتحير بما يبدأ الحديث، متخبط المشاعر، وود لو
لم يسعفها وتركها على قارعة الطريق..

ونظرت هي له وهي ممددة في فراشها بغيب،

وهتفت:

إيه صدقتي دلوقتي إن في حد بيحاول يقلتني
ولا برضو هتكذبني؟! آه..

تأوهت متأمة عندما حركت ذراعها الموصول به
المحقن المغذي، فرفع بصره إليها، وقال في

هدوء:

_ بلاش ترهقي نفسك، أنا دلوقتي مصدقك، وإن
شاء الله الشرطة هتقدر تقبض على القاتل أنا
أدتهم مواصفاته.

فسألته بلهفة تطل من عينيها:

_ أنت شفت وشه!

فرد بإيجاز:

_ ايوة.

واستطرد وهو يغض بصره متحرًا للخارج:

_ أنا مستني برة لحد ما المحلول يخلص عشان

...

وسكت لهنيهة، ثم قال بإنفعال:

_ عشان هتيجي معايا بيتي.

وخرج مغلقًا الباب وراءه، أما هي فقد تنفست
الصعداء، وامتزج بداخلها شعور الأمان بالبهجة
وسريًا في دماغها وقلبها.

وقف بلال أمام الحجرة بعد ما أغلق بابها، وحيدًا
يتربص لعلّ وعسى تُغير رأيها ولا تذهب معه.
ولكن أمله اضمحل إزاء سماعه لفتح الباب و
وقوفها وراءه، وهي تغمغم:

أنا جاهزة اروح معاك!

فأغمض عيناه أخذًا نفسًا عميقًا، ولم يلبس ببنت
شفة وهو يتحرك أمامها فلحقت به وهي مطرقة
الرأس عاقدة الذراعين، واضعة وشاح تُغطي به
رأسها، وتشد طرفه على وجهها كي لا يعرفها أحد
حتى استقرت داخل السيارة الذي انطلق بها دون
صوت، وهو يخبرها عن يعيش معه في البيت..

فقد كان يحوى أمّ لا هم لها إلا سعادة ابناءها،
وأختٌ في الثلاثين من العمر مخطوبة تُدعى (
سُهير) و (عمرو) أخيه الصغير، هذه كانت عائلته
الصغيرة، وجل همه في الحياة..

هو توفير لهم حياة كريمة..

فلا يحتاجون أحد

ولا يطلبون العون من غريب..

فمنذ وفاة والده وهو الأب والأخ والمعول
لأحتياجهم..

وهو لم يمل ولم يكل ولم يُعيّه ذلك..

فما الدنيا أمام بسمة رضى من عينيّن والدته..

وضحكة سعادة من ثغر أخته..

وقفزت سرور من أخيه الصغير..

لكن ما صدمها هو قوله الأخير وهو جامد الملامح
وبصره مصوباً للطريق أمامه:

أنتِ اكيد مش هتقدي اكر من يومين تلاتة كده،
وطبيعي اهلك هيرجعوا من بلاد بره ويقدروا
يحموك، فعشان كده أنتِ هتقدي في شقتي ودي
محدث بيقد فيها وهجيبك الأكل والمياة لحد
عندك و متسمحيش لحد يشوفك.

فصرخت وهي تلتفت إليه في اهتياج:

أنتِ عاوز تحبسني عندك!

فصفت رياح الغضب بقلبه، وهو يصرخ فيها
ضارباً عجلة القيادة:

ده اللي عندي عاجبك خير معجبكش خلاص،
مش من مسؤليتي اصلاً أن احميك وقعدك في
بيتي.

وزفر في ضيق وهو يهمس في نفسه:

_أستغفر الله العظيم وأتوب إليه، اول مرة حد

يخليني بالغضب ده وممسكش نفسي قدامه.

واستعاذ بالله ليزول عنه الغضب.

ركن سيارته في مكانها المخصص، وترجل وهو

يغمغم بصوت جاف:

_انزلي..

فترجلت في ترقب وهي لا تدري أي بيت هو بيته،

وحينما سار لحقت به في هدوء، ودخلت وراءه

بيتًا بسيطًا ذا أثاث يدل عن فقر صاحبه او حاله

المتوسط، وطافت مقلتها في أنحاء لتستطلع

محتوياته، وبينما هي على تلك الحالة، وقدميها

تسيران وراء بلال كأنما هي ظله الذي لا يفارقه،

توقف هذا الأخير فجأة فأصطدمت به وابتعدت

سريعًا وهي ترمجر بنبرة خفيضة:

_ مش تقول إنك هتقف لازم تخبطني يعني!

ولا أنت بتنتقم مني؟

فتجاهلها تمامًا وهو يحدجها شزرًا، ويغمغم

باقتضاب:

_ آه ما هو أنا عامل زي القطة اللي ماشية تتسحب

بدون صوت وراء أي حاجة وخلص!

كان يقصدها ويستهزأ بها، فاتسعت عينيها وفغرت

فاه لثوانٍ، قبل أن تجيبه بأنفعال:

_ تقصد مين بقطة؟ أنا ...

وأشارت إلى نفسها وهي، تسترسل:

_ أنا أنا قطة!

تبسم بلال في سخرية، وهو يرمق قامتها

الضئيلة...

بل الضئيلة جدًا..

بجانبه..

فبدت ككزمة وكتم ضحكة كادت أن تفلت من بين
شفتيه تلاشت وخفتت سريعًا عندما اردفت هي في

زهو:

_ يا عم قطة إيه بس؟

وضحكت في خفوت، مضيفة:

_ قول لبانة ولزقت فيك، ومش هتعرف تشيلها.

وضحكت بصوت عالٍ، لم تلبث إن كبنتها في
داخلها عندما رمقها بنظرة صارمة رادعة، وانبعث
صوت امرأة كبيرة في السن، تهتف:

_ بلال، أنت جيت، هو في حد معاك؟

فأجابها بلال رافعًا صوته ليصل إليها:

_ ايوة يا ست الكل جيت، دقايق هغير وجيلك.

وأشار برأسه لـ إسرائ كي تتبعه، وارتقى درجات
الدرج ليفتح لها باب شقته التي كانت خالية من
الأثاث، ومن كل شيء تقريبًا، بينما أفسح لها
لتعبر للداخل وهو يقول في صلابة:

__هتقدي هنا.. وإياك تطلعي.

فطافت إرجاء الشقة بامتعاض وصاحت به:

__وهنام فين أنا؟ على الأرض أنت عاوزني اتكسر.

فجز بلال على أسنانه وهو يرد عليها ساخرًا:

__لأ، ودي تيجي برضو! هجيبك حالًا حاجة

تفرشيها وتنامي عليها.

همت أن تعلق، لكنه لوح بسبابته مغممًا:

__ده اللي عندي عاجبك او مش عاجبك فالباب

يفوت جمل.

فصمتت على مضض، وواقفته عندما استدار
ليغادر، قائلة:

_ استنى يا بلال أنا جعانة هموت من الجوع.

فأستدار بحركة حادة لتراجع مستدركة:

_ مش جعانة مش جعانة ...

ثم اتبعت تقول في نفسها:

_ اموت احسن من الجوع ولا أموت من عينيك

اللي تخوف دي يا بلال المهيب، والله يليق عليك

بلال المتوحش.

وتنبهت من شرودها على تلويح كفه أمام وجهها،

وهتافه:

_ أنتِ .. روحتِ فين؟

فنظرت له، متسائلة:

_ كنت بتقول حاجة!

فأجابها بالامبالاة وهو يكاد ينصرف:

_ بقول إنك بقيتِ عالمة على الواحد.

فعبس وجهها وطل الحزن في عينيها، واستوقفته

مجددًا وهي تسأله بنيرة تفيض بالشجن:

_ هو أنت مش عايز اهلك شوفوني ليه؟!!

فرد وهو يغادر:

_ لأنك بلاء مش بيسيب صاحبه.

شيخته بنظرات حزينة وهو ينصرف وأطرقت

برأسها ساهمة، ثم راحت تتحرك دون سبيل في

إنحاء الشقة حتى عاد إليها بطعام وزجاجةً من

الماء المثلج، وألقى أسفل قدميها غطاء (ومرتبة)

صغيرة، وهو يغمغم:

_ الأكل والمياه عندك والمرتبة عشان تنامي عليها

وغطا، وكده مفيش حاجة نقصاك.

وتحرك خارج الشقة غافلاً عن أخيه الصغير الذي
 تبعه لأعلى عندما شاهده يأخذ المرتبة والطعام
 متعجباً لشقته، و وقف مبهوراً وهو يَر ويسمع كل
 شيء من مخبئه وراء الجدار، ثم غمغم يسأل
 نفسه:

_ هو مش دي الممثلة اللي بتطلع على التلفزيون
 اللي بتحبها اختي سهير!

وصاح في حماس:

_ ايوة هي أنا متأكد..

وتفكر لحظة، ثم اضاف:

_ بس بتعمل إيه عندنا؟! انا لازم أقول لماما
 وسهير.

وقرن قوله بفعله ونزل درجات السلم عدواً.

يُتبع ...

#والتقينا

#ندى_ممدوح

4_ موطني

هز (عمر) جسد شقيقته (سُهير) التي تغط في
سباتٍ عميق، مع همسه الخفيض مخافة أن يصل
إلى أخيه (بلال):

_سُهير، سُهير.. قومي عايز أقولك حاجة.
ولم يتلقَّ ردًا سواء همهمة ناقمة من إزعاجه
وأعطته ظهرها، فعاود يهز كتفها هاتفاً:
_يا سُهير بقا قومي عشان تعرفي مين عندنا!
وصعد جاثياً جوار فراشها، ولا يزل يحاول دون
مللٍ في إفاقتها:

_يا سُهير قومي عشان تشوفيها والله أنا شفتها
فوق_.

لَمَّا لم تجد بُدًا من إجابته، أجبرت نفسها قسرًا
لتتزع نفسها عن النوم وتجيبه في نعاس:

مين، مين دي يا عمرو.

فصاح عمرو ملهوفًا:

إسراء، الممثلة إسراء الشهاوي.

فظنت بأنه يهذي ولم تصدقه، فما لها ومال

الممثلين هي...

أين هم وأين هن..

فما الذي يأتي بممثلة لمنزلها وهي لا شك لا تدري

حتى بوجودهم من الأساس!

فجذبتة لحضنها بعدما ألتفتت تجاهه، وهي تهمس

بتأوب:

_نام يا عمرو يا حبيبي تعالَ.

فهتف عمرو مهتاجًا:

_يا سُهير أنام إيه بقولك الممثلة فوق في شقة

بلال.

وذهبت عبارته سُدى، مع إنتظام أنفاسها وذهابها

في النوم، فظل كالح الوجه حتى زاره النوم هو

الآخر.

♥ اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد، صلاة

تُطيب بها قلوبنا، وتُمحي بها أحزاننا، وتزيح بها

همنا وغمنا، وتفرج بها كربنا يا رب ♥

جلست (إسراء) على الأرض حائرة تفكر، فيمن
ممكن أن يكون القاتل!

وجال بخاطرها كل من تعرف الجميع دون
إستثناء، حتى أبيها وأمها..

لا تدري لماذا فعلت كل ذلك مع بلال.

لكنها توسمت فيه خيرًا.

ذاك التوسم الذي نبأها إنه رجلٌ يُعتمد عليه، لكنها
لن تنسى صنيعه قط سيظل له عظيم الأثر في
نفسها.

وضحكت وهي تتذكر اللحظات القلائل التي
استفزته فيها، لا تعلم لماذا تحبذ أن تثير ثأرته،
واستحضرت طيفه في ثنايا قلبها، وراحت تتأمله

كان شابًا في أواخر العشرينات، ذات بشرة
قمحاوية، ذا ذقنٍ ناميةٍ ذادته وقارًا، وعينين

ضيقتين تظللها رموشٌ سويداء تحيطين بمقلتين
سوداوتين...

وفي سوداوتيه تاهت هي..

كان فارع الطول، عريض المنكبين إلى حدٍ ما.
ملابسه بسيطة جدًا من بنطال جينز أسود مع
تيشيرت أسود اللون مشمرًا عن ساعديه، ورغم
بساطة إلا إن أنيق ساحر.

وأسبلت أهدابها على صورته كلا تغيب وغفت.

♥ اللهم لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ♥

في صباح اليوم الثاني، غادر بلال إلى عمله،
وكانت شقيقته سُهير تعد الطعام في المطبخ،

عندما دخل عليها عمرو راکضاً وهو يسأل في

حماس:

_ يا سُهیر، شفتیها ولا لسه؟!!

فتسألت سُهیر في تعجب وهي تقلب طبق (الفول):

_ شفت مین یا بنی! أنت مالک من إمبراح! قولي

الأول بلال مشي؟

فهز عمرو رأسه وهو يقول سريعاً:

_ ايوة ايوة صلينا الضحى في الجامع ومشي على

طول.

فرفعت نظرها إلى السماء من نافذة صغيرة تتوسط

الجدار، وقالت في دُعاء صادق نابع من صميم

قلبها:

_ يا رب اسألك بكل اسمٍ هو لك أن تفتح له أبواب
رزقه، وتعوضه على أيام الشقا ده، وترزقه ببنت
الحلال.

فآمن عمرو على دعاءها بيقين، وعاد يسألها في
فضول يكاد يقتله:

_ ها مقولتليش شفتيها!

فصرخت فيه سهير بانفعال وهي تترك ما بيدها
وتستدير له في عصبية:

_ يا دي النيلة هي مين دي اللي هشفها!

فرد عليها عمرو وهو يشوح كفيه ويدب بقدمه
الأرض:

_ بتزعقي ليه؟ بسألك لو شفتيها اللي فوق دي.

فتخصرت وهي تضيق عينيها وتسأله بحذر:

_ هي مين دي اللي فوق؟

فرغ عمرو حاجبه في غيظ، وغمغم:

_ معرفش روعي شوفي أنت مين فوق!

فهمتت به في غضب:

_ عمرو ما تستهبلش! قول في إيه فوق.

فصاح عمرو وهو يعدو خارج المطبخ:

_ معرفش.

فلحقت به وأمسكته من تلايب ملابسه، وسألته

وهي تهزه في حنق:

_ ولا تكلم في إيه؟

فأفلت يديها بزهو مصتبع وهو يقول:

_ طب بس ابعدى إيدك كده وهقولك..

_ قول يا آخرة صبري.

هتفت على مضمض، فمال على اذنيها كمن سيفضي

بسرٍ خطير، وهمس وهو يظل بكفه على فمه:

_ الممثلة اللي بتيجي على التلفزيون اللي اسمها

إسراء فوق شفتها إمبراح في شقت بلال.

فلم تصدقه وهي تضيق عينيها ناظرةً إليه بامعان،

وسمعه وهو يقول منذراً:

_ وهعرف بلال إنك بتتفرجي على التلفزيون.

_ ده لو لسه كان فيك روح يا حبيب أختك.

جارت بتلك العبارة سُهير وهي تهب ناهضة رافعة

قدمها في الهواء ليطاير فردة نعلها فتلتقطها

وتعدو وراءه، و والدتها الكفيفة تصيح وهي

تحمي عمرو الذي تشبث بها مستجداً:

_ يا بنتي أنتِ صغيرة بتجري وراء اخوك ...

همت سهير بالرد عندما سمعت صوت الباب يُفتح
ويغلق فخرجت مسرعة وتعجبت كل العجب عندما
وجدت بلال الذي نزع نعليه واستدار إليها ملقياً
السلام:

_ السلام عليكم ...

وضربها على رقبتها بخفة ضاحكة، وهو يضيف:

_ إيه يا بنتي مبلمة كده ليه؟

فزالتها الدهشة بسرعة، وغمغمت:

_ أنت راجع بدري انهاردة ليه؟ مش من عوايدك.

فانعقد حاجبه، وسألها:

_ آه اصل نسيت حاجة كده.

_ نسيت إيه، وإيه اللي في إيدك ده!؟

فرد عليها وهو يتجه للدرج مسرعاً:

_ حاجة وخلاص، طالع دقايق ونازل.

كان سبب عودته إنه تذكر تلك البلوة التي ابتلا بها، وإنها بالطبع ستصحو جائعة فأحضر طعامًا وعاد ليعطيه لها.

وأختفى من أمامها، وبقت هي تفكر حائرة، ولم تلبث أن صاحت:

_ هو في إيه فوق؟ وليه عمرو من إمبارح بيقول كلام غريب.

وفي طرفة عين كنت اتخذت قرارها واتجهت إلى الأعلى.

وفي الأعلى كان بلال يطرق الباب بخفة، حتى فتحت له إسراء وهي تتمطى، مغممة في نعاس:

_ هوف في إيه دلوقتي بتصحيني بدري كده ليه؟ وأقتربت من الباب وأسندت رأسها عليه، وأسبلت جفنيها وهي تهمس:

مش كفاية إني معرفتش أنام من نوم الأرض
اللي كسر ظهري.

شهقة عنيفة ندت من وراءهما، لم تكن إلا من
سهير الذي أسرعت بالتهام باقي الدرج، وتتفحص
إسراء التي أجفلت وقد أذهلتها المفاجأة.

بينما أطرق بلال في غضب.

ما يخشاه قد حدث!

وأخته ستختلط بتلك الفتاة حتمًا..

وما حاول تجنبه لم يفلح والأمر انكشف..

فأخذ نفسًا عميقًا، واطلق زفرة حادة مفرغًا فيها

إنفعاله وضاقته نفسه بكل ألم..

هذه الفتاة خطر على أهل بيته، حدسه يخبره

بذلك..

هو رآها ليست من الفتيات المحتشمتات الذين يبدو
عليهم الأخلاق الحسنة ورغماً عن ذلك لم يظن بها
سوءاً فربما هي أقرب إلى الله منه ومن ألف فتاة
محتشمة، فخبايا السرائر لا يعلم بها إلا رب

السرائر

لكنه لا يود المخاطرة..

وشعر بالأختناق فجأة فأسرع مبتعداً عنهن وهو

يقول:

_ أنا همشي، عرفيها أنتِ سبب وجودك.

لم تصدق سُهير عينيها وهي تفركهما محمقة في

إسراء أمامها، وقد طار عقلها من الدهشة،

وراحت تحوم حولها وهي تهتف:

_ إيه ده دا أنتِ بجد ولا أنا في حلم ولا إيه اللي

حصل بالضبط!

و وقفت قبالتها وراحت تتلمسها بأعين برقتان،
وتقول :

_ دا أنتِ بجد، أ.. أنتِ الممثلة إسرائء صح؟ ولا
أنتِ وحدة شبةا، مهو طبيعي أنا مش بحلم وأنتِ
مش هنا، ما هو أصل إيه اللي هيجيبك في مكان
زي ده!

انكمشت إسرائء على نفسها، وتبسمت في تهجم
وهي توما برأسها، هامسة:

_ ايوة أنا.

فصرخت سهير في انفعال:

_ لا، لا اكيد انا بحلم مستحيل لا، لا..

وانقضت عليها فجأة وجذبتها في حضنها في قوة،
بل اعتصرتها..

فتأوهت إسرائء، مغممة بحنق:

_ هتكسري ضلوعي كده!

فأبتعدت سهير عنها وظلت لثوانٍ تتأملها في هيام،
حتى تنبتهت لضمادة رأسها، فسألت في جزع وهي
تتحسسها:

إيه ده إيه اللي على رأسك ده وريني! أنتِ تخبطي
ولا إيه؟

فتلمست إسراء بدورها الضمادة وردت عليها
ببسمة حالمة:

**_ لأ عملت حادثة، بس أفضل حادثة عملتها، حادثة
بحبها أوي.**

عقدت سهير حاجبها في تعجب وهي تسألها:

_ الحادثة غالية عليك!! مش غريبة دي؟

فهزت إسراء رأسها رافضة، وتبسمت بتهيدة
عميقة وهي تقول بنبرة شغوفة:

_ مش غريبة خالص، أصلها عرففتي على أخوك.
فأستعادت سهير صرامتها، وهي تعقب في حذر،
كأنما توشك على الانقراض عليها، مدافعة عن
شقيقها:

_ أخويا!.. أخويا انا تقصدي، بلال ذات نفسه!؟
فأومات إسراء إيجابًا، وتعلقت في ذراعها وهي
تردف:

_ تعالي أما احكيك اللي حصل وليه أنا هنا.
قصت أسراء على مسامع سهير كل شيء..
من لحظة الحادث وحتى جلستهن تلك..
فتفجر كل الأسى في نفس سهير، وهي تهمس في
إشفاق:

_ كل ده، بس مين وليه اللي بيحاول يقتلك!؟!

هزت إسرائ منكبها ببسمة خفيفة باهتة وهي تزم
شفتيها، وافتر ثغرها عن بسمة صادقة ودودة،
وسهير تسترسل:

_بس مكنتش متخيلة الممثلين زينا كده عادي
ومتواضعين وكل الصفات الحلوة دي.

فردت إسرائ ببساطة وهي تقلب شفتيها:

_ليه إحنا مش بشر زيكم! بس مش كلهم طيبين
ومتواضعين في وفي طبعًا فالناس أصناف،
والقلوب متفاوتة.

فقامت سهير وهي تأيد قولها:

_معاك حق والله سبحانه الله عز وجل.

وجذبتها من معصمها، وهي تقول:

_تعالى اعرفك على ماما وعمرو.

ثم اوقفتها فجأة وسألتها في حذر:

_ هو بلال يعرف أنت مين؟

ازدردت إسراء لعبها في توتر، وهزت رأسها في قلق، فمالت عليها سهير، وقالت بصوت خفيض:

_ طالما ميعرفش يبقى يستحسن ميعرفش لأن هو بيخاف علينا أوي..

وضحكت متابعة:

_ بيخاف من الفتن تدخل بيتنا فنتفتن.. دا غير إن التلفزيون عنده محرم مش بيقد قدامه خالص أصلاً ولا بيتفرج عليه.

كانت متعجبة من تلك المودة والألفة التي لاقتها

بها سهير..

متعجبة كل العجب..

فهي تضاحكها وتحادثها بكل مرح وبساطة كأنما
تعرفها منذ سنوات وكان لذلك اثرٌ جميل في نفسها
فلم تشعر بالغرابة بل بالانتماء.

بأنها كانت تحيا في غربة موحشة وها هي تجد
الوطن.

أقصى ما قد يحياه المرء هو غربة قلبه وسط أهله
فيكون فارغاً من كل شيء، موحشاً مرتحلاً دائماً
في البحث عن وطن السكينة فيعود خالي الوفاض،
لكن هذه المرة في إرتحاله لم يعد

لقد وجد الموطن...

وأبى أن يعود، وأنى له أن يعود وهو بين أحضان
السكينة ينهل..

وفي حزن عينيها يحيا..

فهنيئاً لمن وجد موطنه..

فغربة النفس قاسية..

♥ اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد، صلاة
تُطيب بها قلوبنا، وتُمحي بها أحزاننا، وتزريح بها
همنا وغمنا، وتفرج بها كربنا يا رب ♥

كان بلال يجلس خلف عجلة القيادة قابضاً عليها
بقبضتين تعصرانها من شدة الغضب..

لقد نشد دائماً الأمان لعائلته بعيداً عن ملاذات
الحياة التي لا تشبع ولا تغني من جوع، فما بال
الدنيا تعصف بالفتن الهوجاء داخل بيته..

لماذا لا تعصف بعيداً عنه..

لما الدنيا لا تاركة وشأنه!

توغل الحزن في مسام روحه، وسرى في دمه
 وأحس بالخطر يحوم حوله، وقبضة باردة
 أعتصرت عنقه وهو يشعر بالأختناق، وبغصة
 أليمة في حلقه، وماجت أعاصير شتى مشاعر
 القلق في نفسه تموج كأموج البحر المتلاطمة..
 كان في إنتظار إحدى زبائنه التي يقلهم كل يوم في
 ذات الموعد والحين..

وأحس إنه بحاجة إلى كوبٍ من الشاي عل
 سخونته تذهب بنيران روحه الملتهبة، فترجل من
 سيارته وعبر للجانب الآخر، ودخل (القهوة)
 وأخذ طاولة خارجها وطلب كوبًا من الشاي
 وانتظر متأملًا سيل السيارات المندفعة أمامه..
 كم تشبه قطار عمره الذي مر دون أن يقف به
 على إحدى المحطات..
 كأنه لا يبالي براحته..

بهدوئه..

وسكينته..

كانت شاشة التلفاز منشغلة وراءه، وهو لم يبال،
ولم يلق حتى نظرة واحدة إليها..

حتى صكت مسامعه عبارة المذيعة تقول: (خبر
عاجل إختفاء غامض للممثلة إسراء الشهاوي يثير
القلق، فبعدها عرف الجميع إنها في المستشفى إثر
حادث على الطريق اختفت ولا أحد يعلم أين هي!
فدعونا نرحب بوالد إسراء ...)

عند هذا الحد وتوقف سمعه عن السمع وأستدار
برأسه..

وتلقى الطامة الكبرى وهو يرَ صورتها تأخذ نصف
شاشة العرض، وهب واقفاً والشرر يتطاير من
عينيه وهو يدقق النظر في صورتها المعروضة..

هي بذات نفسها..

بملاحها الطفولية..

وبملابس تكشف أكثر مما تستر..

فأخرج هاتفه وكتب اسمها في خانة البحث وراح

يستقصى كل أخبارها..

وكل صورها الفاضحة مع الشباب وغير...

والغضب يتفاقم في داخله..

يتبع...

#والتقينا

#ندى_مدوح

5_ الحقيقة

الخوف يا صاحُ على عزيزٍ أن سكن قلب المرء
دمره إلى فُتاتٍ تناثرت شظاياها ولم تطمس أثره
الرياح، فيظل يؤلم صاحبه.

غضبٌ عظيمٌ نما في جسد بلال، وأترع قلبه..
كظمه في داخله، وهو يدخل للدار وقد نوى في
جنبات نفسه أن يُخرجها من منزله، لم يكن ذلك
هينٌ عليه..

ممثلة في منزله؟ وسط عائلته! ربما قد تدمر
 المنزل الذي مضى عمره يرممه ويبنيه لبنة لبنة.
 ما بالِ الفتن لا تتول عنه رغم توليه عنها؟
 تلتفت إليه رغم إنه يحاول تجنبها قدر استطاعته
 وهو يستعين بالله العلي العظيم.

ولج (بلال) للداخل، وغضب هائلٌ يتدفق من
 عيناه، وأول ما وقعت عيناه عليه هو والدته
 بوجهها البشوش، ورنت ضحكتها على أوتار قلبه
 فأزالت كل غضبٍ حل فيه..

وكل حزنٍ خامره..

وكل خوفٍ زاره

وكل وجعٍ سكنه

كأنما رؤية والدته سحرًا محي كل عصبيته، وإذا
 بوجهه يلين، ويستعذب الضحكة الأنثوية الرقيقة

التي ندت من (إسراء)، وتتبه لصوت أخته
(سهير) تقولُ وهي تضع كفها على منكبه في

حيرة:

_بلال، مالك واقف كده ليه؟ وإيه رجعتك بدري

كده! في حاجة حصلت معاك، أنت كويس؟

فتفرس (بلال) النظر في عينيها بشك ملاً لُبه.

أخته لا ريب تعلم من تكون إسراء حق العلم، لذا

فجذبها من مرفقها وسحبها وراءه لأقصى مكانٍ

في الصلاة، وانحنى على رأسها والشرر يتطاير

من عيناه، وسألها في غلظة، وهو يضغط على

مرفقها بقوة أمتها:

_أنتِ تعرفي مين هي صح؟

تفأجنت (سهير) بصنيعه، ومن أقسوته التي لأول
مرة تذوقها، فهممت بتلعم متصنعة عدم الفهم:

_هـ.. هي مين دي؟

فضغط بلال على مرفقها وهو يقول من بين
أسنانه:

_متستعبطيش يا سهير أنتِ عارفة اقصد مين،

إسراء الشهاوي مش ممثلة برضو...

وجاءه الرد، لم يكن من أخته، بل انبعث من وراءه

بصوت متوتر ناعم رقيق يهمس:

_ايوة أنا.

وما كاد يلتفت إليها، وقد كانت إسراء تتقمص دور

المقهورة، وتستجلب دموعها في يسر إلى مآقيها،

وتنهمران على وجنتيها بطريقة مشفقة، وهي

تقول بصوتٍ واهي:

_مقولتكش عشان خوفت مترضاش إني أعيش
معاكم.

فجز بلال على أسنانه وأشار لها بطول ذراعه على
الباب وهو يهتف:

_طيب بما إنك كدبتني عليّ فيلا اطلعي من بيتي
وانسي في يوم إنك شوفتيني.

فترقق دمع صادق في عينيها، لا تدرٍ لم يعاملها
بهذه الطريقة، ولم قلما رآها يتعصب، فدافعت عن
نفسها بصوتٍ شاحب وهي مطرقة :

_قبل ما امشي لازم تعرف إني مكدبتش عليك لأنك
مسألتش، والغلط كان منك لأنك منتبهتس لما كنا
في المستشفى لأي حد نادني بـ (الممثلة إسرائ)
ورفعت عيناها تنظر بعمق في عيناها فارتبك
وانتفض قلبه..

عيناها كانت تعاتبه..

تعاتبه كأنه تخل عن مسؤوليته تجاه ابنته..

تخبره إنها تكن له معروفاً لن تتساه..

ومشاعر ستحياها..

أيمكن للقلب أن يعرف توأمه؟! فيطمئن ويأنس

ويسكن!

أسبلت جفنيها هرباً منه وهي توليه ظهرها بعدما
ألقت نظرة خاطفة إلى سهير التي بادلتها النظر في
إشفاق وعجز، وتحركت في تودة جهة الباب
فأوقفها صوت والدته:

_ استني يا بنتي..

وهمت بالنهوض فهرول بلال إليها وأسندها بكل
حنان الدنيا، لكنها شدت على يديه وعاتبته قائله:

من أمتي وإحنا بنعامل ضيوفنا كده؟! تعالي يا
 بنتي أنتِ مش هتطلعي من البيت ده غير لما
 تطلبي بنفسك الخروج منه، واللي مش عاجبه
 كلامي ف...

وصمتت، وفهم بلال ما ترمي إليه، كانت تقصده
 إن لم يعجبه حديثها فليرحل، فلاذ بالصمت، قول
 أمه أمر يجب تنفيذه في الحال.

وتبسمت إسرائ في ظفر، وتبادلت نظرة تحد مع
 بلال، الذي أجلس والدته في حنان أسرها..

فأضحت حبيسة لهذا الحنان

تتمنى لو تطاله..

أن تذقه..

وتتذوقه..

وتحرك بلال للخارج، وما هم بعبور الباب حتى
توقف متذكراً هيئته إسرائاً في ملابس المستشفى،
فدس يده في جيبه وأخرج من محفظته بعض
الأموال، ونادى أخته التي أقبلت عليه سائلةً في
اهتمام:

__ إيه؟

فمال على أذنها، وهو يضع المال في كفها، قائلاً:
__ هاتيلها لبس بدل لبسها ده.

ومن وراءهما كانت إسرائ تسترق السمع، وتفجر
في نفسها الفرح كله..

سعادة لا تدر سببها اترعت فؤدها..

ثمة من يهتم لأمرها..

لأول مرة تأخذ مال من أحد، شبت في منزل هي
من تعوله، تملك ابّ دون عمل فقط كل ما يبغيه

هو الجلوس والأكل والشراب والنوم فقط وأن
يأتيه كل ما يريد حتى لو كان ذلك على حسابها

هي..

أو حساب عرضها..

وترقرق دمع الأسى في مآقيها، وانفطر قلبها أين
نخوة الرجال الذين يتحدثون عنها في أب باتت هي
المسؤلة عنه لا العكس!

لماذا لا تملك احد يرهاها!

لِمَ وُلدت للشقاء؟

غادر بلال، وذهبت سهير لشراء ملابس لها، وقد
آثرت عدم الخروج حتى لا يعرفها أحد وتسبب
مشاكل لمن آواها في بيته.

وبقت هي برفقة والدته (عايدة) تلك المرأة الكفيفة
التي تعاملها بحنان وعندما علا الآذان، قالت لها
المرأة وهي تهم بالنهوض:

_هروح اتوضى عشان الصلاة، أنتِ مش
هتصلي؟

تساءلت ويا ليتها لم تسأل!

فلم تكن إسراء من المصلين، وتملكها الخجل من
رأسها إلى أخمص قدميها، وهي تعاون المرأة
على الوضوء، بعدما عللت:

_لا أنا.. انا مش هقدر أصلي.

وصممت المرأة محتسبة إنها تعاني عذرًا يمنعها
من تأديها فرضها، وشرعت في صلاتها، وإسراء
تأملها حائرة..

ذاك الخشوع والسكون الذي غشى المرأة جعلها
أسيرة

وقبضة باردة اعتصرت قلبها..

واستمطرت عينيها الدمع بخنقة تكاد تُدميها..

حتى عمرو الصغير أخيه يصلي، لكنه يصلي في
الجامع..

الصغير يصلي ويعرف كيفية الصلاة ويؤديها..

وهي لا؟!!

أليس هذا خزيًا؟

لكنها لم تملك من يعلمها، لقد درجت في منزلها

على جشع أبيها الذي كل همه المال..

والعجيب إنه يُريد المال وهو جالس، مرتاح..

فألقاها هي في طيات الحياة تسعى لجلب ما يحتاج
إليه ويأخذه هو على طبقٍ من ذهب، دون ان يسئل
عن حالها وما الذي تبتغيه..

ما دام الأمر فيه راحتها فتبًا لها بعد ذلك ..

كان أبٌ يخجل العالم منه، فما بالك بها!؟

لم تمض سويعات قليلة، وعادت سُهير، والحزن
يكسى وجهها، حتى إنها لم تنبس معها ببنت شفة،
فقد وضعت لها الحقائق التي تحوى الثياب،
وسارت تجاه غرفتها كصنمٍ من الشمع يذوب وجعًا
دون أن يشعر به أحد لظنهم إنه ما دام متوهجًا فلا
يعاني.

فتحير قلبها لأجلها، ونهضت في تأنٍ متجهة إلى
حجرتها، فوجدتها قد استلقت على جانبها، وأولت
الباب ظهرها، فطرقت الباب في خفوت متوتر،

وبحركات بطيئة مرتبكة انحدرت نحوها، وجلست
بجوار رأسها..

وتناهى إليها بكاءها الخافت المؤلم، فأوجعتها تلك
الدموع، وشعرت بالأسى لأنها لا تدرك ما ألم بها،
وبعد ثوانٍ من التردد، وضعت كفها على منكبها،
وهمست بصوتٍ خفيض:

_سُهير، أنتِ .. أنتِ كويسة؟

وعندما لم تتلقَ رد، استدركت في قلق:

_هو بلال زعلك بسببي؟!!

فهزت سُهير رأسها، واستوت جالسة وهي تتفجر
في بكاء ونحيب يُدمي القلب، فأضنى ذلك إسراء
وأسرعت تضمها وقد انهمرت دموعها تشاركها
الدموع، فأستكانت سهير في حضنها، وهي تقول
بصوت متهدج إثر البكاء الذي لم ترقأ عيناها
منه:

_ هقول لبلال إزاي انا دلوقتي؟! حمله هم زواجي

إزاي! قوليلي إيه الحل؟

في حنانٍ دافق، مسحت إسرائاً بسبابتيها دموع

سُهير، رغم عينيها التي تستمطر الدمع حزناً

لحزنها، وأردفت بصوتٍ حنون مفعم بالاهتمام:

_ اهدي يا سُهير، كل حاجة وليها حل، قوليلي إيه

اللي مخليكِ تبكي كده! مين مزعلك؟

شردت سُهير للحظات قبل أن تقول بخفوت:

_ خطيبي عايز نقدم الفرحة بس المصيبة مش هنا!

سكتت عند هذا الحد، وانفجرت باكية في انهيار

وهي تدفن وجهها في حجرها، فرقت إسرائاً

لحالها، ولم تطق صبراً على بكاءها:

_ اهدي طيب عشان افهم، ماله خطيبك؟ ومصيبة

إيه؟

ثم رفعت كفها وأدارت وجه سُهير إليها،
وغمغمت:

بطلي عياط عشان افهم وتعرفي تتكلمي.

فلاذت سُهير بالسكوت لفترة، حتى خفت نحيبها،
وخدمت شهقاتها، وقالت:

_خطيبي ...

ثم قاطعة قولها مستدركة:

_قصدي جوزي يعني لإننا كاتبين كتابنا، طالب

مني أكلم بلال عشان نقدم الفرحة وكمان..

بترت عبارتها وقد خنقتها الدموع، فأسبلت اهدابها

فهطل الدمع في غزارة، مع قولها بصوت خافت:

_عايز يجي يعيش هنا وكمان يكون كل متطلبات

الفرح على بلال وإلا ..

تهدج صوتها وهي تتفجر أكثر في البكاء وترتمي
في حزن إسراء:

__وإلا هيسبني ومش هيتجوزني.

طار عقل إسراء من قولها، وتفاجئت مما تفوهت
به، فمستت على ظهرها، وهي تصرح بهدوء:

__متشليش هم حاجة انا مستعدة اتكفل بكل الفرحة
واعملهولك في احسن مكان لو تحبي، ولو على
الشقة أنا هشتريك واحدة.

فأبتعدت سهير في ضيق، وحدجتها بنظرة خانقة،
وغمغت:

__اسكتي الله يرضي عنك.

ولم تنبس إسراء ولم تحاول قيل ما قالته مجددًا،
وفجأة سألتها سؤال حار فيه العقل:

_سُهير، أنتِ بتحبي جوزك ده؟ باين له مش

زيكم!

فشردت سُهير طويلاً، واحترمت إسرائ ذلك فلم
تنبس ببنت شفة، حتى انبعث صوت سهير بحزنٍ
دفين كأنما يأت من مكانٍ سحيق، وهي لا تزل
ساهمة:

_بحبه أو مش بحبه هتفرق إيه؟ مش المهم
خلاص سكتت السنة الناس ومحدثش بيقول عليّ
عانس تاني، هو أنا جالي الأحسن منه وقُلْتُ لأ!
وضحكت في وجع يُفطر القلب وهي تسترسل:

_مفيش غيره المتاح، مين هيرضى بعانس

زيي؟!

فعبست إسرائ متعجبة؛ عن أي عانس تحكي.

ومن طالها العنوسة!

إنها لا تزال شباب!

ذات ملامح رقيقة!

واسفاه.

على البشر حين يظنون تأخر الزواج عنوسة!

وإن قطار الزواج لا يقف لمن تخطت الثلاثون!

تبًا لهم! وهل يفوت القطار أحد؟!

هذا القطار بالذات يقف في كل المحطات.

فهمت إسرائ مستنكرة بانفعال:

نعم!! أنتِ بتقولي إيه بجد؟ مين دي اللي عانس!

أنتِ مش بتشوفي نفسك في المراية ولا إيه؟ يا

بنتي أنتِ قمر.

لكن سُهير تبسّمت في سُخرية مريرة، ظنّ إن

إسرائ فقط تطيب خاطرها، ثم غمغت باختناق

مؤلم:

_بلال هيتحمل قد إيه دلوقتي؟ لولا إن تمنى الموت
حرام كنت تمنيته..._

فضمتها إسراء ولم تنبس، لم تجد كلمة تواسيها،
فآثرت الصمت والطبّيب على ظهرها في
مؤزارة.

❁ اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد ❁

وعندما عسعس الليل بظلامه، كان بلال يعود تنوء
ملامحه بهمٍ جثيم يجثم على صدره، رغم ذلك كان
متبسّم المحيا، منشرح الملامح في رضى تام، وقد
أبلغ سُهير في فرحة أن تتجهز لعرسها الذي
اقترب..

ثم أنبأهم بمكوته في السيارة حتى الصباح، بسبب
تواجد إسرائيل.

أحست إسرائيل بتأنيب الضمير، فلحقت به وقبل أن
يدلف إلى سيارته توقف على صوتها المنادي
باسمه في رقة، فأغمض عيناه مستغفراً، ورد دون
أن يجيبها، بإيجاز:

__خير، بلال كره اسمه من يوم ما شافك!

فابتلعت إهانتته وهي تهمس في توتر:

__هو أنت هتنام في العربية بسببي؟

فرد بضيق:

__وهو في سبب غيرك!

ثم لم يلبث إن غضب من نفسه بسبب معاملته
الحادة لها، فنفخ في حنق، ولان صوته قليلاً، ثم
أردف يقول:

_نفسى أعرِف أنتِ بجدِ وراءكِ إيه؟ إزاي جالك
 قلبِ تَقَلِّقى والدكِ عليكِ بالشكلِ ده؟ قلبكِ مرقش
 ليه ولا أنتِ مفكيشِ رحمة، دا أنا صعبِ عليّ وأنا
 بتابعِ البرنامجِ اللي استضافه..

قطعِ عبارته، ضحكته المنطلقة بصوتِ عالٍ،
 ممزوجِ بالوجع، فلمِ يجدُ بدءًا من الإلتفاتِ إليها،
 ورأى رأسها المرتفعة مع ضحكاتها العالية،
 وتساؤلها بصوتِ ضاحكٍ متألم:

_كانِ بابا ماله بالله عليكِ قولى؟!!

وعاد رأسها يرتفع مقرونًا بضحكتها الصاخبة،
 وتفاجئ بلال عندما سكتت بغتة كما ضحكت على
 حين غرة، وتلاقت عيناه بعينيها المشبعتين
 بالحزن، وراقب خطين من الدمع التي أخذت
 بالإنحدار على وجنتيها، حاول أن يغض الطرف

عنها لكن قلبه لا يغض، فازدرد لعابه في ثقل،
وسألها بحيرة:

_بتضحك ولا بتبكي؟! إيه اللي يضحك في كلامي!
فأمعنت النظر في عينيه، ثم بثت له شجون قلبها،
قائلة:

_اللي يضحك إني مصعبتش عليك، وصعب عليك
بابا، أوقات كتير بسأل نفسي يا ترى مين فينا اللي
بيعرف يمثل.. أنا ولا هو؟! اصل في بعض الأحيان
بيكون هو ممثل أفضل مني.

قطب بلال حاجبيه بعدم فهم، وأفصح:

_مش فاهم!

فتنهدت آخذه نفس عميق، ورددت:

_عمرك شفت أب بيشغل بنته عشان يرتاح؟!!

يشغلها في أي شغل عشان الفلوس!؟

عمر ك شفت بنت هي اللي بتصرف على أبوها؟!
 تأكله وتشربه وتصرف عليه وهو واكل نايم شارب
 مرتاح، مش مهم اصلاً راحتها هي ولا سعادتها
 اهم حاجة الفلوس اللي هتيجي منها تغور هي بقا.
 ده باختصار بابا شخص كده عايز يفضل نايم
 مرتاح وكل حاجة تجيله لحد أيده، اكدب عليك لو
 قولتلك إني بعبره أب، لأنه عمره ما حسني
 بكده.

سخط هائل تعاضم في صدر بلال على هذا الأب، و
 ود لو يلقاه فيعلمه كيف يكون أب..

وتمنى لو يمحو كل ذاك الحزن القابع في عينيها
 والساكن قلبها لكن ما باليد حيلة، لذلك فقط عرف
 إن أمان إسراء ليس أبيها، فتاة مثلها بحاجة إلى
 أمان

والأمان شيء محال أن نجده، في زمان بات فيه
الطغيان يغشى قلوب الجميع.

وبات الرجال أشباه لرجالٍ قد غادرو الحياة.
لم يعرف كيف يواسيها أو ما ينطقه، فخرجت
الكلمات من فمه بلغته الفصحى التي يهيم فيها،
قائلًا:

لا يكلف الله نفسًا إلى وسعها، الله عز وجل لم
يختارك لهذا البلاء عبثًا إنما لحكمة يعلمها هو
الواحد الأحد، الإبتلاء يا إسراء لا يكون فقط في
المال والصحة والغنى والفقير إنما.. في الأهل أيضًا
وابتلاءك عظيم فتسلحي بأعظم الأشياء وهو
الصبر ذاك الباب الذي يدخله الصابرون بدون
حساب وإن مع كل دمة تكفيرة، يقول الحبيب ﷺ
"ما يصيب المسلم من هم، ولا حزن، ولا وصب،

ولا نصب، ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر
الله بها من خطاياها" رواه مسلم.

كل دمة أنتِ مأجورة عليها.

أيمكن لكلماتٍ أن تكون بلسماً للندوب!

أيمكنها أن تمحو كل دمة!

وتزيل كل نغصة!

وتطيب الفؤاد!

هكذا كان وقع كلماته على قلبها، كلماتٌ طيبت
روحها، فإذا بها تسأله في راحة لم تخامر قلبها
يوماً:

ـ وليه ربنا يبتلينا؟!!

فتبسّم في إشراق، وشرّد للحظات قبل أن يقول في
خفوت:

لتكفير الخطايا، ومحو السيئات، وزيادة

الحسنات، ورفع الدرجات .. يبتلينا لنتوب ليغفر

لنا ويقربنا إليه حتى نعلم إن لا ملجأ لنا إلا هو

وإن الحياة الدنيا ما هي إلا لعبٌ ولهو.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس

بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل... فما يبرح البلاء

بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه

خطيئة" رواه البخاري.

ربما أرد الله أن يمحص قلبك، ربما هو عتاب لك

لكي تعودني إلى الصراط المستقيم وتهدي

وتهدي.

وزفر زفرة ثقيلة مخرجًا فيه كل ما يعتمل صدره،

ونظر لها متابعًا:

وتارة يكول البلاء عقاب للمؤمن كما قال الرسول

صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليحرم الرزق

بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد
العمر إلا البر" رواه أحمد، فعليك بالدعاء
والتضرع إلى الله والصبر والتحمل، ومن يدرِ قد
يهتدي إليك.

أرادت أن تضمه أن تختبئ في صدره وتخبره إن
لذة كلامه أسرت قلبها، وإن حديثه شرح صدرها،
ولأول مرة يتبسم فؤادها بصدق.

❁ اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد ❁

استيقظت إسراء على حركة سهير التي كانت تفتح
ضلفتي النافذة وتستنشق هواء الفجر النقي البارد
بنفسٍ راضية، فسألتها حائرة:

إيه اللي صحاك الفجر لسه هياذن!

فغمغت سهير وهي تستدير إليها:

_صحيت لصلاة الفجر، وبحب اسمع صوت بلال
في الأذان.

هتفت إسراء في لهفة وهي تقفز واقفة بجانبها
وقد زال كل أثر للنوم من عينيها:

_هو .. هو بلال بيأذن؟

وجاءها الجواب عندما علا صوت أذان الفجر،
بصوت بلال متوغلاً في مسام روحها، مستقرًا في
شغاف قلبها، كانت لأول مرة تهتم بالأذان أن
تسمعه في هدوء دون أدنى حركة..

وأدنى صوت..

ويا له من شعور..

وعندما أقبل الصباح، وعاد بلال من الجامع،

هرعت إلى النافذة، تراقبه وهو يداعب أخيه

الصغير عمرو دون كلل..

من يراقب شخصاً كبلال..

لا يتطرقه كلل ولا ملل..

فمراقبته حياة لقلبها

وبرؤيته تتفتح اكمام روحها

ليتها تستطع مشاركته تلك الجلسة، فكم تحسد

عمرو الصغير على إمكانه الجلوس معه وقتما

يشاء ومتى يحلو له..

ليتها جزء من عائلته!

لم يمض دقائق قليلة وهي تقف في النافذة لا تحيد

البصر عنه وهو في سيارته مفتوحة النوافذ، إذ

أقبل صبي هاتفاً في جزع:

_الحق يا بلال، الحق يا بلال الست أميرة
بتتخايق..._

ورأت بلال ما أن اخترق الاسم سمعه يهرع من
سيارته تاركًا بابها مفتوحًا إلى ثلثة من الرجال
وأخرى من النساء وبدا إن عراقًا حاد نشب
بينهم.

كل ذلك لم يثر اهتمامها إلا اسم أميرة الذي جعله
يهرع بكل لهفة إليها، ومن مكانها رأت صراعًا
ينشب بينه وبين أحد الشباب..

كان شاب بدينًا يبدو على ملامحه الشر والبطجة،
فتوجست خفية في نفسها، وعاد بلال يختفي عن
أنظارها، وتهدأ المعركة ويمر وقت قبل أن يمر
بلال من وسط الجمع ممسكًا بحنان بكف فتاة.

يتبع ...

رأيكم؟

#والتقينا

#ندى_ممدوح

6_ الغيرة

هي الدنيا تفرق ساكنيها
وفي الذكرى تزيدهم اقتربا
ألا لا تعجبي لي من نحبي
فإن أمانا العجب العجبا
(محمود شاكر)

تأججت نيرانُ الغيرة في قلبِ إسرائ، نيرانِ راحت
تأكل قلبها الخافق بين ضلوعها، وتملكها خوفٌ
عظيم وضيق تفاخم في نفسها حتى ملأ كل
حناياها، وغابت بنظرة شاردة على راحتها التي

تضم كف الفتاة في حنان وعتاب، وتجمع دمع
غزير في عينيها.

لم تدرِ جم تلك المشاعر الغريبة التي تجتاحها.
غريب أمرها ومحير.

هل وقعت في حبه بتلك السرعة؟!!

لقد أرادت أخذه جسر تمر عليه وتتوقف قليلاً
متوارية فيه عن والدها، فتعثر في قلبه؟

لم تنتبه إليهما عندما دخلا الدار ودار بينهما حوار
حاد، بل لم تفق من شرودها إلا على صوت أميرة
التي قفزت إليها وامسكت بها وهي تهتف وقد طار
صوابها:

_ إيه ده .. إيه ده؟ الممثلة إسراء بنفسها هنا؟!
بتعمل إيه عندنا؟

فدفعت إسرائ يديها عنها في عنف بيّن وكره نما
على ملامح وجهها، وهي تصيحُ فيها مترجعة
للوراء:

إوعي كده أبعدني عني.

فذهلت أميرة من ردة فعلها الحادة العدائية،
وتلاشى مرحها سريعًا وتجهمت، وهُنا علا صوت
بلال، هاتفًا في صرامة:

_اتكلمي مع اهل البيت اللي آوينك حلو، وإياك
وأميرة عشان مش هسمح لك._

فتساقطت الدموع على وجنتيها و ولت مغادرة
المكان، فعاتبته سهير على قوله، وتبعته لداخل
الغرفة وهي تقول:

_إسرائ، متزعليش من بلال هو بس مبيحبش حد
يزعل حد فينا، اللي بيزعلنا يزعله وأميرة دي

أخته اللي محدش يقدر يهوب لميها بحرف
وحش.

فوثبت إسراء عن الأريكة، وبعينين برقاتين،
هتفتت متهالة:

_أخته.. البت اللي برة دي اختكم، غريبة محدش
قلي.

فجذبتها سهير من معصمها وجلست بها على
الأريكة وهي تغمغم:

_هي بنت خالتنا، وتبقى أخت بلال في الرضاعة.
فتتفتت إسراء الصعداء، وأشرق أسايرها،
بالفرح.

في الخارج كان بلال يدلف إلى سيارته وما كاد
يشغل محركها، إذ ارتفع رنين هاتفه برقم زوج
أخته، فنفخ بضيق وهو يتذكر شجاره معه ليلة

أمس عندما أخبره دون حياء إنه يود بعد الزواج
من اخته أن يسكن معهم، متعللاً من أين له بشقة
في هذا الغلاء، فجذبه بلال من تلايبب ملابسه
ونشب بينهما شجار فكه المارة.

وحينها لم ينس صرخته له وهو يقول:

_ خلاص ياخويا خلي أختك تعنس جنبك وشوف
مين هيرضى بيها، بذمتك انت اخ؟! هو الأخ يكسر
قلب أخته ويحرمها من اللي بتحبه!؟

وذهب بلال إلى المسجد حين ذاك بكل الهم الجاثم
على قلبه، وهناك ناجا ربه وفكر طويلاً. قبل أن
يتخذ قرار الموافقة.

لا يمكنه كسر قلب أخته..

لن يحدث ويكون سبب تعاستها..

سيقوم هو بإستئجار شقة لهما ويتولى دفعها لا
 بأس من أن يحرم نفسه مما يريد في سبيل
 راحتها، ولا ضير من التعب لساعاتٍ إضافية
 لسعادتها.

هو من الأساس لم يقبل بهذا الرجل زوجًا لأخته،
 لم يراه يومًا الرجل الذي يستحقها، هو لن يكون
 زوجًا جيدًا يعلم هذا وربما قد تعاني أخته لكن ما
 باليد حيله..

فحين رفضه عندما تقدم لخطبتها تأرت وماجت
 وخاصمته وقضت أيامًا لا تبرح غرفتها، والدموع
 لا ترقأ من عينيها، فعلى مريض تقبل الخطبة، كان
 يدرك أن أخته مثلها كمثل باقي الفتيات تفرح
 بقدوم العريس دون أن تفكر بالعواقب.

لكن أخته ليست مثلهم فقط تخطت الثلاثون ولم
يتقدم لها أحد فشاء القدر أن يأتي (عماد) ويكون
هو النصيب.

ثم تذكر وهو يغتصب نفسه اغتصاباً ويتحامل
عليها ويذهب إليه موافقاً بأنه هو من سيتكفل
بالشقة ولن يعيشوا معهم هو لن يقبل بغريب
يسكن منزله وأمه موجودة، وإنه سيشاركة
مصاريف الزفاف.

انتشل بلال نفسه ليرد على عماد الذي لم ينفك من
الرن دون كلل، فجاء صوته البغيض قائلاً:
_مرحب بأبو نسب، اخبارك إيه؟ واخبار مراتي؟
فرد بلال بصوت حائق ولم يقاوم إخفاء ضيقه:
_خير يا عماد، عايز إيه؟

صكت مسامعه ضحكت عماد فأبعد الهاتف عن
اذنه وسمعه يقول:

بقول بلاش تأجيل اكر من كده ونعمل الفرخ،
بس آه أنا يا بلال يا خويا بقول نعمل الفرخ على
الضيق كده بلاش نعزم ناس كتير ونصرف
الفلوس على الفاضي، ولو عايز تعمل فرخ كبير
وتعزم كل الحبايب يبقي كل حاجة عليك، قُلت إيه؟
فأغلق بلال الهاتف في وجهه، ولكم قبضته في
عجلة القيادة، وهو يكبح غضبه ذاك عماد لا ينفك
عن رأسه، رغم إنهما حددا يوم للزفاف إلا إنه
يحاول أن يقدمه اكثر..

وهو لا يريد..

لا يريد لأخته من الأساس أن تتزوج.

في ذاك الوقت كانت إسراء تراقبه من النافذة بقلق
حقيقي تشعب في روحها وهي ترى ضيقه وغضبه

الواضحان وضوح الشمس، فلم تستطع على ذلك صبرًا، وجزعت وهي تتحرك مبتغية الحديث معه، وما أن فتحت الباب وكادت تعبره حتى رآته ينطلق بسيارته، فشيخته بقلبٍ واجف، وعينين حزينتين، ثم عادت أدرجها للجلوس برفقة سهير و.. أميرة التي لم تستطع منها فكاغًا.

اللهم اغفر لي

عندما عاد بلال في المساء، عاد بعينين غائبتين، وقلبٍ شاردٍ مهموم، وروحٍ هائمة .. ضم أخته بضمةٍ حنونةٍ مشحونةٍ بالعاطفة وهو يخبرها بصوتٍ خفيضٍ كأنما يأتي من مكانٍ سحيقٍ:
_ حددنا الفرح أنا وعماد الأسبوع الجاي.

أيمكن للمحب أن يسفر فؤاده أمام محبوبه صفحة
بيضاء فيشعر به!

يتألم لألمه..

ويبكي لبكاءه..

ويتعذب بعذابه!

أما إنه سل عليها أشعة غشتها فلا ترى عينيها إلا
هو؟

أم باتت عيناه كنافذة يطل منها وجع قلبه دون
تواري!

آه لو تكون جزءاً من هذه العائلة الدافئة، وتتعم
بالحب والأمان.

يا ويح فؤادها أن غادرهم وعاد لغربته.

لم تشعر إسرائء بدمعها الذي تساقط مع بكاء سهير
التي تضم أخيها كأنها لا تود الإبتعاد عنه، وهو
يطمئنها بأنه سيظل معها..

سيبقى أبد الدهر السند الذي لا يميل..

والعكاز الذي لا ينحني.

ثم غادرتهم سهير إلى والدتها لتبشرها، وخرج
بلال دون أن يلقي عليها نظرة واحدة فقط قال قبل
أن يغادر:

أُكيد سمعتي دلوقتي اللي قولته وبعد رحيل سهير
لازم متبقيش في البيت عشان مينفعش وأنا لازم
أهتم بأمي.

فجاءه الرد من والدته التي تخرج من غرفتها
بمعاونة سهير:

إسراء هتفضل يا بني تعوضني غياب أختك هي
وأميرة لحد ما تعود على غيابها.. وتبقى تمشي
لما تزهدق مننا وتقول عايزة أمشي.

فنفخ بلال بثقل وأخذ أخيه عمرو وغادر ليظل في
سيارته التي يقيم فيها الليل، فأسرعت إسراء إلى
عايدة تبارك لها زواج سهير، ثم أخذت سهير
جانبًا وسألته بهمس:

سهير، أنت واثقة أنك عايزة تتجوزي الإنسان
ده، دا أنا قرفت منه وأنت بتحكي لي عنه، صدقيني
مش ده اللي راحتك هتكون معاه.

فألتمع الدمع في عينين سهير، وهي تقول:

هو نصيبي وأنا رديت بيه.

ثم ضحكت متصنعة المرح، وغمغت:

_ أقولك أنا عايزة عريس زي بلال كده عارفة

هعمل إيه؟

هزت إسراء رأسها، وسألتها:

_ هتعملي إيه؟

قالت سهير بضحكة كتومة:

_ همسك فيه بإيدي واسناني..

ثم تابعت بيأس:

_ بس للأسف اللي زي بلال نادرين جدًا.

فتهالت أسارير إسراء وهي تهتف:

_ يا ريت الكل زي بلال كده.

رن في هذه الأثناء هاتف سهير، فأسرعت لتجيب

على زوجها وهي تستأذن من إسراء، التي تحركت

بتردد إلى الخارج وهي لا تدري لِمَا.. أو ما الذي

ستقوله له؟!!

وفي خطوات متلكئة اتجهت إلى السيارة، وقبيل وصولها رآته جالسًا على مقدمتها، ثانيًا إحدى ركبتيه وفاردًا الأخرى، وبجواره أخيه الصغير عمرو، وتسمرت قدميها، عندما تخلل صوته الرخيم إلى أذنيها، متسللاً إلى قلبها وهو يقول بصوتٍ هائم:

_بلال بن رباح؟

بلال ..! وما يدريك من بلال!

إنه رجلٌ إذ ذُكر وثبَّ القلب من رقاذه من هيئته، يسألُ من أي الجوانب أتأمل؟

ومن أي جانب ألتقط صورة لهذا الصحابي الجليل الذي نال من العذاب شتى أنواعه ولم يتزعزع ولم يتقهقر، بل ظل شامخًا، رافع الرأس يُرددُ ذكر الله.

إنه صنيدي من صناديد صحابة رسول الله إذ سُمع
اسمه انحنت الرؤوس مهابة تسحُ الدمع خجلًا
منه.

نعم هذا الباسل من ذلك النوع الذي تحيرت
إزاءهم، من أي جانب ألتقط صورة له!
أألتقط صورة معذبه الذين ملوا وتعبوا من تعذيبه
وهو المعذب الذي لم ينل الإعياء من روحه وقلبه!
بل زاده إيمانًا وإصرارًا وتحمل.

حقًا .. نحنُ بصدد الترحال مع صحابي ستشتاق
الأذنُ إلى سماع صوته المؤذن، ولتهفو الروح إلى
تطيب جراحه، وليتقوى القلب من إيمانه، ويتعلم
من صبره.

هيا بنا إذن إن كنت جاهزًا..
وإن أصغى قلبك بكل شغفٍ ولهفةٍ..

وإذ تَلَأَت عيناك ببريق الإشتياق ..

هلم بنا ولا تبطأ.

إلى حيثُ مؤذن رسول الله..

إلى من سمع الحبيب خشخت نعليه في الجنة

هيا بنا إلى بلال بن رباح..

ودق قلبها في عنف، وتلاحقت أنفاسها، وأصغت

بكل حواسها، وجوارحها، فلا تدر ما أصابها..

امن صوته الخاشع السجي..

أم وقع اسم الصحابي الجليل على قلبها..

أم مهابة؟!!

مشاعرها ماجت في داخلها وهي تترقب، حتى

تناهى لها تهيدت راحة نَدَّت عنه، وهو يسترسل

بصوت يقشعر الأبدان:

_ هيا بنا إلى بلال بن رباح..

نحيا معه بعض من بطولاته التي ستظل إسوة
لنا..

نشأ بلال في مكة، لأبٍ كان يُدعى (رباح) وأمُّ
تدعى (حمامة) وهي جارية سوداء مملوكة..

عندما هل نور الإسلام على مكة المكرمة

كان بلال من السابقين إلى الإسلام..

كان بلال في ذلك الوقت عبداً مملوكاً، لأناس من

بني جُمَح بمكة، وكان يسمع أخبار النبي ﷺ مع

أمية بن خلف وهو يتحدث مع أصدقائه ورجال

قبيلته عن الرسول ﷺ وقلوبهم تمتليء غيظاً

وكرهاً.

وسمع بلال ما يتفوهون به عنه، وهم لا ينكرون
اخلاقه وصدقته وأمانته، فأحس بلال بأن هذا الدين
هو الدين الحق..

واستجاب بلال للدين الحق ورحب قلبه بنور
التوحيد ليجري في اورده مجرى الدم..
فيذهب إلى النبي ويعلم إسلامه رضي الله عنه..
ومن هنا تبدأ أجمل بطولات بلال..

ونر كيف تشعب الإيمان في قلبه حتى بلغ كل
مبلغ..

وعندما علم أولئك المشركين بإسلامه، حتى أذاقوه
شتى أنواع العذاب..

والآن تعال نرتحل مع بلال وهو يعذب من قبل أمية
بن خلف وقومه..

لعلك تعرفها ... ولكننا سنذكرها ونظل نردها أبد
 الدهر لا نمل ذلك، ونعلمها لأبناءنا لنخلدها في
 نفوسهم، ولتعلم البشرية جمعاء كيف تغلبت قوة
 الإيمان على قوى الجاهلية، كان هؤلاء الكفار
 يعذبون المستضعفين من العبيد الموحدين فيمعنون
 في تعذيبهم ويتفنون فيه، لذا قد رخص لهم النبي
 ﷺ لمن يلاقي العذاب في سبيل دينه أن يوافق
 المشركين بلسانه لا بقلبه حتى يكفوا عن تعذيبه..

أسبل بلال جفناه لبرهة، خافلاً عن تلك الباكية في
 صمت مرتجف وراءه، وعاد يقول في هيام يسلب
 لب المرأة، وبصوتٍ يبث الراحة والسكينة في
 القلب:

__أيمن أن تتخيل تلك المأساة، وهذا العذاب

فاحمد الله على أن ولدت مسلمًا، وحافظ على تلك
 النعمة التي وصلت إليك على أشلاء رجال لا
 يتكررون مرة أخرى، ولا تهجر هذا القرآن
 فيهجرك، ولا تترك سنن حبيبك فتتبه في هذه الدنيا
 الزائلة، ولا تدع صلاتك فإنها قرّة عينيك، وراحة
 قلبك، ولقاءك مع الله العزيز، رزقكم الله لذة النظر
 إليه.. وجمعنا في فردوسه الأعلى.

سكت بلال لبرهة، اختلج فيها قلبه مما عانى بلال
 بن رباح، وتهدج صوته وهو يسترسل:

هيا بنا نرتحل معًا إلى حيث رمالٌ ملتهبة على مد
 البصر، والشمس تتوسط كبد السماء، وأنظر هناك
 فثمة رجال نُزعة الرحمة من قلوبهم ينزعزن ثياب
 العبيد ومنهم بلالًا، ويلبسونهم دروع الحديد، ثم

يُعَرِّضُونَهُمْ لِحَرَارَةِ الشَّمْسِ الْمَحْرِقَةِ فِي الصَّحْرَاءِ
لِتَكْوِي أَجْسَادَهُمْ بِمَا يَلْبَسُونَ مِنَ الْحَدِيدِ.

وَلَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ الْعَذَابِ..

وَإِذْ بِقُلُوبِهِمْ تَذَدَادٌ قَسَاوَةٌ، فَيُلْهَبُونَ ظُهُورَهُمْ

بِالسَّيْطِ، وَيَأْمُرُونَهُمْ أَنْ يَسْبُوا مُحَمَّدًا ﷺ

وَكَانُوا هَوْلَاءَ الْمُوَحِّدِينَ إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ،

وَعَجَزُوا عَنْ تَحْمِلِهِ، اسْتَجَابُوا لِهَوْلَاءِ الْمُشْرِكِينَ

فِيمَا يَرِيدُونَ مِنْ سَبِّ دِينِ اللَّهِ أَوْ رَسُولِهِ ﷺ،

فَيَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَقُلُوبُهُمْ تَفْطَرُ بِالْأَسَى عَمَّا يَشْعُرُونَ

بِهِ مِنْ ضَعْفٍ وَهَوَانٍ.

أَمَّا بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ _ فَقَدْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلَمَ

الْبَشْرِيَّةَ جَمْعَاءَ مَعْنَى التَّوْحِيدِ، وَالصَّبْرَ، وَقُوَّةَ

التَّحْمِلِ وَالْإِيمَانَ.

كَانُوا يُلْهَبُونَ ظُهُورَهُمْ بِالسَّيْطِ، وَلِسَانَهُ يُلْهَجُ بِـ)

أَحَدٍ.. أَحَدٍ)

ويطبقون على ظهره بالصخور فما يردد إلا (

أحد .. أحد)

لقد هانت عليه نفسه..

لقد مآك قلبٌ من صخر..

وجسدٌ من الفولاذ..

وقوة إيمان عجيبة..

فلا غرو أن تتعجب وتتسع عيناك ذهولاً وأنت
تتخيل تعذيب بلال، لقد كانوا يخرجون به في وقت
الظهيرة حيثُ تصبح صحراء مكة قطعة من جهنم،
فيطرحونه على الحصى الملتهب مُجردًا من ثيابه،
ثم يعمدون إلى حجر يتوقد نارًا فيجتمع عليه
جماعة من الرجال فيسحبونه، ثم يضعونه فوق
صدر بلال فتلهفه حرارته ويرهقه ثقله.

فيا للألم

ويا للعذاب هذا

وبلال صابراً محتسباً يُرَدُّ أحدُ أحدٍ

فتخيل ذلك ولو تصورته لعلمت كم مؤلم هذا

وصعب ولتفكرت كيف تحمل بلائاً!

ولِمَ؟

إنها الجنة

إنه حب الله

وحب رسوله

لقد أعاته الله على أن يذيق معذبه التعب والعذاب

ولا يناله هو..

اي كلمة سحرية كان يرددها بلال بلى كلل او ملل

فتذيده صبراً؟

لقد صار تعذيب بلال تعذيباً لمعذبيه

أنظر إليهم وهم يتوسلون به ويرجونه أن يثبج
صدورهم بكلمة يذكر فيها اللات والعزة بخير،
فيذكر الله ورسوله، ويقولون له:

قل كما نقول

فيقول لهم «إن لساني لا يحسنه»

صمت بلال لاهثاً من فرط الأفعال، وظل دقيقة
عالق البصر في السماء ببسمة حزينة تزين ثغره،
ثم تابع بقبضة ألم وهو يتخيل تعذيب بلال، وفي
عينيه أتمعت دمة أسي وإجلال:

وتتواتر محاولات أعدائه ومرادتهم له مرة
بالبين ومرة بالعذاب فيظل راسخاً كالصخر،
ولسانه لا يقو إلا على كلمة الحق.

وذات مرة يمر أبو بكر وير تعذيب بلال فيرق له،
 فيجمع من ماله ما يفتديه به من العذاب، ويجيء
 لأمية بن خلف ليساومه، فأغلى أمية الثمن ليعجز
 أبو بكر، ولكن أبو بكر كان كريماً لا يأبه بما ينفقه
 في سبيل الله.

فاشتراه منه بتسع اوراق من الذهب.
 فقال له أمية:

لو أبيت أخذه إلا بأوقية لبعته.

فقال له الصديق:

لو أبيت بيعه إلا بمائة لاشتريته.

ومنذ ذلك اليوم وأصبح بلالاً حراً مستعياً بدينه.

يقول جابر (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا) يعني
 بلال.

ولما أذن الله لنبيه بالهجرة إلى المدينة ... هاجر
بلال رضي الله عنه مع من هاجر.

واستقر في يثرب بعيداً عن اذى قريش، وظل مع
الرسول.

يغزو معه إذا غزا

ويصلي معه إذا صلى

وكان أول مؤذن في الإسلام

وقد شهد بلال بدرًا، ورأى بعينه مصرع عدوه
أمية بن خلف.

ألتقط بلال نفسًا عميقًا ملأ به صدره، ثم أردف
يقول:

وفي فتح مكة هناك فوق الكعبة الشريفة شابٌ
شديد السواد، نحيف الجسد، مفرط في الطول،
صاحب الشعر الغزير في رأسه
انظروا إليه وتأملوه جيدًا.

هل تعرفون ذلك العبد الحبشي؟

نعم، إنه بلال من كان عبدًا في الأمس بات حرًا
طليقًا موحدًا.

تطلعت أنظار قريش حينذاك إلى بلال وهو فوق
الكعبة، يصدع فوقها بالأذان بصوتٍ شجي مترنمًا
به في سعادة.

وتهامسوا القوم وهم لا يصدقون أعينهم

أهذا هو بلال؟ العبد الحبشي؟

ورأى السراج المنير محمد ﷺ يتقدم جحافل
 المسلمين، ويؤذن بلال وتنطلق عبارات هؤلاء
 الحاسدين الحاقدين، فيقول خالد بن أسيد:
 الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يشهد هذا اليوم.
 وكان أبوه قد مات قبل الفتح بيوم واحد.
 وهذا الحارث بن هشام يقول:
 واثكلاه! ليتني مت قبل أن أرى بلالاً فوق الكعبة.
 وهذا الحكم بن أبي العاص يقول:
 هذا والله الخطب الجلل، أن يصبح عبد بني جمح
 ينهق على هذه البنية.
 وهذا أبو سفيان يقول:
 أما أنا فلا أقول شيئاً.. فإني لو تكلمت بكلمة
 لنقلتها هذه الحصاة إلى محمد.
 لقد نصر واعز الله بلال.

كيف يكون هذا العبد الحبشي هو مؤذن الرسول ﷺ

وصاحب الدعوة..

إنها عظمة الإسلام

لقد نصر الله فنصره

ردد كلمة التوحيد

فكان جزاؤه هذا النشيد العظيم

أبعد ذلك تظن إن الله لن يكافئك على كل ما عانيته،

من ألم وحزن، وهم، و وجع وتعب!

حاشاه.

الجزاء من جنس العمل.

هنا وحق لك أن تتعلم إن الله يكافيء عبده على كل

ما يبدر منه.

فهل تعلمت من بلال شيء؟!!

سكت بلال على شهقات ندت من أخيه عمرو،

فألتفت إليه وهاله دمه الغزير فضمه إليه

مشاكسًا، وهو يقول:

بتعيط ليه طيب؟!

فهتف عمرو الصغير وهو يمسح دمه بكف يده:

_عشان كنت عايز أشوف بلال وهو بيأذن، وفرحة

المسلمين بالفتح، يا ترى كان بلال فرحته إزاي

وهو واقف فوق الكعبة بيأذن بعد كل العذاب اللي

عاشه، يا ريتني كنت معاهم، وقدرت اخفف من

عذاب بلال.

فتبسّم بلال من رحابة صدر أخيه، وقال:

_اللي بيحب حد يعمره يقتضي بيه، وأنت لو

بتحب نبيك محمد يبقى حافظ على سنته..

قاطعته فجأة عمرو مبتعدًا عن صدره، وسأله

بتفكير عميق:

_ أنت بتحب تأذن عشان بتحب بلال؟

ضحك بلال بخفة، وقال بصدق:

_ بأذن عشان بحب بلال وعشان بحب الأذان

وبحب ربنا وعشان الرسول ﷺ قال:

إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم ،
والمؤذنُ يغفر له بمد صوته ، ويصدقه. رواه احمد

والنسائي.

ثم استدرك يقول:

_ أنت مش عاوز كماله قصة بلال ولا إيه؟

فصاح عمرو مهلاً:

_ عايز طبعًا.

فارتسمت على وجه بلال بسمة حنان، وتابع

يقول:

_إليك، فهل تعلمت من بلال شيء؟!!

هل تأملت قصته جيدًا واسكنتها شغاف قلبك!

بل لنذكر جانب آخر من قصة بلال أعظم شأنًا، فقد

نزل فيه آيات تُتلى إلى أبد الدهر

عن سعد، قال: كنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر،

فقال المشركين: اطردهؤلاء فلا يجترؤون علينا،

وكنت انا وابن مسعود وبلال ورجل من هزير

وآخران، فأنزل الله: { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ

رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ

حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ

شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ {

[سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ٥٢] (أخرجه مسلم)

وتعال نعلم ماذا يفعل بلال ليسمع الرسول صوت

نعليه في الجنة.

عن بريدة رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ

بلالاً، فقال: يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ إني

دخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامي.

فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت

ركعتين، وما اصابني حدث قط إلا توضأت عندها،

فقال رسول الله ﷺ: بهذا.

توقف بلال وضم رأس أخيه إلى كتفه في رفق،
وتمتم متابعًا بكل شوق يغمر فؤاده الهائم بصحابة

نبيه:

ظل بلال يؤذن للرسول ﷺ طوال حياته، ولما
انتقل الرسول الأعظم إلى الرفيق الأعلى وحن
وقت الصلاة، قام بلال يؤذن في الناس والنبى ﷺ
مسجي لم يدفن بعد فلما وصل إلى قوله «أشهد أن
محمدًا رسول الله»

خنقته الدموع.. واحتبس صوته في حلقه

وأغرقوا المسلمين في النحيب..

ثم أذن بعد ذلك ثلاثة أيام

فكان كلما وصل إلى قوله «أشهد أن محمدًا رسول

الله» بكى وأبكى.

ثم طلب من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ أن يُعفيه
من الأذان بعد أن أصبح لا يحتمله.

واستأذنه في الخروج للجهاد في سبيل الله، والبقاء
في بلاد الشام..

فتردد الصديق في الاستجابة لطلبه، فقال له بلال:
إن اشتريتي لنفسك فأمسكني.. وإن كنت اعتقتني
لله فخذني لمن أعتقتني له.

فقال أبو بكر: والله ما اشتريتك إلا لله.. وما أعتقتك
إلا في سبيله.

وظل ممسكًا عن الأذان حتى لقيه عمر بن الخطاب
في بلاد الشام بعد غيابٍ طويل، وهناك جعلوا
الصحابة بلال يؤذن في حضرة الفاروق، فما أن
رفع صوته بالأذان بكى عمر وبكى الصحابة حتى
ابتلت اللحي بالدموع، وظل بلال في دمشق حتى

جاءه اليقين، فكانت امرأته بجانبه في فراش

الموت وتصيح قائله: واحزنناه..

وكان هو يجيبها قائلاً: وافرحاه..

ثم لفظ انفاسه الأخيرة وهو يردد:

غداً نلقي الأحبة محمد وصحبه..

وعند انتهاء بلال إلى قول (محمد وصحبه) حتى

سال دمع عينه شوقاً لرؤية أولاء الرجال العظماء

وقد شُحن قلبه بعشق بلال بن رباح وتألّم على ما

لقاه في سبيل الله..

لقد حُرم من رؤية رسوله في الدنيا!

فويح قلبه ان حُرم منها في الجنة..

واحزنناه إن لم يشرب من كوثره يوم القيامة..

ويا أسفاه لو لم يُرزق لذة رؤيته..

ويسبغ على قلبه بصحبته..

استرق نظرة إلى أخيه فوجده قد غط في النوم،
 كان قد عود أخاه على التكلم بالفصحى ومعرفة
 الصحابة، فحمله بين ذراعيه وما كاد يستدير،
 حتى جاءتته شهقة قوية من تلك الواقعة بجسدٍ
 مرتعش كأنما رياحٌ هوجاء أصابة جسدها الضئيل،
 والدموع تغرق وجهها، وعندما وقع بصرها عليه،
 وتلاقت عيناها طويلاً كان نحيبها قد خفت،
 وشهقاتها قد ازدادت..

وتقدم بلال خطوة نحوها في جزع حقيقي، يصيحُ
 في توجس:

إسراء، مالك في أيه.. بتعطي ليه كده؟

وقبل أن تجيبه كانت تستدير راکضة..

كنت تفر منه بعد أن حست قلبها يود الفرار إليه..

هربت منه بعدما شعرت بروحها تتسل منها إليه.
 آه لو تدرِ ماذا فعلت مقلتيها الحزینتین من أفاعیل
 فی قلبه..

لو بقت فسمعت همسه الخفيض لنفسه:

لو تدرين ماذا تفعلُ عيناكِ الحزینتین فی قلبي

لَمَا بكتِ عيناكِ قط، ولا ذقتا طعم الحزن..

قلبي يرفرف كالذبيح وهو يغرق في بحرٍ ذا أمواجٍ

ثائرةٌ لا يجدُ مرسىً إلا عينيكِ لينجو، أبعـد ذلك

تُسكنين الحزن فيهما وأنتِ تعلمين إنهما سكني!

وسكت، وشيع قلبه رحيلها وروحه تهمس له في

ألم:

ليتها تغادر قبل أن تسكنا أكثر، ليت الصدف لم

تجمعنا، فأين أنتِ وأين أنا؟

وأغمض عيناه..

هي الدنيا تفرق الأحبة

وهو يعلم إن مآلها الفراق..

وإنه كُتب على قلبه العذاب..

وإن الزمان سيسلبها منه..

يُتبع ...

#والتقينا

#ندى_مدوح

7_ السجن

لا تعودى .. أحرقت الشكُّ وُجودى .. لا تعودى
 اذهبى ما شئتِ .. أنى شئتِ فى دنيا الخلودِ
 واتركى النار التى أوقدتها تقضم عودى
 هى بردٌ وسلامٌ يتلظى فى برودى
 فاسعدى فى شقوة الروح .. ولكن .. لا تعودى

محمود شاكر.

يُفرق الفراق دائماً بين القلوب، حتى تحترق لماذا

يجمع الأفتدة وتتلاقى الأرواح إذا كان مآلها

الفراق؟!

غريباً كان الأمر في قلب بلال، مشاعر شتى

متفاوتة، بعضها يريد لها والآخر يتمنى رحيلها.

صدفة غريبة هي من جمعتها بها، ويا ليت الصدف

لا تأتي.. هذه الغريبة بات يخشى تواجدها لا لشيء

إلا لأجل قلبه الذي أضحى يدق كالتبول كلما رآها،

وتشرق الشمس في سماء قلبه الذي دجا فيه الليل

ولم يعقبه نهار إلا حينما وقعت عيناه عليها.

كان يتحاشى حضورها بكل جهده، فلا يأتي للمنزل

إلا لمأما، وقد ساعده في ذلك زفاف أخته الذي

انغمر في تحضيره على قدمٍ وساق.

آن يوم زفافها، اليوم الذي ستغادر فيه المنزل،

وستذهب لتمكث في منزلٍ آخر سيكون لها وطن..

وسكينة..

ستغيب عنه ربما لأيامٍ وليالي..

فلا يدري كيف سيغلق أجفانه قبل النوم وهو لا

يدري أهي بخير أم تعاني!

جائعة أم عطشة..

مؤلم رحيلها عنه، وإتخاذها لكتفٍ آخر غيره..

كان يلقي البسمات على كل المتواجدين وبداخله

يتأكله حزن الغياب.. يعلم إنها ستؤوب إليه لكن

ستجعل البيت خاوٍ من صوتها ومن وجودها

سيصبح كئيباً..

غادر القاعة البسيطة التي لا تبعد عن منزله،

وتوجه ليطمئن على والدته، بعد رحيل أخته

وأميرة إلى مخصصت التجميل لم يكن يدري إذ

ذهبت معهن إسراء أم لا.

طرق الباب مخافة أن تكون بالداخل ولم تذهب،
وسمع خطواتٍ تقتربٍ بسرعة، وأحس بالباب
يُفرج بالتدريج ليطالعه وجهها، فتلاقت عيناها
صدفة..

ولم يستطع أن يغضهما..

ولم يخف عليه الحجاب الذي أصبح ملازمٌ لرأسها
منذ حلت في بيته.. بالتحديد بعد ذلك اليوم الذي
خرجت يومًا تحادثه بشعرها فزمر في وجهها،
وأمرها بأن تغطي رأسها، فلم يبرح خصلاتها منذُ
ذلك الوقت..

لقد تبوأَت في قلبه مكانًا رجبًا..

خفقات قلبه العالية نبأته بالخطر، فأسدل جفنيه
وأخفض رأسه وهو يبتعد خطوة عن الباب
مغممًا:

أنتِ هنا؟!!

فأومات برأسها وهي تتحنى جانبًا، وتقول بهمسٍ
رقيق:

إيوه، مكنش هينفع اروح، لإني لو رocht
هيتعرف مكاني، وكمان عشان مامتك لوحدها.
رفع بصره إليها في حدة، لم يعرف هل هي صادقة
أم كاذبة ولكن.. فتاة مثلها بارعة في التمثيل
وتجيده كاسمها، ليس عسيرٌ عليها الكذب، فتهد
في ضيق وهو يتذكر ذلك اليوم الذي كان فيه
يحكي قصة بلال لأخيه فإذا بها باكية في إنهار.
فسألها مستدرغًا، وخرج صوته يقطر حنانًا رغمًا
عنه:

كنت بتعيطي ليه لما كنت قاعد أنا وعمرو على
العربية في الليل.

فتحاشت النظر إليه بدموعٍ امتلأت في مقلتيها..

بالله كيف تخبره إن قصة بلال التي كان يحكيها
فعلت في قلبها فعل السحر..

كيف تقول له إنها لأول مرة تسمع عن صحابي من
صحابية رسول الله.

إنها حتى لم تكن تدر اسمه ولا اسم صحابي
آخر..

كيف تبثه شجون قلبها ذاك اليوم، وكيف بكت
لإيمان بلال وتحمله العذاب!

هي لا تعرف ما سرُّ بكاءها حينئذ بالتحديد..

ولو يدر إنها منذ ذلك اليوم تبكي قلما تسالت ذكرآه

وهو يصف تعذيب بلال فما سيقول!

لقد بكت شوقاً إلى ربها..

بكت لأنها تمنّت إن يخبرها هو عن تلك القصص

ويعلمها كيف تقترب من الله..

لم يحر بلال جوابًا، فرفع بصره إليها، وهاله الدمع
في عينيها، فأسرع يسأل في لهفة:

بتعطي لي تاني؟!

وصمت لهنيهة ثم قال متهمًا:

ولا دا تمثيل!

إلتقاء عيناهم في تلك اللحظة كان عجيبيًا، مزيجًا
من عتابها ومن ندمه مما قال.

وخرج صوتها تجيبه في صعوبة:

_لا مش تمثيل، مش عارفة إيه حكايتك مع

التمثيل!

وهدرت بإنفعال:

أنت لي بتعاملني كده؟! عشان ممثلة يعني؟!

وهي الممثلة مش إنسانة ليها مشاعر واحتياجات

عادي؟ أنت شايفني مبحسش، على فكرة في فرق

كبير جدًا بين إني قدام الكاميرات بمثل وبين حياتي
 هناك حاجة وهنا حاجة، دموعي حقيقية عادي
 مش بحط حاجة عشان ينزلوا.. ومتقلقش انا
 همشي بعد فرح أختك على طول وأمك في عيوني
 حاليًا، وأتمنى يجي اليوم اللي تتغير فيه نظرتك ليا
 ونتكلم بدون تجريح.

معها حق لا ينكر!

هو أساسًا متعجبًا من تصرفاته!

لكن قناع القسوة أحيانًا نرتديه ليواري عن حبا قد
 يفضحنا..

والكلمات القاسية لتكتم عبارات الحب التي تود
 الخروج دون عالق..

تركها وغادر بعدم يأس من جلب أي كلمة قد
 يقولها، وصفقت هي الباب وراءه وانهارت في
 البكاء..

كان عسير عليها ان تغادر تلك العائلة التي آلفتها
 محال لقلبها أن يعود كالسابق بعدما انتمى لجدران
 هذا المنزل..

الصقيع في الخارج سيمزق جسدها الضئيل ولن
 يكون لها دواء إلا دفاء هذا المنزل وساكنيه.
 لكن حذار يا قلب..

فإنك على حافة السقوط..

السقوط في حبٍ لن يكون لك..

ولن تكون له..

بلال بأخلاقه لن يتمنى مثلها زوجة..

هو بعيد المنال، كقمرٍ فوق السماء يضوي يحيط
 به سياجٌ من النجوم كلا تطاله الأيدي..

لقد أخبرتها سهير إنه يود زوجة حافظة للقرآن
 وهي هاجرة للقرآن من يصدق إنها كانت حتى لا

تعرف تقرأ ولا تكتب إنها لم تكمل دراستها فقد
اخرجها والدها متعللاً بسوء الحال وعدم قدرته
على الإنفاق عليها..

لكنها لم يهدأ لها بال وبعدها بدأت في توالي شئون
نفسها، حتى أخذت كورسات ودورات في ذلك ومع
ذلك لم تقرب مصحفاً، ولم تلمسه يوماً..

كانت ترى نفسها إنها لا تستحق وإن لمسته
سيتلوث بذنوبها..

لم تؤدي فرض يوماً وبالأخص عندما أضحت
نجمة مشهورة..

بداية طريقها كانت عجيبة فذات يوماً رآها فيه
صديق أبيها وقد استشف فيها موهبتها كم يقول،
فإذا به يسرع إلى قريبه المخرج ويخبره عنها..
فلا تسل عن سرعة ذلك بعد إذ..

فلم يمر الكثير وجاء ذاك المخرج ليقيم بضاعته
ويقبلها...

ثم دور صغير ثانوي في إحدى الأفلام تلاها دور
بطولة لإحدى المسلسلات وتوالت شهرتها
ونجميتها..

﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾

كانت القاعة مكتظة بالأقارب والجيران، ورغم إن
بلال مشغولاً باستقبال المدعوين هو وبعض
اصدقائه إلا أن عيناه لم تغيبا عن والدته من
الحين للآخر، فإذا أحس إنها بحاجة لشيء، هرع
إليها ناسياً الدنيا وما فيها..

ورغم إنشغاله إلا إنه كان حزين القلب، وقر خاطر
جثيم بقلبه إن أخته العزيزة ستعاني..

لمعت عيناه ببريق البهجة وهو يراها تترجل من
السيارة وكفها في كف زوجها، فألتمعت دموع
الفرح في عينيه، وتأملها طويلاً بفستانها الأبيض،
وخمارها المحاط بوجهها فباتت كالبدر، وبخطوات
رصينة، وبثغرٍ باسم تقدم إليها وضمها في حنان،
وهمس في أذنيها بنبرة حنونة، تتبع بالعاطفة:

_زي القمر يا حبيبة قلبي، ربنا يتمم لك على خير،
إياك تنسي أن بيت أبوك هو بيتك ، وإني سكنك
واليوم اللي يبكيك فيه بس مش هتحتاجي غير
مكالمة تلفون تقولي لي..

فدفنت وجهها في صدره وهي تكتم دموعها كلا
تسيح كحلة عينيها، وابتعدت عنه ولم تنبس ببنت
شفة لاذت بالصمت وقد خُيل إليها إنها لو انفرجت

شفتاها لبكت منهارة وهي لا تريد ذلك على الأقل
ليس الآن..

ثم انشغل بلال عنها بملاطفة أميرة التي تأبطلت
ذراعه، قائلة:

ما تعتبرني عروستك انهارده وتكسب في ثواب.
وعندما لم تتلق رداً، تركت طرف فستانها الذي
كانت تعدل فيه، ورفعت عيناها إليه، فوجدته
ساهماً، ينظر لشيء ما، فألتفتت برأسها تنظر لما
ينظر وتبسمت لـ إسراء التي علقت بين الناس وقد
ارتدت نقاب ليخفي وجهها حتى لا يعرفها أحد،
والتقت عيناها بعينين بلال طويلاً دون أن يحرك
أياً منهم، حتى شدته أميرة قائلة:

هي صنارة الحب غمزة ولا إيه؟
فلكرها بمرفقه، وقال في هدوء:

روحي هاتيها وخليك معاها أحسن.

فأفلتت ذراعه على مضض وتحركت إليها..

﴿ اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد ﴾

بعد إنتهاء الزفاف، ودموع العروس في حضن
 أمها طويلاً ثم رحيلها مع زوجها، إلى بيتٍ آخر
 سيكون مآبها، وستترك موئل أخيها، وحنان أمها،
 عادت الأم مكلومة على فراق ابنتها وادخلها بلال
 لحجرتها في حنان ودثرها بالغطاء وقبل رأسها،
 كان يريد ان يواسيها، لكن .. كل عبارات المؤازرة
 فرّت من جوفه، فلثم جبهتها وخرج منفعلًا
 بخطوات سريعة، وبغشاوة من الدمع تملأ مقلته،
 ولم ينتبه إلى إسراء التي تبعته للخارج.

"بلال، ممكن اتكلم معاك شوية؟!!"

توقفت يد بلال لثوانٍ على إثر صوتها الناعم
متسللاً إلى أذنه، فعاد يغلق باب سيارته الذي قد
أنفتح لفرجة صغيرة، وألتقط نفساً عميقاً، ملأ به
صدره، في محاولة للسيطرة على توتر أعصابه،
وهو يرسم على شفثيه في صعوبة، ابتسامة
مصطنعة، ملتفتاً إليها، قائلاً وهو مسبل الأطراف:

__ممكن، اتفضلي.

أردفت إسراء في تردد:

__ممكن اقعد يومين تاني مع مامتك لحد ما تتعود

على غياب سهير؟!!

أجابها في برود:

__تمام.

وإستدار في نية لإنهاء الحوار وهو يفتح باب
السيارة، وما كاد يذفها توقف مجددًا عندما قالت:

_ أنا همشي بعد يومين؟

هي لا تدرِ لما أخبرته مجددًا بذلك

في نفسها تمنّت أن يخبرها أن تبقى أكثر

وإنه سيفتقدها..

لكنه فجأها عندما قال في نبرة تسلل إليها

الصرامة:

_ يكون أحسن بالسلامة.

لم تره عندما أغلق جفناه في شدة وهو يخبرها
عبارته بصعوبة شقت قلبه، لم ترَ توتر ملامحه،
ولا الحزن الذي أطل من عينيه جليًا، فحقق قلبها
من قسوة رده في ألم وكادت تعود ادراجها كاتمة
مشاعرها تسيرُ بقلبٍ طاوٍ شجونه، لكنها توقفت

بغته وإستدارت تتأمله لبرهة، قبل أن تتقدم واقفة
وراءه، وقالت بصوتٍ خفيض:

__ بلال، هو ربنا ممكن يتقبلني بكل ذنوبي؟
والمعاصي اللي عملتها! هو أنا قدامي فرصة إني
اتغير؟! ربنا هيفتح لي بابه ولا هيفضل مقفول؟
ولا أنا خلاص مفيش لذنوبي توبة؟

تهيدة عميقة نددت عن بلال، قبل أن يلتفت إليها
بكل وجدانه، وتجول عيناه على وجهها المليح، ثم
أسبلهما في حدة، ونفت ضيقاً اقترن مع عبارته
بالفصحى:

__ ربنا دائماً باب مغفرته مفتوح لمن إلتجأ إليه بكل
إخلاص وإنابة .. إنابة ليس فيها رجوع للمعصية،
يذهب إليه وفي نفسه قد وقر الإقتلاع عن ذنوبه ..
أي يذهب منسلخاً عن كل ذنبٍ فعله.

سكت لهنيهة، ورفع بصره فالتقت عيناه بعينيها،
فعاد يخفضهما، وهو يسترسل بصوتٍ رخمٍ مفعم

بالصدق:

_ربنا سبحانه وتعالى حذرنا من الدنيا ومذاتها
ونعيمها الزائل فقال عز وجل ...

سكت متعوداً ثم بسمل ثم رتل بصوتٍ شجي يخلب

الألباب :

_ { اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ
وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ
غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ }

[سُورَةُ الْحَدِيدِ: ٢٠]

{ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى }

[سُورَةُ الْأَعْلَى: ١٧]

إنتهى من تلو الآيات فنظر لها، ورأى خطين من
الدمع ينهران على وجنتيها، فشعر بالعاطفة
والشفقة يتوغلانه، ولانت ملامحه ورق قلبه
وأردف قائلاً:

الدنيا فانية فعيشي فيها كعابرة سبيل، فهي لن
تبقى لأحدٍ ولن تدوم، كل إنسان مآله الموت، وما
دام فيك نفسٌ يتردد إلجى إلى الله وتوبي مما
اقترفتي فالحياة ما نحن إلا ضيوفٌ عليها
وسنغادرها عاجلاً أو آجلاً والآخرة هي دار البقاء،
ودار السعادة، فخافي من ربك سبحانه وتعالى،
وخافي عذابه، واحذري النار.

صمت وتطلعت هي له بقلبٍ خافق، خائف
وتساءلت في نفسها..

ماذا لو جاءها الموت؟

قبل أن تتوب؟!!

هل ستقدر على عذاب القبر؟ بل هل تتحمل خروج
الروح؟! كيف ستتلقى الملائكة روحها؟ كيف
سيكون قبرها .. عذاب؟! وضمة القبر كيف ستتجو
منها، بل ماذا تفعل يوم القيامة؟!
يجب أن تسرع بالتوبة، لا يزل أمامها وقت يجب
أن تستغله.

ستصلي، ستصوم، ستقيم الليل، ستحرق كل
ملابسها الفاضحة وستبدلها بملابس محتشمة، لن
تكون إلا فضفاضة، وستتردي الخمار، ستمحو كل
أفلامها ومسلسلات، ستفسخ كل العقود التي
مضتها، ستتغير.. لكن هل تضمن حياتها لغداً حتى
تبدأ في كل ذلك؟

أفاقت من شرودها، على صوت بلال المتسلل
بداخلها إلى قلبها:

_ هل تعرفين نبي الله يونس؟! _

هزت رأسها بالنفي كانت تدرك مغزى سؤاله هو لا يقصد إلا قصة نبي الله يونس وهي لا تعلمها .. لا تعلم اي شيء، لم تنال تلك لذة وتحيا مع الأنبياء والصحابة وقصص القرآن لم تنال تلك النعمة ولم تقرأ بل هي لم تفكر أن تفعل، فتبسم بلال وشرذ ذهناً وعيناً، وأتكأ على سيارته عاقد الذراعين أمام صدره، وفي هيام وصوت يقطر حباً، قال :

_ نبي الله يونس

النبي الذي ابتلعه الحوت!

ألا تعرفيه!؟

كيف لا تعرفيه وهو من علمنا ألا نمل من ذكر الله في أحلك المواقف والمحن، هيا بنا نطوف معه في رحلته، ونرتحل سوياً نشاركه مصابه.

أرسل الله نبيه يونس إلى قرية (نينوي) بالعراق
 ليدعوهم إلى الإيمان والتوحيد، وقد كانوا على
 الشرك، ولكنهم أصروا على الشرك ورفضوا
 التوحيد، فعندما يئس نبي الله يونس عليه
 السلام ودهم بحلول العذاب بهم بعد ثلاثة أيام.
 وخرج يونس من القرية دون إذن ربه، أو أمره
 بذلك، ولما بدت طلائع الهالك والعذاب تحيط
 بقومه، ساورهم الخوف وعلموا أن يونس على
 حق، ودعوته مستجابة، وإنذاره صدق، وإن
 العذاب واقع بهم، فلجؤوا إلى الله عز وجل،
 وتضرعوا إليه، وتوجهوا إليه بالدعاء، وتجردوا
 من الشرك، وكانت توبتهم صادقة مع الله، فتقبل
 منهم الإنابة، فرد عنهم العذاب.

ألتقط بلال نفساً عميقاً، ثم اتبع يقول:

لما ذهب يونس غاضبًا من قومه، ركب سفينة
 في البحر، فهاج البحر.. واضطربت السفينة
 وأصابها الثقل بمن عليها وكادوا يغرقون،
 فأقترعوا فيما بينهم، فمن وقعت عليه القرعة
 ألقوه في البحر!

فلما أقترعوا وقعت القرعة على نبي الله يونس،
 فلم يسمحوا له وأعادوها مرة أخرى ف وقعت مجددًا
 عليه، فلم يأبهوا بذلك، فعادوا القرعة الثالثة،
 فخرجت عليه أيضًا..

فعلم يونس إن في ذلك أمرٌ وتدبير، وألقى نفسه
 في غياهب البحر، فبعث الله إليه بحوت عظيم
 فألتقمه وأمره الله تعالى ألا يأكله، ولا يهشم
 عظمه، وقبع يونس في بطن الحوت وقد أدرك
 خطأه، وعلم خطيئته، وبات يونس في ظلمات
 ثلاث:

ظلمة الليل، وظلمة قاع البحر، وظلمة بطن
الحوث.

وأحس بذنبه، وآتاب إلى الله يستغفر ويدعوا،
وكان ليظل في بطن الحوث إلى يوم القيامة لولا
دعائه واستغفاره يقول الله عز وجل { فَلَوْلَا أَنَّهُ
كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ } { لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ
يُنْعَثُونَ }

[سُورَةُ الصَّافَّاتِ]

اختلس نظرة سريعة إليها، فوجدها تنظر له بعينين
براقتين متلائتين، يطل منهما الأهتمام، فابتسم،
وعاد يقول في هدوء:

العجيب إن عزيمة نبي الله يونس وسط ظلمات
بعضها فوق بعض لم تفتّر، رغم كل ما يحيط به،
بل ألتجأ إلى الله ولهج قلبه قبل لسانه بـ (لا إله إلا
أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)

فتاب الله عليه، وتقبل توبته، وأوحى سبحانه
وتعالى إلى الحوت أن يلقي به في العراء، فألقاه
على الشاطئء سقيمًا هزيلًا، ضعيفًا عليلاً، فأثبتت
عليه شجرة من يقطين، فراح يونس يتغذى من
ثمارها، ويستظل بظلها، فعادت إليه عافيته،
وأوحى إليه ربه أن يعود إلى قومه بعد أن أخبره
بإيمانهم، وأنهم ينتظرون عودته، ليعيش بينهم
داعيًا إلى الله.

وإستدار إليها بكل كيانه، وهمس:

نحنُ في التهلكة ما دمنا نريد ذلك..

ما دمنا على الذنوب والمعاصي..

وإن أغرقتك الآثام..

وملئتكَ الذنوب..

وعصفت بكِ الفتن

فالملجأ إلى الله هو السبيل

هو النجاة

تأملي تفكري وضعي نفسك وأنتِ تلقين نفسك في

ظلمات البحر تائر الأمواج وهائج ومضطرب،

ويعصف مياهه عصفًا، وتسبحين ثم يشق حوت

مهيب عظيم أمواج البحر ويلتقمك..

فكه لا ريب مخيف..

داخله لا شك مهيب مُرعب مظلم..

تتفاجئين إنك حية ترزقين، لا بصيص لضوء، سوا

تلك الحركة التي يشقها الحوت في ظلمات البحر،

فتمكثين فيه لوقتٍ لا يعلمه إلا الله..

أتفكر أحيانًا كيف كان حال نبي الله يونس!

كيف تحمل وصبر!

لقد عصى الله في أمرٍ واحد، فانظري ماذا فعل به
الله، وكيف كان عقابه وهو نبيه وداعيه

فما لنا لا نلتزم بأمر الله!

ما لنا نعصيه!؟:

ألا نخاف..

وقد كان نبي الله يونس ليبقّ باقياً إلى يوم القيامة
في ظلمات ليس لها أي نور!

ألا تقتربي من الله؟

فتصلي وتسجدي وتتيبي..

فتلتزمي بخمارك ولبسك الشرعي..

تصيمين خوفاً، وطمعاً في عفوه ورضاه، ومخافةً
من نار جهنم.

فتبعدين عن الحرام مخافةً أن يأتيك ملك الموت

قبل التوبة والإقلاع عن الذنب..

فالموت ليس له إنذار

يأتِ بغتة فينتشلنا بما نحن عليه..

نبي الله يونس قد يكون كان محاط في أُجّة
الظلمات لكن نور قلبه لم ينطفئ، فسرعاً ما علم
ما اقترفه من معصية ولجأ إلى الله يُردد (لا إله إلا
أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) يستغفر ويلوذ
بالله الذي لا إله إلا هو..

فيا حظ من استلذ لسانه بهذا الدعاء

ولهج قلبه به..

وكان له نورًا يستضيء به في ظلماته..

ويقولُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوَةُ ذِي
النُّونِ إِذْ دَعَا بِهَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. لَمْ يَدْعُ بِهَا

رَجُلٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ». أَخْرَجَهُ
أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ.

إِن الْمُسْلِمَ إِذَا وَقَعَ فِي كَرْبٍ وَهُمْ وَشِدَّةٌ، وَلَجَأَ إِلَى
اللَّهِ بِالدَّعَاءِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ اللَّهَ مَفْرَجُ كَرْبِهِ،
وَأَذْكَرِي إِنَّ اللَّهَ اسْتَجَابَ لِيُونُسَ { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ }
[سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: ٨٨]

سَيُنْجِينَا اللَّهُ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا.

وسبحانه؟.. تخيلي! إن ربنا يفرح بتوبة العبد
العاصي، قال الرسول ﷺ لله أفرح بتوبة عبده من
أحدكم يجد ضالته بالفلاة. رواه البخاري.

واسترق نظرة إلى وجهها، وألتقط أنفاسه لثوانٍ،

ثم عاد يردف بصوتٍ حنون:

إليكِ هذه الوصية التي تبين لك حقيقة هذه الحياة

يقول الرسول_ صل الله عليه وسلم_ ما الفقر أخشى

عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا،

كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما

تنافسوها، فتهلكم كما أهلكهم. صححه الألباني.

ويقول_ صل الله عليه وسلم_ لن تزول قدما عبد

يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال عن عمره

فيمَ أفناه؟ وعن شبابه فيمَ أبلاه؟ وعن ماله من

أين اكتسبه وفيمَ أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل

فيه.

فاتقي الله فإنك ستُسألين، عن عمرك وعن شبابك

وعن مالك وعن عملك، اتقي الله وخافي عذابه

وتفكري في الموت، عندئذٍ لن تتوهين في هذه
الحياة.

كانت دموع إسراء وقتئذٍ تغرق وجهها، ومع ذلك
خرج صوتها متهدجًا بشهقات متقطعة:

_أشكرك، أشكرك اوي يا بلال لآني بجد .. مش
عارفه أقول إيه .. بعد إذنك..

هرولت من أمامه باكيةً بكاءً يمزق القلب، وشيعها
هو بنظرات ضيقة، ودس كفيه في جيبه بنطاله
مع تنهيدة عميقة، وهمس لنفسه:

_إرحلي .. أو لا ترحلي فلم يعد يهم بعدما
استوطنتي القلب، وسكنتي نبضاته .. فكيف يسكن
قلبٌ في غربة أنتِ وطنه.

إن لم يكونوا يوماً لنا، من نصيبنا ومن روحنا
وفي حياتنا فلماذا ظهروا في حياتنا وأخذوا من
قلوبنا مسكنًا؟!!

كيف تسألوا بكل خفة إلى قلوبنا فتمكنوا منها؟!
لماذا جاؤوا إن الفراق لنا نصيب..
وإن الرحيل آتٍ لا محالة..

فيامرحبًا بالفراق

بالعذاب

والضياع

عندما عادت إسراء من فورها توضأت وارتدت
إسدال سهير وفرشت المصلية وراحت تصلي
بالباتحة التي تحفظها وتطيل في سجودها باكية
ترجوا الله أن يهديها ويتوب عليها.

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴿١﴾



صوتُ بوق سيارة الشرطة اخترقت سمع بلال
الذي استيقظ من نومه مزعورًا، وطل برأسه من
نافذة السيارة بعدما اعتدل، فوجد رجال الشرطة
يطرقون منزله في عنف وحدة غير أبهين بالناس
النيام، ولا بالوقت المبكر..

ومنذ متى والشرطة تعرف ذلك؟!!

فانتفض قلبه واجفأ، وارتعش جسده وهو يدفع
الباب ويركض تجاههم غير مكترثٍ بغلقه وراءه،
وارتفع صوته وهو يقول :

__ في إيه في إيه؟

فزمجر فيه الضابط:

_مش ده بيت بلال ...

قطع بلال عبارته قبل ان ينطق اسم والده، يصيحُ

في لهفه رغم لهاته المنفعل:

_ايوة أنا، أنا بلال أمر حضرتك!؟!

ورمقه ضابط الشرطة من رأسه حتى أخص

قدميه الحافيتين، وهدر في رجاله بصوتٍ اقترن

بفتح الباب:

_هاتوه.

وتحرك هو أمامهم، بينما تقدم جنديين من بلال،

وقبضا على ذراعيه، وهو يحاول الإفلات هاتفاً:

_هو إيه اللي هاتوه، انا عملت إيه، سبني يا

عم..

ولحقت به أميرة باكية، وهي تهتف في لوعة:

_ انتوا وخذينه فين بس، هو عمل إيه؟

واسرعت الخطى إلى بلال الذي قال وهو يندفع

داخل سيارة الشرطة من قبلهم:

_ خلي بالك من ماما يا أميرة إوعي تسيبها

لوحدها، وإوعوا سهير تعرف حاجة، وابعثلي

سعيد..

فانتحبت أميرة وهي تقول :

_ هصحيه حالاً يا بلال هخليه يلحقك، يا رب..

هتفت متضرعة باسم بارئها وركضت لتوقظ أخيها

سعيد، بينما تيبست قدمين إسراء بقلبٍ مرتجف

عندما لمحت سيارة والدها المرتكئة جانباً، وراقبت

قدمه التي تدلت ثم وقف بطوله المهيب مستنداً

بمرفقيه على حافة باب عربيته ينظر إليها في

شماتة، واجفلت مبتعدة والدموع تتواثب من
عينيها شآبيب

وسقط قلبها بين قدميها وهو يتقدم بخطوات
رصينة كان لها عظيم الأثر المهيب في قلبها
المرتعش بين ضلوعها..

يتبع ...

هنتظر رأيكم ورفيهاكم
دُمتم بخير، والسلام عليكم وعلى قلوبكم ورحمة
الله تعالى وبركاته..

#والتقينا

#ندى_مدوح

8_ وتفتحت أكام قلبي

لا تعبثي بفؤادي

وأكرمي آلامي

شَبَبْتِ فِي الْقَلْبِ نَارًا

من لوعة وهيام

أضللتني عن حياتي

بلذعة واحتدام

محمود شاعر

بقلبٍ واجفٍ مضطرب، وبروحٍ ترتدٍ إرتعادًا،
شخصٍ بصرٍ إسراءٍ واتسعت مقلتاها حتى بلغتا
الذروة، وهي تراقب بأجفانٍ تنتفض أبيها الذي
يتقدم بخطواتٍ رصينة، يعلو ثغره بسمة كالسهم
رشقت في قلبها فارتجف، وتراجعت بقدمين
تتخبطان، وددت لو تهرب، كانت تدرك إنه لن
يسامحها..

سيعاقبها حتمًا..

وكانت تخاف بطشه..

لأنها ليس لديها من يحميها منه..

مؤلمٌ هو أن يصبح السند ظهرٌ متحطم، ومَن من
المفترض إنه الأمان تريد الهرب منه..

أليمٌ أن تبحث البنت عن يحميها من أبيها الذي
هو حمايتها.

لكنها الحياة لا خير يدوم ولا شر يدوم..

ولا قلوب نقية ولا قلوب خبيثة..

إنها الدنيا تلهو بمن عليها كيفما تشاء، ومتى

تشاء

وصل إليها في خطواتٍ سريعة، وقبل أن يطالها

أبتعدت عنه بعينين تذر فان مغممة في تلثم:

_ أنت؟! أنت السبب في سجن بلال.

فتبسّم أبيها بسمة مقبّية، وأجابها في برود تام:

_ أيوة أنا السبب ...

وأستطرد في غضبٍ اشتعل في صدره، واستعرت

به عيناه الضيقتين:

_ لما بنتي تهرب مني عند واحد غريب عايزاني

اعمل إيه؟ سبتي شغلك وحياتك عشان إيه!

مستقبلك بيضيع ولا أنت هنا.. فكرتي إني مش
هعرف أوصل لك؟

ولوح بسبابته أمام وجهها، وأضاف بصوتٍ خافت
مثير للإشمئزاز :

تو تو تو غلطانة كانت المسألة مسألة وقت بس
مش أكثر.

" مين، مين هنا يا إسراء "

ندت تلك العبارة من عايذة والدة بلال، فارتجفت
أهداب إسراء وشحب وجهها..

كانت تشعر بالعار من أبيها..

كانت تخشى أن يأخذها العالم بآثامه..

فازدرت لعابها بتوتر، ورمقت أبيها المتبسم
بزاوية فمه في شماته، وخرج صوتها بحزنٍ

دفين:

_ دا، دا... _

وقبل أن تكمل سحبها أبيها من معصمها في حدة،

وهو يهتف:

_ أنتِ لسه هتهتهي وتفسري امشي قدامي خلىنا

نشوف هنعمل إيه!

فبكت إسراء في انهيار وهي تصيحُ:

_ مش ذنبي يا طنط عايدة مش ذنبي إن بلال

اتسجن انا بريئة والله، قولي له ميكرهنيش انا

هعمل المستحيل عشان يرجعلكم.

ففاضت عينا عايدة وهي عاجزة عن فعل أي

شيء، بينما توقفت أميرة في صدمة قبل دخولها

للمنزل، وسرعان ما ركضت وراء إسراء التي

هتفت بصوت متهدج وأبيها يدفعها داخل السيارة

في عنف غير عابيء برأسها التي اصطدمت من

قوة الدفع:

_أميرة، قولي له ميكر هنيش مش ذنبي.....
 كانت تهتف ببكاء يقطع القلب، وذهبت باقي
 جملتها وصوت بكاءها هبأً تذروه الرياح..

عندما

انطلق أبيها بالسيارة ولم يعر بكاءها اهتمامًا طوال
 الطريق، وهي لم تكف لقد شقت روحها وها هي لا
 تزل تشقى، عندما توقف والدها أمام البناية
 الفخمة التي يقطنون فيه، إلتفت إليها وهتف فيها
 بنبرة صارمة خالية من أي عاطفة:

_امسحي أم دموعك دي، مش عايز حد يشوفها
 لحد ما ندخل الشقة.

كانت تعلم أن أبيها يحب أن يتباهى بالمظاهر..

ويهاب نظرة الناس

ويخشى أن يتفوهون عنه بالسوء..

لذا فقد آثرت الطاعة، فكفكفت أدمعها، ودون أن
تعبئ به كانت تفتح الباب الذي يجوارها وتغادر
السيارة بحدة وهي تصفق بابها وراءها.

فرشقها أبيها بنظر حادة وهو يدور حول السيارة
ويسبقها إلى مدخل العمارة، دس أبيها المفتاح في
ثقبه المخصص وادراه وهو يدفع الباب بكفٍ
غليظ، ثم ودون أن يستدير قبض على معمصها
ودفعها أمامه دون ذرة رحمة، وهو يصيح صافقًا
الباب وراءه:

_ بقى بتبعدي عني وبتعيشي في بيت غريب، ليه
قايد عليكِ بالنار أنا...

فقاطعته وهي تمحو دموعها التي بدأت بالسيل
أنهارًا:

_ ايوة قايد عليّ بالنار، هو أنت مفكر إن اللي في
قلبي ده مش نار، بتسجن اللي آوى بنتك وانقذها؟

اللي وراءها طريق الحق، اللي علمها إزاي تخاف
ربنا في كل اعمالها وأقولها.

وانتصبت وهي تعقد ذراعيها، هاتفة بنبرات قوية،
ونظرات حاسمة محتدة:

تعرف قررت إيه؟!

وتريثت وهي تتابع في هدوء بارد:

_قررت إني هسيب التمثيل.

وظل غضبِ هائل في عينيه، وخوفٍ عظيم هائل
ملاً قلبه، ثم استدعى هدوئه، وتلاشى غضبه
رويدًا رويدًا وطالعتها بنظرات مرتابة، وتبسم وهو
يقول بصوتٍ متهدج:

_تمثيل إيه اللي تسيبيه بس يا حبيبتى! دا

مستقبلك دا مشوارك للقامة والشهرة و...

بتر عبارته في تلعثم، عندما نَدَّت عنها ضحكة
هازئة، وهي تقول:

_والفلوس، أنت إنسان مادي يا بابا، كل همك
الفلوس والطمع..

هز أبيها رأسه نفيًا، وقال موضحًا:

_كل ده بعمله عشانك وعشان تعيش عيشة
كريمة، وما تتزليش لحد.

أجابته:

_الزل الحقيقي إني اكمل في التمثيل وأدخل النار.
رمش والدها بعينه لثوانٍ، يحاول انتقاء ما يقول
ليردعها عمًا تتوي، ثم دنى منها وضم وجهها بين
كفيه، وقال متعمدًا بصوتٍ يثير عاطفتها:

_إسراء، حبيبتي إياك تسببي مستقبلك يضيع، أنتِ
هتبقى نجمة مشهورة هيتهافت عليك الناس

ويتمنوا بس صورة معاك من غير ما يأملوا غير
كده، فوقك لنفسك عشان مضيعيش واضيع معاك.

فرددت إسراء بكل هدوء وهي تهز كتفيها:

_متحاولش لاني خدت قرار ومستحيل اتراجع،
عودة للتمثيل مستحيل.

فأظمها على خدها بقسوة، وهو يهتف في غضبٍ
شع في مقلتيه ونفرت له عروقه:

_أنتِ مجنونة بقا وأنا هعرف إزاي أعقلك، والواد
ده انسي إنه يطلع من السجن لو مرجعتيش لعقلك،
العقود اللي كنتِ مضياها كانت هتتفسخ لولاي
فهترجعي لشغلك وإلا هتخسرينا جامد وكل اللي
بيناها هيتهد.

وحدجها بنظرة نارية تشع غضبًا، وخرج وهو
يتميز غيظًا، وما همَّ بغلق الباب وراءه، صدح

صوت لاهثًا مقرونًا بأقدام ترتقي الدرج على

عجل:

_ استنى يا عمو إسراء رجعت صح، لقيتها مش
كده..

و وقفت الفتاة أمامه تلتقط أنفاسها المتلاحقة،
بينما شوح هو بكفه، وغمغم بضيق وهو يركض
على الدرج:

_ أهي جوة ادخلي عقليها.

دخلت الفتاة بلهفة للداخل وهي توصل الباب
وراءها وعيناها على إسراء التي ألقت نفسها في
أحضانها، وهي تهتف بألم:

_ ندى، حبس بلال يا ندى.

فمسحت ندى مديرة أعمالها ورفيقتها على ظهرها
في حنان، وتمتمت متساءلة باهتمام:

_ إهدي يا إسراء، واحكي لي مين بلال ده، وأنتِ
كنتِ فين بالضبط؟

فابتعدت إسراء عنها وكففت دمعها، وتهدل
كتفيها وهي تقول في استسلام:

_ هحكبك كل حاجة .. تعالي.

جذبتها برفق من مرفقها وجلستا متجاورتين،
واقصت عليها كل ما حدث معها، وأنهت سرد ما
روت وهي تغغم بيأس:

_ وأنا دلوقتي لازم اعمل اي حاجة عشان بلال
يخرج، بابا مش هيسيبه لو معملتش اللي هو
عايزه.

فأجابتها ندى بحماس:

_ يبقى تهاوديه وتعملي مبدئيًا اللي هو عايزه لحد
ما يخرجه وتضمني إنه برا السجن.

فشحب وجه إسرائء، وألتقطت كفيها، وهي تسأل
بارتياب:

__ يعني اكذب عليه وأوافق كذب؟
اومات ندى بهدوء، وشردت إسرائء.

﴿ سبحان الله ﴾

يومين وليلتين قضاهما بلال لأول مرة في حياته
في جحيم يُسمى السجن، لم يكن يدري لما هو
مسجون وعن أي شيء

وما الذي جناه

قضى الساعات وهو جالس في زنزانة رطبة وبدا
الوقت له كأنه لا يمر، أو إن الزمن قد توقف على
هذه اللحظة التي أدع فيها السجن...

وفرع قلبه من كل شيء إلا من الدعاء، والصلاة

بعد ما تيمم

شحن قلبه بالإيمان، فارتد دعاؤه بالإجابة، ربما قد

قضى يومين في جحيم لن ينساه، لكنه ها هو يأتيه

الفرج، عندما فتح العسكري باب الزنزانة الحديدي

الأسود الضخم، وهو يجأر:

بلال توفيق.

فهب بلال واقفاً في لهفة، وهو يهتف:

ايوة.

فهدر العسكري:

تعال معايا.

لحق بلال به وهو يسأله عن سبب سجنه، فإذا به

يخبره إنه جاءهم بلاغ عن خطفه للممثلة إسراء

الشهاوي، واصابت بلال الدهشة وهو يتجه إلى

الضابط الذي اعتذر منه في تهذيب مبطن وأطلق
سراحه.. وهو يخبره إن إسراء قد عادت ووجدها
أبيها.. وإنهم كانوا مخطئون.

فعاد بلال إلى منزله والغضب يتأجج في نفسه.
ها هو ذا يلقي ثمار بذوره بسماحه لها بالعيش في
بيته.

وجد في استقباله أمّه وأميرة وأخيها سعيد،
وتناول طعامه الذي لم يدخل جوفه ليومين، ولثم
جبين أمه وهو يتجه لغرفة نومه ليرتاح، فلحقت
به أميرة قبل أن يدلفها، وسألته في توتر:

_بلال، أنت مسألته عن إسراء! هي ...

فقاطعها هادرًا وهو يلتفت إليها بعينين تشعان
بالغضب والاستحغار:

_ اُخرسي، اُخرسي خالص متجيبش لي سيرتها
أبدًا، ولا تتطقي اسمها في البيت ده تاني.

فارتجفت أميرة وتراجعت مبتعدة، وهي ترَ إندلاع
نيرانه و غضبه عليها، لكنها تماسكت لتقول:

_ بتزعق ليه فيّ أنا إيه ذنبي؟!!

فمسد بسبابته والوسطى جبينه وهو يقول في ألم:

_ معش يا أميرة سيبيني دلوقتي!

ففاضت عيناها بالدمع وهي ترنو إليه، وتقول:

_ أنا عارفة إن اللي مریت بيه صعب، بس

متساش إن السجن ده دخلته حتى الأنبياء،

وأمضى فيه نبي الله يوسف سنين

فتبسم بوجهٍ بشوش، وهو يجيبها في حنان:

_ متقلقش عليّ أنا كويس، مش ابتلاء زي ده

يهزني... الحمد لله على كل حال بس الناس مش

هتسب بعد كده الواحد في حاله أبدأ، ومش
هخلص من كلامهم، وهخاف حد يضايق ماما
بكلمة إن ابنها رد سجون.

فهتفت أميرة في جزع:

_رد سجون إيه بس يا بلال اللي بتقول عنه ده،
وبعدين من أمتى وأنت بتشغل بالك بالناس
وكلامهم؟! ها من أمتى بتهم بحاجة زي دي؟!
وتمعنت النظر إلى عينيه، فرأت الحزن والخيبة
فيهما، فقالت بعاطفة وهي تمسح على ذراعه:
_عايزك تعرف حاجة عشان متظلمش حد وتكتب
عند الله ظالم، إسراء ملهاش ذنب في سجنك،
وصتي أقولك كده وإنك متكرهش لإن ابوها هو
السبب.

وغادرته بابتسامة، بينهما وقف هو مكانه بقلب
خافق ممزوج بالألم قلبه الذي لم تمس شغافه
أنثى غيرها، أب خاويًا وحيدًا من جديد.

وها هي ذا بعدما مضت على حنايا صدره ونقشت
اسمها تغادره دون وداع.

آه يا قلب تمهل.. ألم يخبرك أن تتمهل، ألا تقع في
حبٍ صعب المنال أما إنك تحبُ الشقاء، وشقوتك
مريرة لو تدري.

كان سيفرش لها قلبه من الورود ألوان، ومن
شأبيب الأزهار ما تبغى، فهي الوحيدة التي تفتحت
أكمام قلبه على يديها، فتستحق أن يكون المقام
بستانًا، ومترعًا من الحنان والحب.

لكن .. كتب على قلبه الفراق من أول حب يقع فيه.
وليته لم يتذوقه، ولم يزوره الحب، فقد ذره يتظلى
من مرارته كؤوسًا وأنهارًا.

همست نفس بلال وهي ترمقه بعينين تذرفان:

بعض الغائبين حياة.

هاك البعيد هو أقربهم من القلب لأنه يستوطنه،
فليس بتواجد الشخص يكون قدره، إنما بمقامه في
القلوب.

ليت بإمكانه أن يستل سيفاً ويهوى به على قلبه
فينزع حبها من فؤاده.

مرت به الأيام بعد ذلك، ثقيلة كان حبها في قلبه قد
تشعب إلى كامل جسده فباتت تسر في مهجته و
تمتلك وتينه وتحتل شغافه، فأمضى الأيام والليالي
شارد البال دائماً، وقد سلبت لُبه وصورتها تحتل
مقلتيه دائماً، وطيفها يطيف حوله فيراها فكل
الوجوه، الحب عذاب وها هو يتجرعه بكل حواسه
وجوارحه وينصب فيه صباً صباً، لقد اشتاقها
يعترف ويحن إليها أهلكه حبها وذهب به كل

مذهب وليته الآن يستطيع أن يداوي فؤاده من هذا
الحب المعذب.

أوقف بلال سيارته على جانب الطريق وهو يزفر
بضيق، وينفث إعياء قلبه وبغصة مريرة تنهد
وهو يسند رأسه على ظهر مقعده، وأسبل جفناه
على الماء لا يعرف كنهه، ولا كيف يعبر عنه،
ويصفه.

أنى له أن يبوح بوجعاً يعقر قلبه فيرفرف كالذبيح.
ويح قلبه إن لم يراها..

فدواؤه بات مرهوناً في مرآى وجهها المليح
وعيناها البنيتين.

ترجل من سيارته وأغلق بابها وراءه والتفت يمنى
ويسر مستطلعاً الطريق الذي يعج بالسيارات قبل
أن يركض عابراً من وسط السيارات الذاهبة

والآتية، ويتجه إلى القهوة طالبًا كوبًا من الشاي،
وجلس ينتظر إن يأتيه العامل به.

وهو يحاول أن يجد حلًا لشروده الذي لاحظته أمّه
ذات مرة فسألته ما سبب حالته فنفي إنه لا شيء
ولم تسأله مجددًا كانت تضر حزنها في قلبها
لأجله، بينما يهمس هو:

الوقت يا مر يا أماه

والعمر يمضي

والحب أن سكن قلب المرء أحاله إلى قبرة حالكة
السواد

🌸 الحمد لله 🌸

كانت إسرائ تجلس وتقوم متخصصة التجميل
 بوضع (المكياج) على وجهها، وما أن انتهت
 أشارت لها إسرائ بالرحيل، و استقامت تتأمل
 فستانها الطويل عاري الذراعين أمام المرآة بغصة
 مريرة، وإنقباضة في قلبها، وألتمع الدمع في
 عينيها، ثم فجأة تبسمت وهي تكبح دمعها كلا
 ينزل، ثم جلست مجددًا، وأخذت هاتفها وكتبت
 منشورًا على حسابها على الفيس بوك :
 "وداعًا أيها الراحل ولا تنس أن عزائي في
 ذكرك، سلامٌ أيها الغائب فدع طيفك يزور المنام،
 سلامٌ أيها الطيب ففي لقياك تطيبُ الحياة.
 ألنا لقاء ينسينا مرارة الفراق، يُذهب بالحزن الذي
 سكن قلوبنا! يداوي حُبًا بات جحيماً؟"

وألقت هاتفها دون اكتراث على (الطاولة) التي
أمامها ودفنت وجهها بين كفيها وهي تنفجر في
البكاء..

لو آماقي العين يمكنها التحدث لشكت من فرط
الدموع.

ولصرخ القلب مستجداً من إعياءه
مؤلم أن يستوطننا غريب لا نعلم متى نلقاه، وهل
ثمة لقاء أما الفراق هو المآل، وربما يخبأ لنا
القدر أشياء لا نعلمها، فهو لا يفتأ يصدمننا بواقعه.

ثم همست وظيفه يزور ذهنها بأعين متلألاً

"لكنّ قلبي ظمآن لبسمة من عينيك."

انتزعها من شرودها دخول ندى عليها وهي

تهتف:

ـ خلاص مفضلش كتير وتطلعي...

ثم سكتت وهي ترّ بكاء إسراء فتهدت بثقل،
وربتت على كتفها تغمغم:

__مش كفاية حزن بقا؟

لم تجبها إسراء فبكت ندى لبكاءها وضمتها في
حنان والأخرى تهمس:

__بعض الأحزان لا تغادرنا يا ندى

🌸 الله أكبر 🌸

جلس والد إسراء أمام شاشة التلفزيون في يسراه
يقبع جهاز التحكم، وفي الأخرى سجارة رفعها
على فمه وأخذ منها نفس عميق، نفت دخانه في
الهواء، وفجأة شحذت كل حواسه على شاشة

التلفاز ومال إلى الأمام ممعناً النظر على المذبة
التي أخذت تقول:

(ممثلة مشهور أابة في سنوات قلائل أخذ ومحة
قلوب الابع ببراءتها وتمثيلها النقي الممتلاً
بالمشاعر، كانت قد حصل معها اء أيم واخفت
على إره وها هي اعود معاً مجدداً لنعرف ما
سبب إءفاءها المفاجئ، معاً ومعكم في حلقة
النهاراة الفناة إساء الشاهوي)

إرفع تصفيق الابع والمذبة، وإرسمت بسمة
فخورة ظافرة على ثغر والء إساء، بينما سطم
ضوء قوي على إساء وهي تهاذي مبتسمة اة
المذبة التي وقفت في استقبالها وصافحتها وهي
مبتسمة بسمة واسعة، كانت ترتدي فستان أبيض
واسع طويل مطعم بالورود الصفرء ذا أكمام
تغطي ذراعها كاملةً، وخمار يغط رأسها من اللون

الأصفر، و وجهها خالٍ تمامًا من مساحيق
التجميل، بدت كالقمر المنير في ليلة حالكة الظلام،
وما كادت تظهر بملأ الشاشة، وعلت دهشة
وشهقات الجمهور المندهشة، حتى وقف أبيها في
بطء وقد بلغ إتساع عينيه الذروة، وأخذ يحدق في
الشاشة وهو متسمر كتمثال صلب.

﴿ لا حول ولا قوة إلا بالله ﴾

وعلى جانبٍ آخر كان بلال يرتشف كوب الشاي في
بطء وهو يحاول أن يطو قلبه على حب زائل
سيكتوي هو بناره إذ تسلل إلى أذنيه صوت قادم
من التلفاز لم يلتقط منه إلا (إسراء الشهاوي)

ففعل الاسم في قلبه فعل السحر وترك الكوب جانباً
وما كاد يلمح صورتها على الشاشة حتى وثب قلبه
وثباً، وتألقت عيناه وإرتسمت على شفثيه بسمة
حنونة راضية وهو يتأملها في هيام، وفي قلبه
حفرت صورتها بتلك الهيئة بماء الحب والوجد،
وتلألأت عينا روحه وودت لو تخبأها عن أعين
الجميع، ثم آها وهي تقف مبتعدة لبقعة أخرى،
وراقبتها عيناه في اهتمام، وطالعتها قلبه صاغياً،
عندما بدأت تقول:

ـ طبعاً كلكم مستغربين هيئتي الجديدة، وبعضكم
مستنكرها، بس متعجبوش ما هي التوبة مكتوبة
للجميع حتى للممثلين هما بشر برضو بيخطؤ
ويصيبو احياناً، يمكن ذنوبي كثيرة جداً بعترف
بس أملي كبير اوي في ربنا إنه يغفرلي ويفتح لي
باب رحمته..

وصمتت عندما علا التصفيق فأشارت إليهم

بالسكون، وأخذت تقول :

_ حديثٌ قيل ليّ من عابرة لن انساها وهي سُهير

التي ليها فضل كبير اوي على تغيري للأفضل،

فضل هدعو ربنا إنه يجزيها عليه في الآخرة، وهو

نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن

كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن

ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا.

رواه مسلم عن رواية أبي هريرة

سكتت هذه المرة ملياً، وانبتق الدمع من مآقيها

بغزارة، فبكت سهير التي تتابع البرنامج في صمتٍ

حزين، وكذلك فعلت أميرة، بينما ألتمعت عينا

بلال، وشرع أبيها يهشم كل ما تطاله يديه، بينما

تابعت هي بحزنٍ دفين:

كاسيات عاريات وأنا كنت منهم لا يدخلن الجنة
ولا حتى يجدن ريحها، وأنا عايزة الجنة، عايزها
عشان عارفة ومتأكدة إني ممكن اموت في اي
لحظة مش عايزة اموت على ذنوبي، مش عشان
حثة قماش انسى اخرتي، ربنا امرنا باللبس
الشرعي وأنا لبيت وأرجو ألا يأخذ روعي على
معصية وإن آتاني الموت أتى وأنا على توبة.
سكتت لهنيهة يهوى خلالها دمعها في صمت،
وعادت تقول:

في شخص أنا عارفة إنه مش شايفني دلوقت،
شخص كان ليه عظيم الأثر في نفسي وفي قلبي
في تقواه، واخلاقه وإيمانه، قرآن ربنا مجالناش
بسهولة دا جه على عذاب شتى ودم لصحابة
رسول الله وللرسول، الرسول ضحى كثير عشاننا
فلو بنحبه مش هنضيع اللي عمله عشان دينا ،

إحنا مين عشان نعصي ربنا؟ إحنا مين عشان
 نأتمر فلا نطيع، اطيعو ربنا يا بنات لسه قدامكم
 وقت عشان تتغيروا، محدش فينا ضامن حياته ولا
 هيموت امتي، ألتزموا غيروا لبسكم من دلوقتي
 توبوا قبل الموت لأنه للأسف ملهوش إنذار.

سكتت لبرهة مسحت فيها دموعها، وتبسم وجهها
 البشوش في سرور، وقالت بصوت يقطر حبا و
 ولعاً:

_في نهاية كلامي في شخص حابة اشكره من
 صميم قلبي لأنه آواني في وقت اتقفل في وشي
 باب أعلى الناس، شخص حماني بحياته ودافع
 عني، والأهم من كل ده .. علمني إزاي ألجأ إلى
 ربنا، حطني على اول خطوات الهداية، وسابني في
 بداية الصراط المستقيم، شخص عزيز وغالي اوي
 عليّ علمني معنى الصبر، والحمد لله على نعم ربنا

اللي انا غرقنا فيها، شخص ممكن افديه بروحي،
عايزة أقوله إني بحبه...

بكت عند هذه الكلمة الأخيرة، واعتصرت جفنيها
فسالت العبرات انهارًا، ثم رفعت وجهها بنحيب،
وشهقت وهي تقول بصوتٍ رغم رفته إلا إنه

مختلج:

_بلال أنا .. انا بحبك وهفضل احبك لحد آخر
نفس بيتردد في صدري، ومستحيل انسى الشعور
الجميل بالأمان لما كنت معاك لأنه شعور مش
هحسه تاني لأن مفيش غير بلال واحد بس ممكن
يحسني بالأمان، فعشان كده أنا بحب...

وتوقفت عن الكلام وهي متسعت الحدقتين في هلع
وألَم، وندت عنها شهقة عالية وفغرت فاهً، وظهر
ثقبٍ محترق ملوث بالدماء فوق فستانها الأبيض،
ورفعت كفها تضغط على الألم الشديد الذي اخترق

معدتها، وترقرق الدمع في عينيها وهي تكتم تأوّه
 قاتل، وذاع بصرها وهي تترنح، بينما ارتفع
 صراخ الجمهور الذي راح يعدو من الأستوديو،
 وكانت واحدة فقط تخترق الجمع تجاهها وتتلقفها
 بين ذراعيها ما أن سقطت، ونظرت ندى إلى
 الجرح الذي سببته الرصاصة وهي تصرخ
 مستغيثة..

لا حول ولا قوة إلا بالله

علت وتيرة انفاس أبيها، وسقط قلبه بين قدميه
 وهو يصرخ مقترباً من شاشة التلفزيون التي بدلت
 إلى إعلان:

إسراء، إسراء...

وركض على عجلٍ.. ذاهبًا إليها بروحٍ فرّت منه،
وقلبٌ قد نُزع

في ذات الوقت كان بلال يقف قي بطء كأن قدميه
لا تحملانه، وبكى قلبه بكاءٍ يمزق ويفطر القلوب،
وردد اسمها بصوتٍ خفيضٍ لا يسمع، وخفق قلبه
في خوف وهو يعدو إلى سيارته..

يتبع ...

#والتقينا

#ندى_ممدوح

9_ أَيْحِبُّنِي؟

فهل ترحم الأيام، أو تهدأ المنى؟

أبى حبها إلا شقاءً يُدمر.

(محمود شاعر)

انطلق بلال بسيارته زائغ النظرات، واجم الملامح،

شارد القلب، لم يكن يدري أي السبل يسلك، أي درب

مفضي إليها؟!!

وهمَّ بأفتعال حادث كاد يودي بحياته في غمرة

شروده، وصوتها..

صوتها الهاديء الرقيق الذي للتو كان يعترف له
بحبه على الملأ، وتلك الكلمة بالذات تتردد في
داخله بلى هوادة.

وصورتها الرائعة التي كانت عليها الآئي لا تبرح
مخيلته بل لقد احتلت السويداء من قلبه، ضاقت به
الدنيا بما رحبت، فركن سيارته على جانب
الطريق، وعقد ذراعيه على عجلة القيادة ودسّ
بينهما رأسه، مرت لحظات وهو على حالته تلك،
حتى رفع رأسه قابضاً بكفيه على عجلة القيادة..

يريد أن يراها..

أن يطمئن عليها..

أن يعرف عنها أيُّ شيء..

لكن كيف؟!!

كيف يعلم بأي مستشفى هي الآن؟!!

أنى يصل إليها؟

تتهد وهو يفتح باب سيارته مدلياً يمناه، وتسمر
على هذه الحالة الغريبة.. متردداً ما الذي يبغيه؟!!

هو لا يدري، أين يبغي الذهاب لا يعلم؟!!

وفي نهاية المطاف لامست قدمه الأرض وخرج

صافقاً الباب ورائه، وأخذ يسير دون وجهة

محددة.

توقف على كورنيش النيل يتأمل مياهه، ما أشبه

قلبه الآن بسفينة تسبح على صفحة الماء وقد

ضلت الطريق، وتاهت في عرض البحر! ولا سبيلُ

للنجاة .. والغرق حتمي.

وهو قد غرق..

غرق في حبها..

أسرع بغتة مخرجًا هاتفه من جيب بنطاله، وأخذ
يتصفح الأخبار التي لم تخب ظنه وقد انتشرت
كالنار في الهشيم، رغبة ملحة جعلته يأتي
بصفحتها التي تفاجئ إنها خالية من جُل صورها
القديمة والفيديوهات التي كان بعضها مشاهد من
تمثيلها والآخر مع معجبيها، حُذف كل شيء.

كأنها كانت على دراية إنها على موعد مع ملك
الموت، فأبت ألا تموت وهي ماحية كل آثامها
لترك وصمة طيبة وأثرًا لا يموت.

فما المرء إلا ذكرى قد يسحقها النسيان، أو أثرٌ
يُخلد في القلوب.

ألتهمت عيناه كل التعليقات على المنشور الوحيد
على صفحتها والذي كان مضمونه إنها في حالة
حرجة وبحاجة إلى الدعاء، وقد انهالت عليه
التعليقات هيلاً عظيماً من جمهورها ومعجبيها،

وعلم أخيرًا مكان المستشفى، فأغلق هاتفه وركض
إلى حيثُ سيارته وولجها.

لم يكد يمك عجلة القيادة، وإذ بهاتفه يرن معلناً
عن اتصالاً من أميرة، فأسرع يجيب قائلاً:

ايوا يا أميرة، في حاجة ماما كويسة؟!

نطق كلماته على عجل جعلتها تغمغم:

_على مهلك أنت في حد بيجري وراك؟ ماما

كويسة وعايزة تروح لسهير، هتيجي تودينا؟!_

أجابها بذات السرعة وهو ينطلق بالسيارة :

_لا لا مش فاضي، خلي سعيد يوصلكم ويجبكم،

مع السلامة.

تفاجئت أميرة بأغلاقه للخط دون أن يسمع ردها

فهزت منكبيها في حيرة..

(ها، جاي يا بنتي)

تساءلت عايدة والدة بلال في اهتمام، فازدردت
أميرة لعابها في صعوبة، وغمغت في قلق:

_مش عارفه مكنش طبيعي..

فعبس وجه عايدة وهي تسألها:

_مين اللي مش طبيعي؟

استدركت اميرة قائلة في سرعة:

_ولا حاجة أنتِ هتاخدي على كلامي يا خالتوا ما
انتِ عارفة إني بهتش كده مع نفسي، بلال قال إنه
مش فاضي، هشوف سعيد.

استقبلتهما سهير بفرحة عارمة، والتقطت يدين
أمها توسعهما تقبيلًا وهي تغمغم في لهفة:

_وحشتيني اوي يا ماما.

وضمتها بعينين فاضتا دمعًا، متابعة:

_عاملة إيه طمنييني عنك، بتاكلي وتشربي حلو؟

ربت أمها على ظهرها، وقالت بنبرة مفعمة بحزن
الفراق:

_كويسة يا حبيبي الحمد لله أنتِ عاملة ايه مع
جوزك وبيتك؟ كله تمام؟

غمغمت أميرة وهي تعبر إلى داخل الشقة:

_ياختي قولوا اتفضلوا الأول وقعدينا.

التقطت سهير كف أمها وضمت ظهرها بذراعها
الآخر وهي تقودها للداخل في حنان قائلة:

_اتفضلوا اتفضلوا تعالوا.. ادخلي يا أميرة؟

ما كادوا أن يجلسوا، حتى مالت أميرة على أذن

سهير، تسألها:

_هو جوزك مفيش ولا ايه؟

هتفت سهير وهي تهم بالنهوض:

_لا جوة.. دقيقة وجاية.

دلفت إلى المطبخ لثُعد مشروبًا لهما، ففاجأها
زوجها وهو يهتف من وراءها ويلتقط من كفها
زُجاجة المشروب التي كانت تصب منها في
الكؤوس:

_ استني هنا أنتِ بتعملي إيه؟

دُهشت سهير من صنيعة، فهتفت في ذهول:

_ أنت اللي بتعمل إيه؟

مدت كفها لتجذب منه الزجاجاة إلا أنه رفعها عاليًا
بعيدًا عن يدها، قائلاً في صرامة:

_ بس بس يا ماما أنتِ بتعملي إيه؟

خفتت سهير صوتها كلا يصل لمسامع من
بالخارج، وهي تقول بهمس حاد:

_ أنت اتجنيت يا عماد؟ هات العصير عشان اطلع
لماما وأميرة.

فقبض على مرفقها بقوة أمتها، مع همسه بصوتٍ

غليظ:

_ عصير إيه اللي تطلعيه ليهم يشربوه هو أنا

جايبه ليهم، بظلي إفتري.

صكت سهير على أسنانها غيظًا وهي تفلت ذراعها

منه قسرًا، صائحة:

_ سيب دراعي يا عماد..

وأضافت وهي تدلك مكان قبضته في ألم:

_ وبعدين عصير إيه اللي أنت جايبه، التلاجة دي

مليانة من خير بلال وأمي، أنت جبت إيه؟

أطل غضبٍ هائل من عين عماد، وهو يجذبها إليه،

قائلًا بلهجة مقبئة:

_ خير مين يا حبيبتى؟ بلال؟ وهو بلال عامل كل ده

عشان سواد عيوني يعني ولا عامله عشان أخته

اللي ما صدق يجوزها؟! ها اخته البائرة اللي

مكنش حد يبص عليها!

تسمرت كل جوارح سهير مع إهانتته لها، وخيل

إليها إن قلبها أنصت لقوله في انتباه، ثم اندفع

يخفق بخفقات سريعة متلاحقة جدًا مزقتها إربًا، لم

يمر الكثير على زواجها فتهان بهذا الشكل؟!!

خفف أخيها من كل العوائق التي قد تكون عائق

في طريقه فيكون هذا الجزاء بدل الشكر والإمتنان،

لقد ظنوا إنهم اشتروا زوجًا سيصون لكنه لم

يعرف قيمة ان يرزق بزوجة يكون أهلها ممن

يقللون ويسهلون في متطلبات الزواج دون

تعصب، لكن في هذا الزمان إن فعلت خيرًا لأحد

سيرده سرًا.

كان يجب على أخيها أن يطلب كما يطلب الآباء،

ويشترط كما يفعلون، ويطلبون كل ما هو غالي.

ترقرق الدمع في عينيها، وأرتج عليها فحدقت فيه
صامتة، ثم استدرك هو قائلاً:

_هطلع اسلم على أمك، لتقول إني مسلمتش ولا
رحبت.

وخرج تاركًا إياها تُشيعه بنظراتٍ ذبيحة، نزعها
من شرودها صوت أميرة وهي تدخل متممة:

_سهير، أنا جوزك ده مش بطيقة صراحة..

ثم هتفت في لهفة وهي تسرع الخطى إليها:

_بت، أنتِ بتعيطي؟

استدارت سهير وتصنعت التلهي في غسل
الكؤوس، وهي تقول بنبرة جاهدة كي تُكسيها
بالمرح:

_هعيط إيه بس يا بنتي ما أنا زي الفل.

غمغت أميرة وهي تغلق صنبور المياه بثقة:

لا، لا مش عليّ ده يا سهير.

وأضافت في لهفة، وهي تديرها إليها:

مالك بس يا سهير، هو جوزك ضايقك؟ أنتِ

مرتاحة طيب؟

أتمعت العبرات في مقلتي سهير، لكنها رفعت

عينها وسألت في اهتمام حقيقي:

شفتِ إسرائ؟ أنا قلقانة عليها أوي؟! اللي حصل

لها ده حصل إزاي؟ إزاي يحصل كده في موقع

تصوير، انا مش قادرة استوعب؟!!

بدت اميرة إنها لم تفهم شيئاً منا تعني، فسألتها

مضيقة عينيها:

إسرائ مين قصدك؟ إسرائ اللي هي إسرائ

الممثلة.

هتفت سهير في لهفة:

ايوا يا بنتي وهو في غيرها يعني؟!

إيه اللي حصل؟

أنتِ مسمعتيش البرنامج؟

_لا، مكنتش فاضية افتح التلفزيون أصلاً.

تهدت سهير بثقل، وبحزنٍ دفين قالت:

_والله يا بختك إنك مشفتهاش.

غمغت اميرة في فضول:

إيه اللي حصل؟

قصت عليها سهير ما حدث بالتفصيل عن تغير

إسراء وكلماتها و.. وحبها لأخيها، وإنهاء

البرنامج على أغماءها والدم يغرق فستانها،

فشهقت أميرة في وجل، وقالت:

_يا ربي يعني مين يقدر يعمل كده، بلال لازم

يعرف؟!_

نفت سهير برأسها:

_ لأ طبعًا، هيعمل إيه حتى لو عرف هيطنش، هو
اصلاً مكنش عايزها في البيت.

تبرمت أميرة، وقالت بغمٍ ملتويًا:

_ مين اللي مكنش عايزها ده؟! دا هو لو يقدر كان
هو اللي طلب منها تفضل، اخوكِ واقع في حبها
على الآخر اصلاً..

واتبعت ساخرة وقد برزت بسمة هازئة على زاوية
فمها:

_ قال مكنش عايزها قال، اتتيلي.

حملقت سهير فيها وهي تغمغم في صدمة:

_ بيحبها، بلال بيحب إسرائيل؟! هو صحيح مين
اللي وصلكم مش بلال؟

أجابتها أميرة وهي تهز كتفيها:

_ بلال قال مشغول، وصلنا سعيد.

تحاشت سهير النظر إليها، ثم سألتها:

_ امال مطلعش ليه؟

_ قال هيستنانا تحت افضل.

_ عيب عليه كده والله، لما اشوفه.

ثم تسألت بحزن يمزق نياط قلبها:

_ أنا قلقانة على إسراء اوي، ياه يا اميرة لو

تشوفيتها في الخمار؟! كانت قمر اوي كأنه زادها

جمال.

تبسمت أميرة وقالت في سرور:

_ زادها الله من فضله، هي طيبة وتستاehl كل خير،

وهتغير من نفسها البت دي ربنا بيحبها والله

عشان هداها.

شردت عينا سهير لحظة، ثم قالت بنبرة شاردة
ساهمة:

__ بس يا ترى هيتكتب ليها عمر جديد؟

ونظرت إليها تقول في انفعال:

__ أنا قلقانة عليها أوي.. وعازية اطمئن إنها بخير.

في ذات الوقت كان بلال يدعو في رواق المستشفى
بعدما سأل عنها وعلم إنها في غرفة العمليات،
وما كاد يصل حتى تخشبت قدماه وهو يشاهد رجلاً
ذا حُلة أنيقة يزرع الطريقة جيئة وذهاباً، وفتاة
أخرى تجلس وهي تحرك قدميها في توتر بالغ،
والتقت عيناه بعينين والد إسراء الذي تابع سيره
دون أن يعره أي انتباه، لكن بلال عرفه..

عرف من يكون..

رأى قلب الأب ينبض بن جنباته موارياً جشع
المال، وطمع ملاذته..

فأستدار وانصرف إلى كافتيريا ملحقة بالمستشفى،
وجلس طالباً كوباً من القهوة، وأخرج مصحف
صغير كان يحتفظ به دائماً معه، حتى إذ كان عليه
انتظار أحد زبائنه اغتتم وقته في قراءة القرآن..
الآن هرع إلى ربه، لربه فقط فلمن غيره سيلجأ؟
آب إليه هذه المرة متضرعاً لاهجاً أن ينجيها الله
سبحانه وتعالى وكله يقين إن الله لن يرد يدا عبده
خائبين أبداً حاشاه..

كان يتمنى في أعماقه لو كان بجانبها، يحتضن
كفها في راحته، يحمل عنها الألم، يضمها إلى
صدره ويفديها بروحه وعمره...

لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه..

لم يمر طويلاً على بقاؤه في الكافتيريا، وتناهى له
إنها بحاجة إلى دم فهرع فوراً ليتبرع لها بكل دمه
لو تبغي..

كان مستعداً بصدق أن يفديها بنفسه ولا تصاب
هي بخدش واحد..

كان يدرك أن جسدها الضعيف الضئيل لا يحتمل،
وعندما تبرع بالدم، وبينما هو يخرج من الحجرة
مُنزلاً كُم قميصه وجد ذات الفتاة التي كانت تجلس،
والتي نظرت إليه في إمعان، ثم شكرته بكلمات
مقتضبة ولجت إلى الداخل، وغادر هو المكان..

قضى اليوم كله في الانتظار لا يغادر المستشفى إلا
عند الصلاة، حتى علم إنها في العناية، فذهب إلى
الطبيب القائم بحالتها وطلب منه أن يراه سرّاً ولو
من وراء حجاب.

وتوقف خلف الواجهة، يتأملها بقلبٍ منظر،
 وجهها كان شاحبًا ذابلًا فرّت منه الدماء هربًا،
 جفنيها مسبلين، على أنفها جهاز الأكسجين،
 وحادت حدقتيه إلى كفها الرقيق، المحاط بإحدى
 إصبعيه جهاز قياس القلب، وألتمع الدمع في
 عيناها..

مع ألم قاتل أحس إنه ينحر قلبه نحرًا ويذره
 ينزف..

كيف يقولون عن قلب فقد إحدى نبضاته إنه
 يحيا؟!!

ألا تميته تلك النبضة؟!!

تجعله يحيا في عذاب؟!!

تسلبه أنفاسه؟!!

وتحرمه من حياته؟!!

تفجر الأسي في أعماقه، ألم يجد الموت سبيلاً
إليها إلا وهي تعترف بتلك الكلمة السحرية التي

قلبت كل كيانه ووجدانه؟!!

آه من القلب حين يهوى ويغرم فيغادر مكنة
محلّقاً بأجنحة السعادة يرفرف مع من أحب، لكن
قلبه هو يرفرف الآن فوق تلك التي بين يداي ربها
عز وجل، على فراش المرض.

لم يبك، لم تنهمر عبارات حزنه، لكن قلبه قد فعل
دون شك..

قال بلال وهو يحتوي وجهها الذابل بحنان عينيه
الدافق:

ـ كوني بخير لأجلي.. لأجلي يا إسراء كوني بخير
ليعود قلبي بخير.

ثم تنهد في عمق وأطرق لثوانٍ وعاد إلى منزله،
لم يهون عليه ألا يطمئن على أمه وأخيه الصغير.

كان مشتتًا بين البقاء والعودة، ونعى قلبه الذي
تركه لديها وذهب..

وظل كل يومٍ بين المستشفى وبيته حتى نُقلت إلى
حجرة عادية تقضي فيها فترة النقاهة

ما كادت إسراء تستعيد كامل صحتها حتى علمت
فضل ربها عليها..

لقد رزقها بعمرٍ جديد..

ووهبها أيامٍ لتستغفره عمّا اقترفته من ذنوب، لكن
هل لذنوبها من توبة؟!

لقد مثلت وراها ملايين من الناس بملابس كاشفة،
بلى.. لامست رجالاً أكثر كان كل محرم لديها
طبيعي...

عادي أن تفعل اي شيء..

دون رقيب أو عتيد..

كل ما هو محذور مباح..

لم تكن تخشى الله لا في السر ولا العلانية..

هي لم تعرف ربها أبدًا..

وقد كانت تموت بكل تلك الذنوب التي كانت

ستصليها نارًا ذات لهب..

الآن، لقد عرفت ربها، علمت إن ثم ملائكة تدون

ما تتفوه بها، وإن ربها مطلع عليها، وإن الدنيا

فانية مهما مضت بيها الأيام مآلها إلى الزوائل..

ومفارقة الحياة.. لقد علمت إن حساب ربها آتٍ،

وإمّا جنة أو نار.. وإن القبر حالك السواد وضمته

لا ترحم كافر أو آثم إلا المؤمن فإنها تكون له

ضمة حنونة، كضمة الأم لأبنها الغائب ما أن

يعود..

فالجنة تستحق..

كتب لها الله عمراً جديداً ستغتمه، ستصلي،
 ستحفظ القرآن، وتجوده، وتتدبر آياته، ستتعلم بتلك
 الجنة.. جنة الأرض.. ستصوم ستصدق، ستخشى
 الله في ملابسها، وأقوالها، وأفعالها، وصلاتها،
 وقيامها.. ستتعلم العلوم الشرعية..
 بل إنها ستكون من طلبة العلم..
 ستتغير..

ستبدل من نفسها..

ستكون إنسانة أخرى وُلدة من جديد..

كانت تَوًا تتيّم بسبب عدم مقدرتها على النهوض،
 وتؤدي فرضها باكية العينين، منتحبة القلب..
 تتاجي الله ببكاءٍ حارق يمزق القلب بأن يغفر الله
 ويخفف عنها العذاب، وسكرات الموت إن واثتها..

الغريب إنها ما ان فاقت كانت كمن فقد ذاكرته، فلم
تتذكر بلال لحظة واحدة، كان الرصاصة قد نزعته
من قلبها انتزاعًا أو إنه قوة الإيمان، وحلاوته..
وهي حيت الإيمان بكل مشاعرها فنست الدنيا كلها
ونعمت بقرب ربها..

كانت تنكب على المصحف، تتلو آياته بصوتٍ باكٍ،
عندما، دلفت ندى إليها والحيرة بادية على
وجهها، فكفكت أدمعها سريعًا وأغلقت المصحف
وهي تسألها في صوتٍ واهي:

_ ندى، مالك أنتِ كويسة، إيه اللي شاغل بالك؟
رفعت ندى عينين حائرتين إليها، وغمغت في
توتر:

_ مش عارفه ملاحظة حاجة غريبة!
هتفت إسراء بكل اهتمام:

إيه الحاجة الغريبة دي؟

أخذت ندى نفسًا عميقًا وقالت:

في شاب غالبًا بيجي يوميًا يظمن عليكِ.

فزفرت إسراء بمثل، واسندت رأسها إلى الوسادة
وأرخت جفنيها، متممة:

دا أكيد حد من المعجبين!

هزت ندى كتفيها، واكتفت بهذا الخاطر الذي قالته
إسراء، ونست الأمر.

وذات يومٍ كانت إسراء بمفردها في الغرفة عندما
طُرق الباب، ثلاث طرقات، فسمحت للطارق
بالدخول، وتعلقت عينيها على الباب، كانت تدرك
إنها ليست إحدى الممرضات لأنهن يكتفين بطريقة
بسيطة ثم يدلفن فورًا، وليس ندى لأنها لا تطرق
الباب، وأكد ليس والدها بالطبع وقد غادرها آنفًا.

فتعلق بصرها على الباب، وخفق قلبها وهي تراقب
تلك اليد السمراء تدفعه برفق، ثم رأته..

نعم، كان بلال أمامها يدخل بخطوات بطيئة، مطرق
الرأس مرتبك .. وخفق قلبها في جنون وهي
تهتف متسعت العينين في ذهول:

_ يا الله، بلال؟!!

وفركت عينيها لتستوعب إنه هو حقًا، وتسلل
صوته المغلف بالحنان يسألها من لدن الباب وهو
لا يزل مطرق:

_ عاملة إيه؟ كويسة؟!!

فهبت في ارتباك واقفة، وأحست إن جسمها قد
استرد كل صحته وعافيته ما أن رأته، وهممت
وهي تزدرد ريقها في خجل تصاعد إلى وجنتيها
الشاحبتين فتوردتا:

_ كويسة؟! أنا كويسة؟! مش عارفه.

غمغت مرتبكة، وعندما وجدت نفسها تهذي لاذت
بالصمت، وسألته في لهفة تطل من عينيها:

_ أنت.. أنت عامل إيه طمني عليك؟

فرقع عيناه وتعلقت عيناها لثوانٍ قبل أن ترخي
هي جفنيها في خجل مع تدفق الحنان المشع في
عينيها، وخفق قلبها بين جوانحها، وهو يجيبها:

_ أنا تمام، بس أنتِ عاملة إيه؟

رفعت كفها إلى موضع قلبها الخافق في جنون،
وقالت وهي تسبل جفنيها:

_ انا بخير الحمد لله..

وهمست في نفسها (مين ممكن ميشوفكش

وميكنش بخير؟!)

كانت تشعر بزغردة سعيدة تنطلق في اعماقها
وهذا الاهتمام يحفها به..

حتى غمغم وهو يتهد في ارتياح:

_ الحمد لله، مع السلامة.

وفي ثانية كان يستدير، فتطلعت إلى ظهره في

فزع، وهتفت:

_ بلال.

فوقف، بل توقف قلبه مع نداءها، وعاد ينبض من

جديد، وسألها برفق دون أن يلتفت:

_ نعم.

وصمتت مليًا، لم تكن تدري لماذا أوقفته؟!!

ما الذي تريده منه؟!!

ودت لو تسأله هل جاء ليسأل عنها حقًا؟!!

أم إنها تتوهم..

ثم لم تلبث إن ضاعت كل تلك التساؤلات من
اعماقها، وسألته بجزعٍ حقيقي، بسؤال أرهاقها،
وجعلها مسهده، واورثها اعياءً على اعيائها:
هو .. هو ربنا ممكن يقبلني بكل ذنوبي دي،
ممكن يغفر لي ولا كده مليش توبة ونساني.

قالتها بصوتٍ حزينٍ مختنقٍ بالبكاء، فمزق نياط
قلبه وهو يلتفت إليها بهدوء، وتطلع إلى وجهها،
ثم رتل بصوتٍ رخيمٍ يبعث الراحة والسكينة في
القلوب:

{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا
تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }

[سُورَةُ الزُّمَرِ: ٥٣]

قال الآية ولم ينبس، ترك كلمات الآية تعبر إلى
قلبها فتجيبها..

واجابتها واغروقت عينيها بالدموع وهي تدرك كم
رحمة الله عظيمة.

ثم تفاجئت به يسألها وهو يعقد ساعديه:

تعرفي حدير؟!

فظلت لفترة تنظر إليه ذاهلة، من حدير؟!!

ما هذا الاسم؟!!

من يكون حدير؟!!

فهزت رأسها نفيًا في خجل زال مع بسمته

الحنونة، وصوته يهمس:

ياإلهي! ألا تعرفين حديرًا؟!

أيوجد أحد لا يعرف حديرًا!!

أثمة من لم يرو قلبه بقصة حدير؟!!

قصة غيرُ أي قصة؟!!

قصة تعلمنا معنى اليقين والإيمان!

ذاك صحابي لم ينسأه الله؟!!

فكيف نظن إن الله ينسانا؟!!

إصغي إذن بقلبك قبل أذنيك، هل فعلت؟! أيقظي قلبك وجوارحك وحواسك لتتلقى قصة حدير فتمتلأ به كل ذرة فيك.

صمت بلال لهنيهة، ثم اردف:

جاء وفد من اليمن إلى رسول الله ﷺ في العام السادس من الهجرة وكان الرسول يستقبل الوفود من القبائل والقرى ليتعلمون ما يتيسر لهم من القرآن الكريم ثم يعودون إلى بلادهم، وكان رسول الله ﷺ لما يعلم من يأتون إليه ما تيسر من القرآن والسنة وعند انصرافهم يهدي كل منهم هدية، فحل وفد اليمن إلى الرسول صل الله عليه وسلم ومعهم حدير وكان أصغرهم فجعلوه يجلس مع الإبل

يراعونها، وإنهم سيبايعون له النبي صل الله عليه وسلم، فدخلوا وبياعوا الرسول وأعطاهم هداياهم ونسوا حدير تمامًا، ونسوا رسول الله صل الله عليه وسلم، وكانوا قد علموه بحدير وإنه في الخارج برفقة الإبل، وتلهاوا هم بهداياهم... كان حدير يجلس بجانب الإبل يذكر الله عز وجل يردد (سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر).

أخذ بلال نفسًا عميقًا، ثم استرسل:

انطلق الوفد ومعهم حدير في آخر الركب، وبينما هم ينطلقون، كان فارسٌ يعدو مع فرسه خلفهم يسأل عن حديرٍ، فلما عرفه، أخبره إن رسول الله صل الله عليه وسلم يقرؤه السلام، ويرسل له هديته..

فتعجب حدير!

كيف علم الرسول عنه؟!

من أنبأه إنه لم يأخذ هدية؟

فأخبره مُرسل الرسول إن جبريل أتى الرسول وقال

له إن الله يخبره أن لا ينسى حديرًا.

فقال حدير: اللهم كما لم تنسى حديرًا، فأجعل

حديرًا لا ينساك.

فكان حديرًا لا يفتر لسانه عن ذكر الله أبدًا.

سكت بلال لوهلة، وقال وهو يرفع عيناه إليها:

_ انظري، لم يفكر الرجال حديرًا وتلهوا في

هداياهم!

لم يفكر الرسول حدير..

لكن أفكره الله عز وجل..

قد ينسانا العالم كله لكن الله لا ينسى

هذه القصة فيها إشكال، وقيل إن اسنادها ضعيف،
فقد ذكرها ابن الجوزي في كتابه (صفة الصفوة)
ورواها عن ابن عمر رضي الله عنهما، وذكرها
وابو نعيم في كتابه معرفة الصحابة، وقد قالها بعد
المشايخ كـ الشيخ سمير مصطفى، ومحمد الغليظ،
ورمضان عبد الرازق.. وغيرهم.

تفاجأ بلال بخطين من الدمع يسيلان على وجنتيها،
فصمت وأطرق لثوانٍ، قبل أن يغض الطرف،
ويقول:

ـ كفاية أنك تلجأي إلى الله سبحانه وتعالى بيقين
وندم وعزم على عدم العودة لهذه الذنوب وسيغفر
.. سيغفر لأنه غفار رحيم تواب رؤوف فأطمعي
في كرمه ومغفرته.

واستدار ليغادر، عندما اوقفه قولها الذي كان
كالصاعقة التي هوت على قلبه بغتة:

بلال، تشتغل عندي؟

رأيكم وتوقعاتكم..

بما إن دي آخر رواية ليا وهعتزل الكتابة، فحابة
ازود من الجانب الديني.. مين من الصحابة تحبو

نتكلم عنه تاني؟

في بالي حاجتين وهسيب لكم الأختيار وهختار
بالأغلبية..

1_ ماشطة ابنت فرعون؟

2_ كعب بن مالك؟

#والتقينا

10_ عزومة

"بلال، تشتغل عندي؟"

توقف (بلال) حينذاك متجمد الأطراف، وطلت من عينيه نظرة نارية استطاع حجبها في بارعة، وهو يلتفت إليها في بظء، مغمغماً بصوتٍ أجش:

_ نعم! أشتغل عندك؟! أنتِ واعية بتقولي إيه؟

تلاحقت دقات قلب (إسراء) في سرعة عجيبة، وهي متسعت العينين، فاغرة فاه إزاء ما قالت من حماقة لن يمررها هو مرور الكرام، فازدردت لعابها تهتف بصدق مس قلبه:

_مش أقصد والله، أنا مش بعرف أقول كلمتين
على بعض، صدقتي مش ده قصدي، أنا كان
قصدي تشتغل معايا...

صمتت تكتم فمها بكفيها في ذهول مما تتفوه به،
وأطرقت سريعًا كأنما تخشى عيناها ملاقة عيناه،
وحانت منها نظرة إليه، فرأته يتأملها في صمت،
ولم تكد عيونهما تلتقي، حتى حوّل بصره عنها،
فأسرعت تقول:

_يووه بجد أنا مش عارفة أطلب، متفهمنيش
غلط، أنا أقصد إني...

_إسراء، مين ده؟ وبيعمل إيه هنا؟

انطلقت هذه العبارة من بين شفتي (ندى) وهي تكد
تدخل إلى الحجر، فاستدار لها (بلال) ورمقها
بنظرة سريعة وعبر من جوارها منصرفًا، فدلفت
(ندى) إلى الداخل مندهشة، وهي لا تزال تنظر إلى

أثر (بلال) في تعجب، وتمط شفيتها بعبوس،

وتتساءل لنفسها بصوتٍ مسموع:

_إيه اللي جابه تاني هنا؟!

والتفتت إلى (إسراء)، قائلة:

_أنتِ تعرفي الشاب إلي يلا خارج ده؟

فإنبلج نُغر (إسراء) ببسمةٍ حالمة، وقالت مأخوذة:

_وهل يخفّ القمر؟

رفعت (ندى) حاجبها، فاستدركت إسراء بضحكة

مفتعلة:

_دا بلال إلي كلمتك عنه، فاكرة؟!

دنت (ندى) منها، وهي تقول بوجهٍ باش، وصدِرٍ

منشرح:

_فاكرة! إلا فاكرة طبعًا، وبعدين هو نفسه إلي

إتبرع لك بالدم.

تطلّعت (إسراء) إليها طويلاً، ثمّ استلقت على
الفرّاش وتدنّرت بالملاءة البيضاء، وقالت
مشدّوهة:

_إتبرع ليّ! يعني دم بلال دلوقتي في جسمي؟!
وضمت جسدها بكفيها، وأحسّت بدفءٍ غريب
يسري في كامل أوردتها.

بينما رمقتها (ندی) بذهول، وأزاحت خصلة من
شعرها، تهدّلت فوق جبينها، وهي تقول:
_بس شكله كده بيحبك.

ولم تستمع (إسراء) لقولها، كانت غائبة بذهنها،
بعيدة كل البعد عن الحاضر والماضي والمستقبل،
كانت تتأمل فقط صورته..

صورته التي تجسّدت في خُدها..
أترى هل يشعر بما تشعر به..

هل خامره شعور الدفاء الذي سرى في أوردتها
 الآن ما أن علمت إنها تملك جزءاً منه..
 هل علم إنه موطنها وإنها لن ترتحل عنه؟!
 ستظل كما قالت له يوماً كالعلكة لا تُنزع إلا قُسرًا.

﴿ الحمد لله ﴾

(طيب بما إنك هترجعي مع ندى، فهسبقك على
 البيت، هخليهم يحضروك كل الأكل إلي بتحييه.)
 قال تلك العبارة، والد (إسراء) بعدما رفضت أن
 يوصلها هو، فتبسّمت له، قائلة:
 _تسلم لي يا بابا، ربنا ميحرمنيش منك يا حبيبي.
 فوضع أبيها كفيه على كتفيها، وغمغم في حنان
 نادرًا ما تراه:

_ولا يحرمني منك يا حبيبتي، أنا مليش غيرك،
واللي عمل فيك كده، هندمه على اليوم اللي تولد
فيه.

فمست (إسراء) على ذراعيه، وقالت:

_بلاش تفكرني يا بابا، يلا بقا روح اسبقنا وإحنا
هنلحقك.

قبل أبيها جبهتها وغادر، وخرجت هي مع ندى،
وقبل خروجهن من باب المستشفى، توقفت
(إسراء) وهي ترى (بلال) يتكأ بظهره على جانب
السيارة، منشغلاً في هاتفه، وخفق قلبها في عنف
وهي تتأمله في وجد، قائلة ببسمة بزغت على
محياتها:

_جه.

فتوقفت (ندى) واستدارت لها، قائلة:

_مالك وقفتِ ليه؟

فأشارت (إسراء) برأسها شطر (بلال)، فرمقته
(ندى) بنظرة سريعة، وقالت:

_آه فهمت، وبعدين؟!!

نهرتها (إسراء) بنظرة زاجرة وهي ترى (بلال)
مُقبل نحوهن، وتبسمت في وجهه وهي تخطو
نحوه، فبادر قائلاً:

_جيت أوصلك.

لم تحر (إسراء) جواباً، فظَلَّت تتأمله في وَلِه، حتى
لكزتها (ندى)، مغمغمة في حَنق بصوتِ هامس:

_أنتِ يا بنتي قولي حاجة.

فرمقتها (إسراء) بنظرة سريعة، قبل أن تُحَيِّدَ
ببصرها إلى (بلال)، تقول ببسمة خجلة:

_هتوصلني أنا؟! معنديش مانع طبعاً.

والتفتت تمد يدها إلى (ندى) لتأخذ منها الحقيبة،

قائلة:

هاتِ أنتِ الشنطة يا ندى، وروحي وأنا هاجي مع بلال.

فنفثت (ندى) قائلة وهي تغمزها بمرح:

لا، لا روعي أنتِ وأنا الشنطة هجيبها معايا، يلا مع السلامة.

صعدت (إسراء) في سيارة (بلال) وانطلق هو بعدما أملتته العنوان، وخلال الطريق لم ينبس أيهما ببنت شفة، إلا من نظرات مختلسة كانا يتبادلها عبر مرآة السيارة الأمامية، أمّا (إسراء) فكانت مُتردّدة أتشكره أم لا؟!!

ها هو ذا فعل ما كانت تبغاه!

وما لم تدرك كيف تقوله عندما جاءها!

للحب مشاعر قد لا تدركها الأبصار، لكن تدركها
القلوب لا ريب.

رفعت بصرها إلى المرأة فتلاقت أعينهما، لكنه

أخفضهما سريعاً، متحاشياً النظر إليها...

فودت لو تسأله، لم يوارى وطنها عنها؟!!

ألا يدرك أن في عيناه مسكنها؟!!

في عينيه ترى سعادتها

ترى قدرها

وترى عمرها

فاقت (إسراء) من غمرة شرودها على صوته،

الحاني وهو يُرِدُّ:

_إنهارة إرتاحي وبكرة محتاجك في موضوع

ضروري.

فهمت في إنفعال:

_ محتاجني أنا؟! _

رد (بلال) مغممًا في استخفاف:

_ ايوا محتاجك أنتِ أكيد مش خيالك يعني.

فزمت شفتيها بعبوس، ورددت في اهتمام:

_ طب ما تقولي دلوقتي؟

فرد عليها (بلال) بضيق:

_ قُلت بكرة لما تستريحى، وخلص.

_ طيب.

رنت إليه بغتة، تقول في شغف:

_ تعرف حد بيحفظ قرآن ويعلمني الصلاة عن

الرسول والعلوم الشرعية؟! _

فتجمد بصره على ملامحها في المرآة بصدمة، قبل

أن يصك أذنه بوق سيارة من الخلف تحته على

التتحي، فتنبه صابًا جام اهتمامه على الطريق،

وهو يقول:

_ معرفش حد معين، بس هسألك سهير إن شاء الله
وأميرة.

لم يعرف ما الذي خامر نفسه تلك اللحظة بالذات،
أهو شعور فرح باهتمامها بأمر دينها؟! أمّا إنّه
حُبّها الذي حلّ في السويداء من القلب دون أدنى
إنذار؟!!

انتزعه سؤالها في إلحاح:

_ بلال .. بلال بكلمك روحت فين؟

فسألها دون أن ينظر إليها:

_ بتقولي حاجة؟

فهزت كتفيها، وهي تقول:

_ كُنْتُ بسألك سهير عاملة إيه؟

رد بإيماءة من رأسه:

بخير الحمد لله.

فتهدت بصوتٍ عميق، وهي تقول بنبرة فيها

رجاء:

_ممكن بكرة توديني عندها عشان نفسي أشوفها

اوي، واطمن عليها.

أراد بشدة أن يرفض!

أن يصرخ في وجهها بـ لا.

لكن نبرتها الرقيقة لامست شغاف قلبه، فقال

باستسلام:

حاضر.

ووصلا، وتوقف بسيارته على جانب الطريق

المواجهة للبنية الساكنة فيها، وقال:

'وصلنا، هديكِ رقمي عشان لو احتجتني حاجة او
روحتي أي حنة تكلميني.

تلاحقت دقات قلبها في عنف، حتى شعرت إنها
مسموعة، وأملها الرقم على مهلٍ لرغبةٍ في
نفسه، وغادرة السيارة وهي تلوح له مودعة،
وظلت واقفة ببصرٍ متعلق بسيارته التي انطلقت
مبتعدة حتى غابت عن الأنظار.

لم تكد (إسراء) تدخل إلى المنزل، حتى أوقفها
أبيها وهو يقف وراء النافذة، يقول بنبرة
غامضة:

هو دا بلال إلي وصلك؟! باين عليه ابن حلال.
فالتفتت إليه وكأنما شعر هو فحل عقدة كفيه من
وراء ظهره وهو يستدير إليها، ولم يخف عن
عينيه شحوب ابنته، التي تسمرت أمام عيناه في
وجل، واكتست ملامحها بالخوف والاضطراب،

لكنه تبسم وهو يقترب واقفاً أمامها، وسألها في

هدوء:

_ بتحييه؟

فرفعت إليه عياناً زائغتين، متحيرتان، وغمغت

في تردد:

_ بحبه آه.. لا..

كادت تستأنف حديثاً متلعثماً، ألا إنّه سبقها، قائلاً:

_ ربنا يقدم لك إلي فيه الخير، ادخلي استريحي يا

حبيبتي لحد الأكل ما يجهز عشان نأكل سوا، ندى

ادنتي شنطة هدومك هتلاقيها جوة على سريرك.

وفرت من أمامه، لتتمدد على فراشها، وتعد

ساعديها أسفل رأسها، وتخرط في التفكير

المتحير إزاء تصرف أبيها المثير للشك!

الحمد لله رب العالمين

في اليوم التالي، أرسل إليها رسالة؛ فحواها إنه بانتظارها أمام البناية، فهبت من فورها وارتدت ملابسها على عجلٍ، ووقفت أمام المرآة تصفف شعرها، وتلف خمارها وتخرج من غرفتها، ببسمة مرتسمة على وجهها في أجلى صورها، لم تلبث إن تلاشت مع صوت والدها الجاف:

__رايحة فين؟

فرفعت بصراً خائف إليه، فنزع هو عويناته وطوى الصحيفة وركنها جانباً، ونهض من مكانه ببطء، وسار نحوها حتى وقف قبالتها، وقال بنبرة مبهمة سرت قشعريرة في بدنها:

__مع بلال صح؟ هو مستنيك تحت!؟

فتلبكت وتحير بصرها، وقالت في تردد:

_ايوا هو عايزني في مشوار وكمان هيوديني

معهد بيحفظ قرآن.

حاولت أن تستشف ما يعتمل في صدر أبيها، أن تسبر أغواره وتتوغل بداخله، لكنه كان داهية ما يجيش به صدره لا يطفح على ملامحه قط، ولم تفتأ ملامحه عن الجمود، وإمعان النظر فيها، حتى تبسم فجأة في هدوء، وافتعل ضحكة قصيرة، وهو يقول خلالها:

_طيب روعي يا حبييتي، وأبقي اعزميه على

العشاء انهاردة حابب اتعرف عليه جدًا.

ثم غمز لها بعينه، وغمغم:

_وكمان عشان نقرب البعيد، ولا إيه؟

فارتسمت بسمة خائفة على وجهها، وأطل من
عينيها نظرة شاحبة، وهي تتساءل في نفسها:
تُرى ما الذي ينويه أبي؟! ما الذي يبغى الوصول
إليه؟! يا إلهي كم تخاف ذاك الرجل برغم إنه
أبيها.

ودعت أبيها بعد ذاك، وهبطت درجات السلم
كفراشة ترفرفُ بجناحيها، وقد تناست لحظات
القلق والاضطراب مع أبيها، وكل ما يشغلها إلا
بلال..

بلال فقط..

الذي كان يجلس داخل سيارته، يطرق بسبابته
على نافذة السيارة في حركة رتيبة مستمرة
شاردة، حتى تسلل صوتها إلى أذنه وهي تجلس
في المقعد الخلفي:

صباح الخير.

فردد دون أن يلتفت إليها:

_ صباح النور.

كانت عينيها مرهقتين من قلة النوم بسبب التفكير
في هذا اللقاء، الذي سلبها عقلها، وأسرعت فوراً
تسأله:

_ ها موضوع إيه اللي محتجني فيه؟

فرد عليها بإيجاز وهو ينطلق بالسيارة:

_ نقعد في أي مطعم ونتكلم.

ثم أردف يقول بنبرة لينة حنونة:

_ بس عاملة إيه دلوقتي؟

أدهشتها نبرته التي تبدلت في ثوانٍ معدودات،

فتبسمت تجيبه في هدوء:

_ الحمد لله.

توقف بسيارته أمام مطعم نائي قليل الرواد، بل
شبه منعدم في ذلك الوقت من الظهيرة، والشمس
تتكبد عنان السماء، وحرارتها مُلتهبة تلسع
الأجساد، وهبط هو من السيارة ودار حول
مقدمتها، وبدورها ترجلت هي، وسارت إلى
جواره، إلى داخل المطعم، وجلسا على طاولة
منفصلة بعيدة، وطلب له قهوة وعصير لها، ثم
سألها فجأة وهو يميل بجذعه على الطاولة، مشبهاً
كفيه أمام وجهه:

_مين اللي عايز يقتلك بالضبط!

أدهشها سؤاله، وتراجعت في مقعدها في حده، و
وجدت نفسها تتطلع إليه في صمت عجيب، وهي
متسعت العينين..

وقد أصابها الإحباط، ربما من صدمة السؤال..

أو لدهشته..

او لاهتمامه لهذا الموضوع..

أو لأنها لم تتوقعه!

وعاد يكرر السؤال على مسامعها في عصبية:

__ ما تنطقي يا بنتي في إيه؟

ران عليهما الصمت والسكون طويلاً، و(إسراء)

تتطلع إلى (بلال) في دهشة، وتوتر، وحيرة..

ودون أن تنبس ببنت شفة، حتى طرقت بإصبعيه

أمام وجهها، وغمغم في حيرة:

__ أنتِ يا بنتي، في إيه؟

فتيقظت من شرودها، وهتفت وهي تهز رأسها:

__ أنت بتسأل ليه؟

فغمغم (بلال) بنبرة جافة:

__ عادي يعني عاوز اساعدك.

فتهدت في عمقٍ، وهي ترتشف من كوب العصير

على مهلٍ، ولم تُزايِلها دهشتها، وتمتمت:

_ أنا معرفش اصلاً، ومليش عداوة مع حد،

ومقدرش أشك في حد معين.

فأعاد (بلال) فنجان قهوته مكانه، وتراجع في

مقعده في تراخٍ، وأسدل جفنيه لوهلة، قبل أن

ينظر إليها، قائلاً باهتمام:

_ إسراع.. أنتِ حد حاول يقتلك في استديو تصوير،

عارفة ده معناه إيه؟

هزت رأسها نفيًا، فزفر على مضض، وأضاف:

_ معناه إن الشخص ده حد من فريق العمل، له

حرية التنقل في المكان من دون ما يثير الشكوك

عليه.

ثم أردف يقول بعد هنيهة من الصمت:

_فكري مين ممكن يعمل كده حد تعرفيه ويعرفك!
 زمت (إسراء) شفتيها، وترقرقت دمة حزينة في
 مقلتيها، وقالت بهمسٍ حزين:
 _

صدقني معرفش، مش هقدر أشك في حد معين،
 كل الفريق دون إستثناء مميز وكلهم ناس طيبة.
 اوما (بلال) ولم ينبس طويلاً، وأطل الحنان من
 عينيه إزاء تلاً الأدمعات في حدقتيها، وقال بحنوٍ
 ورفق:
 _

عمومًا أنا جنبك لحد ما نعرف مين بيحاول
 يقتلك.

حنان عيناه له دفءٌ غريب يُعانق روحها..
 يتسلل إلى قلبها بضمة حنونة..
 يحتويها كوطن رحل عنه الأحبة والأغراب وظلت
 هي.

وقال باسم الثغر وهو ينهض:

يلا تعالي هوصلك عشان تشوفي سهير، هي
عندنا انهاردة وبعدين اوديك المعهد وارجعك
البيت.

في بساطة يستطيع هو إخراجها من أعتى
الأحزان..

وبكلمة بسيطة رقيقة يرسم البسمة على وجهها.
وببسمة من شفثيه يمحو كل مر مر على قلبها
الهش.

وراقبته وهو يُخرج من جيبه المال ويضعه على
الطاولة ثم يشير إليها بالانصراف، فلحقت به
واستقرت بجانبه في السيارة وفي أعماقها ودت لو
تقول له (في غربتي لم أجد إلا عيناك وطنًا)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً فيه

الفؤاد نادراً ما يفرح، نادراً ما تطفو بسمته على
الشفاه، وتسفر سعادته في العيون، هو لأمّا ما
يُخامرهُ السرور

وهي لأول مرة تعرف معنى سرور القلب..

بهجة حناياه

وسكينة سويداءه

ودفع القلب شيءٌ مميز لا يحياه المرء دائماً..
وها هي ذي يغمُرُها دفءٌ رائع ما أن حَلَّتْ في
بيته، ووسط عائلته، لقاؤها مع سُهير كان عامر
بالعاطفة.

أنا ليه حاسة إن بلال شاف حلقة البرنامج

بتاعتك، وعارف إنك بتحببيه!

قالتها (سُهير) بلهجة مبهمة، وهي شاردة
النظرات.

ففغرت (إسراء) فاه، واتسعت عينيها حتى بلغتا
الذروة، وطالعتها في صمت ذاهل، وقد أدهشتها
عبارتها، وودت لو إنها فقط تهذي، ونطقت عندما
استردت قدرتها على الكلام:

_مش بلال مبيسمعش على التلفزيون؟

قالت (سهير) مؤكدة:

_ايوا فعلاً .. بس عندي إحساس إنه سمع حلقك
دي.

ازدردت (إسراء) لُعابها، وأطل الوجل والجزع من
عينيها، وهي تُردد في شحوب:

_إيه اللي خلاكي تقولي كده؟

هزت (سهير) كتفيها، وغمغت في بساطة:

بسيطة؛ لأنه جالك المستشفى، واليومين اللي
فاتوا مكنش على بعضه حتى إنه مكنش بيظن
عليّ زي ما كان بيعمل.

أسدلت (إسراء) جفنيها في وهن، وهي تقول:

عائزة أشوف الحلقة.

لم تفهم (سهير) سرّ ذاك الشحوب الذي اعترى
(إسراء)، ولا سبب إصرارها على مطالعة الحلقة،
وهي تلتقط هاتفها، آتية بها وتسمعها في اهتمام،
حتى جاء المقطع التي اعترفت فيه بحبها لـ
(بلال)، فلطمت خدها وهي تهتف في شحوب:

يلهوي يلهوي إيه اللي أنا عملته ده؟! يلهوي أنا
اعترفت إني بحبه قدام الناس كلها، علنا على
الملا، قدام التلفزيون والكاميرات...

لم تستعب (إسراء) ما اقترفته في حق نفسها، بدت
كأنها أحدٌ آخر وليس ذى التي اعترفت له بحبها

على الملاء، وتضرج وجهها بلون الخجل، وهي
تتأهب للمغادرة برفقته ومن كثرة توترها
وارتباكها، طفقت تُمسد على ذراعها بدفءٍ رغم
حرارة الجو الساخنة، في هذا الشهر من الصيف،
لكنها كانت تلك عاداتها كلما توترت.

ولم تكد تعبر الباب إلى الخارج وهي في غمرة
شرودها، وتحت وطأت إحراجها، توقفت عندما
تلاقت مع (عماد) الذي كاد يدخل فتوقف بدوره،
وصاح في حماس بنبرة تثير الإشمئزاز:

_ الممثلة إسراء الشهاوي هنا بنفسها مرة
واحدة، والللاه ولعبة معاك يا اض يا بلال يا بن
المحظوظة، يا أهلاً يا أهلاً.

وصد عليها طريق الخروج، وهو يبتسم بسماجة،
مضيفاً:

_ رايحة فين يا ست الكل ما خليك مشرفانا!

تلجلجت (إسراء) في الكلام، لم تدرك بما تجيب،
وقد توغل الخزي إلى نفسها، وهي تسترق نظرة
إلى بلال المنشغل في إدارة محرك السيارة، فأعادة
بصرها إلى (عماد) الذي لم ينتظر إجابتها، بل مال
عليها بصورة مفاجئة أدهشتها وجعلتها تتراجع
للخلف تلقائياً وتزجره بنظرة حادة، بينما هو يقول
في تودد:

بقولك بما إنك حبيبة العيلة وكده وأنا من العيلة،
ما تشوفولي شغل كده اكسب منه ..

وحرك إبهامه فوق إصبعيه أمام وجهها بطريقة
تعني المال، فلم تحر جواباً وهي تطلع إليه ذاهلة،
قبل أن تؤماً ببطء، قائلة بشحوب:

تـ.. تمام.

فسألها:

نتقابل أمتي يا قمر عشان تقوليلي على الشغل.

أملته (إسراء) رقمها سريعًا، وهي تنظر إلى
(بلال) المقبل عليهما، وعلى وجهه إمارات الضيق
جلية، وأمرها في حدة أن تصعد السيارة.

يُتبع ...

#والتقينا

#ندى_مدوح

11_ القاتل

خرجت (إسراء) من معهد القرآن والبسمة تبرزغ
 على محياها فبدت كالسراج المنير، عينيها تشعان
 بهجة وسرور تطل منهما نظرة متألئة كأنما ملكت
 الدنيا وما فيها، تيبست قدميها عندما لم تجد
 سيارة (بلال) وتوقفت تفتش عن وجهه بين وجوه
 المارة وقد تسلل إلى قلبها هاجس غيابه، مسدت
 بكفيها بطول ذراعيها من شدة التوتر الذي استبد
 بها، لكن صرير سيارة مسرعة ومكابح صكت
 أذنيها ووجدت سيارته تقف أمامها فاتسعت
 ابتسامتها، وقد استردت حيويتها وشغفها، وعادت
 عينيها تتلألأ بلمعة السرور، كانت كالفراشة وهي
 تتجه إلى السيارة بعدما فتح لها (بلال) الباب، وهو
 يسألها في حيرة:

تأخرت عليك ولا إيه؟

فردت عليه وهي تغلق الباب وراءها:

لا، لا أبدًا.

فانطلق (بلال) بالسيارة ولم ينبس ببنت شفة، كان قد راعه تلك السعادة التي تنطق بها كل خلجة من خلجاتها وود لو يسألها لكن الإحراج قد منعه فلاذ بالصمت، أثرًا السكوت.

لكنها بغتة عقدة ساعديها، وقالت بخجل:

حفظت سورة الفاتحة، تصدق إني كنت حافظها

غلط؟!!

فلم يدرك لوهلة بما يجيبها، وإسترق نظرة شطرها

من مرآة السيارة، وقال في هدوء مشوب

بالعاطفة:

_ الحمد لله، وبلاش تبصي لحياتك إالي فاتت، اللي

فات خلاص فترة مضت وماتت فأغتني الأيام

الجاية بكل ثانية فيها.

فسألته بنبرة حزينة:

_ هيقباني؟

فأوماً وهو يرمقها بنظرة حانية، مغمماً:

_ هيقبك إن شاء الله.

فأسبلت جفنيها، واسترخت في مقعدها، وأسندت

رأسها إلى ظهر المقعد، شعورٌ جميل كان يحتل

السويداء من قلبها..

شعور إنها قد وُلدت لأول مرة

بدون ذنوب

أو معاصي

أو آثام

وودت لو يظل هذا الشعور في صميمها أبد الدهر
وتتهدت وهي تفتح جفنيها لتطلع فيه عبر المرآة،
وقالت بشغفٍ :

_وعرفت حادثة شق صدر الرسول ﷺ

فسألها (بلال) في اهتمام:

_لما كان في منزل السيدة حليلة؟

هزت رأسها في حماس عدت مرات، وسألته وهي
ترنو إليه بنظراتها:

_ايوا، هو بيتشق صدره مرة تاني ولا إيه؟

فرد (بلال) بإيجاز وهو منشغل في الطريق أمامه:

_ايوا.

ولم يزد حرفاً، فخيل إليها إنه سيكتفي بذلك القادر
من الكلام، وعبست لكنه تتحنح قائلاً وهو ينحرف
يميناً:

_ في حادثة لشق الصدر في ليلة الإسراء
والمعراج، واللييلة دي أحداثها كلها عظيمة مش
بس شق الصدر.. يعني مثلاً ماشطة ابنة فرعون.

فقاطعته مكررة بذهول:

_ ماشطة ابنة فرعون!

رمقها (بلال) بطرفٍ خفيّ، وغمغم:

_ امرأة بتسرح الشعر.

لم تنبس (إسراء) وأطلت من عينيها كل الشغف
لمعرفة قصتها، ولم يطل إنتظارها فقد استرسل
(بلال) بصوتٍ رخيم:

_ في ليلة الإسراء، هبت على رسول الله صل الله
عليه وسلم رائحة طيبة فسأل جبريل عليه السلام
عنها فقال له إنها رائحة بنت فرعون وأولادها،
فسأله الرسول عن شأنها وسر رائحتها الطيبة،

فقال جبريل إنه وبينما هي تمشط شعر بنت
 فرعون ذات يومٍ إذ سقطت من يدها الأداة التي
 تُمشط بها، فمدت يدها لتلتقطها ولسانها يلهج بـ
 "بِسْمِ اللَّهِ" فتعجبت بنت فرعون وسألتها إن كانت
 تقصد أبيها فرعون، فنفت المرأة وأخبرتها إن الله
 هو خالقها وخالق أبيها، فأخبرت بنت فرعون
 والدها.

سكت (بلال) لهنيهة، ثم أردف يقول:

دعى فرعون الماشطة وسألها إن كانت تعبد ربَّ
 غيره فتسلحت بالإيمان وشُحن فؤادها باليقين
 وهي تؤكد له إنها تعبد الله الذي خلقها وخلق
 وخلق الناس أجمعين.

ولاذ بالصمت، وانتفض قلبه إنتفاضة قوية متأثرة
 حزينة، وسرّت رجفة عنيفة في كامل جسده، وهو
 يضيف بصوتٍ طغى عليه الوجد:

أمر فرعون بقدرٍ كبيرٍ مليءٍ بالزيت ووضعه
على النار وانتظر حتى بات الزيت يغلي وجاء بها
وبأولادها الخمس وأوقفهم أمام القدر وسألها أن
تكفر بالله فأبت بأنفة وكان من بين أولادها طفلاً
رضيع ترضمه إلى صدرها وطلبت عند إذ من
فرعون أن يجمع عظامها وعظام أولادها في قبرٍ
واحد فوافق، ورأت ما لا يتحمله قلبه

ولا يتصوره عقله

ولا يدركه بصر

رأت بعينيها أولادها وفلذة كبدها وهم يُلقون في

القدر

أبصرت أنصهار لحومهم وتشوه وذوبان

ملاحمهم، رأت عظامهم

فيا قسوة القلوب!

كيف هان على فرعون فعل ذلك؟

مما قد قلبه؟! لن نقول من صخر فالصم الصلاب
تملك رحمة ربما عنه.

وعندما جاؤوا لإلقاء الطفل الرضيع تقاعست،
رفضت أن تعطيهم إياه، لم يستطع فؤادها على
ذلك، فتشبثت به وضمته إلى قلبها، عند إذ أنطق
الله سبحانه وتعالى الصغير فقال لها: يا أمه
أقحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة،
فأقتحمت.

سكت (بلال) ملياً وبدت في عينيه دمعة آسى جاهد
لإخفاءها ففرت إلى حيث جاءت، وحانت منه نظرة
في مرآة السيارة فرأى (إسراء) تحجب وجهها بين
كفيها وتناهى له صوت نحيبها، فلم ينبس حتى
هدأت، وقال:

ما يساوي عذاب الدنيا امام عذاب الآخرة؟ ما
تضاهي نار الدنيا إزاء نار جهنم؟ ما الحياة التي
يتمسك بها الإنسان؟! أولاء الناس كانوا يبتغون
إعلان إيمانهم أن يعبدوا الله على الملأ دون خوف
من أن يعلم أحد فيحاول ردعه عن دينه، ذاقوا
سوء العذاب، أما الآن فنحن نعلن إسلامنا في كل
فخر لكن من من يتبع رسوله؟ لا يهجر قرآنه؟
يؤدي فرضه؟ تطيع ربها فيما أمر؟!!

أخذ (بلال) نفس عميق، وظل لحظات صامتاً
مصوباً بصره على الطريق، قبل أن يسترسل في
هدوء:

يا حظ من كانت على الثبات مثل ماشطة إبنة
فرعون، لا تخجل إن ارتدت النقاب ولا تجزع من
كلام الناس إن قالوا لها (تبدين كبيرة، ما هذه
الخيمة، وكيف تتزوجين؟) ليتنا نتمسك بديننا وبكل

او امره، لبيتنا ندرك إن الحياة فانية وذات يوم بل
ذات لحظة خاطفة سيسرقنا ملك الموت ولن نودع
حتى الأحبة سنجد أنفسنا نعاني من السكرات
بمفردنا، ثم ندخل القبر الحالك السواد وحدنا
وسنبعث وحدنا لن يدفع عنا عذاب الله أحد،
ومراحل الموت والبقاء في القبر ويوم القيامة كلها
أشياء مهيبة على الإنسان أن يعمل لها قبل موته
.. الموت آت والحساب آت ثم يا جنة يا نار لا ثالث
لهما.

ولم يلبث أن خيم عليهما السكون، كان (بلال)
شارد البال، يتخيل ماشطة بنت فرعون متعجبًا،
قتل فرعون زوجها عندما آمن بموسى وكتمت هي
إسلامها ثم يحدث ما حدث فلا تخش أن تقول بكل
إصرار إنها على الإيمان، إنها تعبد الله وحده
سبحانه وتعالى..

كان ممكن أن تتجو..

أن تكذب لتحيا هي واولادها

لكن الإيمان في قلبها كان أكبر من كل شيء..

أكبر من فرعون، والوجل منه..

لم تخش حينها إلا الله فلم يجعلها الله تتزعزع،
وعندما جزع فؤادها المكثوم على رضيعها الذي
كاد للتو يلتقم ثديها فثبتها الله لم يجعلها تتضرع
ولا تُهان أمام فرعون وجنوده، ومن معجزة الله
فقد جعل الرضيع يتكلم..

يا لها من قصة لمن تأملها..

ولمن قصها على القريب قبل الغريب..

سكت (بلال) زافراً في هدوء، وساد بينهما
الصمت، وفجأة بدا التردد على وجه (إسراء) وفي

إنفراج شفيتها، ثم حسمت أمرها وتمتت في تردد

ظهر جلياً في صوتها المتلثم:

_ بلال أنا ممنونة لك بأسف!

_ على إيه؟

غمغت كمن على وشك البكاء، وهي مطرقة

الرأس:

_ أنت كنت هتسجن بسببي

_ فداك، فداك أي حاجة وكل حاجة ممكن تحصلي،

فداك عمري كله فداك روعي.

قالها بلال محادثاً نفسه ما أن لامس قولها قلبه،

وود لو تخرج تلك الكلمات من بين شفيتها لكنه بدلاً

عنها، غمغم غاض الطرف عنها:

_ حصل خير، مكنش ذنبك.

فتلعثمت وهي تتمتم:

_ولكن ..

فقاطعتها قائلاً ناهياً حديثها وهو يوقف سيارته

على جانب الطريق:

_وصلنا.. سلام.

فتنهدت وقد وصلها بغيتها في إنهاء هذا الحوار،

وفتحت الباب وقبل أن تترجل، إستدارت له قائلة

في إستدراك:

_بكرة عايزة اروح اظمن على خالتي..

ونكصت رأسها في خجل من نفسها وهي تتابع:

_لإن لي كثير مشفتهاش ونسيت صلة الرحم...

ورفعت عينيها إليه، تضيف:

_هتقدر توصلني بكرة؟

فرد (بلال) في بساطة:

_ آه إن شاء الله، عندي مقابلة عمل هخلصها
واجيلك.

فأكتفت بأن أهدته بسمة عذبة، وهي تترجل عن
السيارة، وتميل من النافذة، قائلة:

_ أبقى سلم ليّ على مامتك وسهير.

فأجابها بهزة رأس:

_ يوصل إن شاء الله

_ إذن أنت بلال؟

جاء الصوت من وراء (إسراء) التي التفتت في
دُعر إلى أبيها، الذي أشار إليها قائلاً:

_ اطلعي أنتِ يا حبيبتي، عايز أتعرف على بلال.

التفتت (إسراء) مذعورة إلى (بلال) الذي ترجل
من السيارة ودار حول مقدمتها وتوقف أمام أبيها

في صمت، فنقلت بصرها بينهما في حيرة، ووجل،
وصافح والدها (بلال) ببسمة رزينة، وهو يقول:
_تشرفت بمعرفتك يا بلال وبشكرك على مساعدتك
لبنتي.

ولم ينتظر إجابته، فقد التفت إلى (إسراء) وكرر
كلامه الذي قاله آنفًا:

_اطلعي أنتِ يا حبيبتي.

وزجرها بنظرة رادعة، فازدرت لعابها وهي
ترمق (بلال) بأخر نظرة ثم تستدير سائرة إلى
داخل البناية وتختفي في داخلها، بينما بلال يتبسم
بسمة مجاملة وهو يقول بصوتٍ أجش:

_شكرك وصل في السجن.

افتعل الرجل ضحكة قصيرة، وهو يغمغم:

_الحكاية مش كده، كنت مفكر ك شاب عابث
بتتسلى ببنتي.

حاول بلال أن يستشف ما يعتمل بداخله، لكن
هيهات الرجل كان كالطود العظيم ذو ملامح
متجمدة ونظرة ثاقبة يصددها نحوه، وعندما لم
يفلح، قال:

_مأظنش الحكاية كده، دا مش مبرر.

_ربما، اقبل اعتذاري طيب، وبجد تشرفت
بمعرفتك.

رد بلال عليه بكلمات موجزة ثم استئذان منصرفاً

❁ أستغفر الله وأتوب إليه ❁

أمضى بلال ليله يتقلب أرقًا كأنما المرجل يغلي بين
جوانحه، وعبارة أمه تُدوي في رأسه كصليل
الجرس (إوعي يا بلال تغضب ربك، الواحد
ميصمنش إمتي هيجيله ملك الموت، إحذر يجيك
وأنت عاصي ولا أثناء ذنب)

كانت مجرد كلمات، لكنها في قلبه لم تكن كذلك،
لقد خربت قلبه وقلبت خفقاته كأنها صاعقة صعفته
صعقًا، لم يستطع حينذاك أن يجيب والدته فقد بُهت
وظل يحدق في وجهها كالمأخوذ

ما الذي حصل له؟

لماذا يشعر بالتغيير قد أصابه؟

كأنه لم يعد يعرف نفسه؟! كأنه أمام إنسان آخر!
منذ متى وهو غافلًا عن نفسه؟! منذ متى وهو
يسمح لعينيه أن تستبيح نظرًا لما ليس لها؟

ألم يكن دائماً يتجنب النظرات غاض الطرف،
وغاض القلب أيضاً؟

بلى فؤاده كان محفوفاً بتميمة تحرصه دائماً من
أن يطرقه حب او إعجاب!

وعيناه كانت دائماً ملبّدة بالخشية من الله سبحانه
وتعالى.

لماذا سمح لنفسه الآن إذن؟!

إذن! فهو يستحق تلك الإنقباضة المؤلمة في قلبه،

يستحق فجيعة في كل شيء وقد عصى ربه!

رفع كفيه إلى السّماء، وعيناه تفيضان من خشية

الله

وأخذ يجأ إلى الله بصالح الدعاء، وخالص

الرجاء..

ثم نوى الصيام ف للصائم دعوة لا ترد، ربما
يستجيب له الله ويعفو ويغفر

من أنس بالقرآن، وبجنب الله، وأحب ظمأ
الهواجر، ما هو بتارك لهم ابداً، فبهم تطيب
القلوب، وتسكن الأرواح، بهم الراحة والرضا.
يا أسفاه على من لم يأخذ من القرآن قراءة وحفظاً
وتفسيراً خليلاً فقد خاب وخسر.
لقد خسر جنة الله على الأرض.

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين



كان بلال قد أنهى مقابلة العمل، والتي لم يوفق فيها، وعلم على الفور إن ما منع توفيقه ما هي إلا ذنوبه، فأمضى يومه لاهجًا بالاستغفار طيلة اليوم، كالح الوجه عمًا اقترفه في حق نفسه، حتى عندما أوصل إسراء لم يرفع عيناه فيها قط، لم يبادلها كلمة واحدة، بدت كغريبة عنه، رغم إنها حبيبة القلب، وحبّة الفؤاد، ومن يسبغ عليها بوارف حنانه ورعايته، لكن إذا أحب العبد شيئًا تركه لله فعسى الله أن يرزقه بها أو خيرًا منها.

وها هو ذا يأتي ليأخذها في دُجى الليل، يغشاهما السكون في السيارة، لم ينبث إيهما ببنت شفة، تحيرت إسراء إزاء معاملته الجافة، كأنما يضيقُ بها ذرعًا، وإنها شيءٌ ثقيلٌ على نفسه، وأثرها هذا الشعور بالضيق، وهي تخرج إحدى الروايات

من حقيبتها، وتعكف على قراءتها .. ربما

لتناسي جفاه؟ أو ليمر الوقت!

وفجأة جاءها صوته، يسئل بذات الجفاء:

_بتقري إيه؟

فردت دون أن ترفع عينيها عن ضلفتي الكتاب:

_رواية.

فغمغم بلا اهتمام:

_وما فائدة القراءة إن لم يكن منها نفع؟!

فرفعت عينيها إليه في دهشة، بينما يسترسل هو،

قائلًا:

_حذار فإن العين ستحاسب عما تقع عليه من

قراءة، فيجب إن يكون ما تقرأه خالٍ من أي ما

يثير العاطفة، وشهوة المرء، وحذار أن يكون في

صحيفتك ما لا يسرك أمام الله وخافي ف { وَإِنَّ

عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ } { كِرَامًا كَاتِبِينَ }

[سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ: 11، 10] فثمة علينا جميعًا

ملائكة تراقب افعالنا واقوالنا وحركاتنا، رُقباء على

كل سكناتنا وهمساتنا يكتبون كل شيء عنا.

وسكت، وعاد بصرها ذائغًا إلى الرواية وانكبت

عليها شاردة الذهن، متغيبية العقل.

انتزعها من شرودها توقف السيارة، وترجل بلال

عنها وهو يتأفف، فأطلت برأسها من النافذة

وهتفت:

إيه اللي حصل؟

فأجابها وهو يفتح غطاء السيارة الخلفي متفحصًا:

هشوف.

غاب بلال طويلاً، وتفصد جبينها غرقاً من الجو
 الخانق الحار، فأغلقت الرواية ودستها داخل
 حقيبتها وترجلت من السيارة، واستندت بظهرها
 عليها وهي تتأمل بهيام بلال المنكب على
 إصلاحها.

نسمة هواء داعبت فستانها ليرفرف من حولها،
 ويحرك خمارها، فهشت وبشت وعيناها تلتقط
 إحدى الصخور على جانب جذع شجرة جانبيه،
 فسارت نحوها وجلست عليها وعيناها لم تفارقاه،
 حتى رفع رأسه بإرهاق، مغمغماً:

__ وقتك تعطي دلوقت يعني؟!!

ووقعت عيناه على جلوسها، فمط شفثيه وهو
 يقول:

__ هنستى شوية هتحتاج وقت.

فهزت رأسها وهي تهمس:

_ معاك الوقت كله.

فتحرك بلال بغيظ نحوها، وهو يهتف:

_ أنتِ إيه نزلك من العربية وقعدك القعدة الغريبة

دي؟!!

فضحكت بإنطلاق، وهي تقول بصوت متهدج:

_ وغلاوة عمو زحلف ما عرف الجو حر في

العربية وكتمه وأنت غبت فزهقت.

فبُهِت وهو يطالعهما في صدمة، وقال متسائلاً:

_ مين عمك زحلف ده؟!!

فقال ببساطة:

_ دا واحد كده وخلص.

_ يعني إيه واحد وخلص؟

فأجابته وهي تفهق:

_ اصل انا كمان معرفش هو مين.

تعالت ضحكاتها معًا ممزوجة بحنانه وصرامته

وهو يهتف:

_ طب يلا على العربية.

فنفخت بضيق وهي تقول باستنكار:

_ والله أبدًا لحد ما تخلص.

فأفترش الأرض بجانبها وهو يقول:

_ شكلنا مش هنخلص اصلاً، العربية محتاجة

ميكانيكى، وهتصل على الواد سعيد يجيلنا، بس

هحاول معاها تاني.

فهزت كتفيها ولم تعلق، لم يلبث أن عكف عن

إصلاح العطب حتى فلح، وانطلق مجددًا ينهب

الأرض نهبًا، وقد غشى السكون محيطهم مرة

أخرى، أوقف السيارة أمام البناية التي تقطن فيها،

فغادرة سيارته وقبل ان تختفي عن أنظاره
استدارت ملوحة له، ارتقت درجات الدرج والفرحة
تتوهج من بنيتها، وتدندن بكلمات أغنية كانت
تحفظها من إحدى مسلسلاتها، توجهت إلى غرفتها
على الفور، وفتحت بابها وهي تدور حول نفسها
من شدة السعادة، وما كادت تستدير لتشعل قابس
النور، إذ تسمرت مكانها، وتخشبت أناملها قبل أن
تصل لتشعل الضوء، وخفق قلبها في عنف،
واتسعت عينيها على آخرهما، فأمامها على الحائط
شبح مُقَنَّع يقترب منها في تريث، فأستدارت وهي
تزدرد لعابها برعدة قوية كادت تصيبها بشلل،
وأصابعها على استعداد لنزع القناع عن وجهه
وأستدارت ونزعت عن وجهه الملثم القناع، وتلقت
ضربة قوية من كفه صدمتها في الحائط بقوة،
فانطلقت صرخة فزع من جوفها، وما كادت تبصر

ملامحه حتى صرخة في ارتياح وهو يرفع سكين
عاليًا ويهوى به على صدرها:

أنت..

وصاحت وهي تواري عينيها بذراعيها:

لا

يتبع ...

#والتقينا

#ندى_مدوح

هنتظر رأيكم وتوقعاتكم، وهسيب لكم حديث
ماشطة ابنه فرعون.

عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال: لما كانت الليلة التي أسرى بي
فيها، أتت عليّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل لمن
هذه الرائحة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة

فرعون وأولادها، قلت: وما شأنها؟ قال: بينما هي
تمشط ابنة فرعون ذات يوم، إذ سقطت المدري
(أداة من حديد يُمشط بها الشعر) من يدها فقالت:
بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا
ولكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أخبره بذلك؟
قالت: نعم، فأخبرته.. فدعاها فقال: وإن لك ربًّا
غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله.

فأمر ببقرة (إناء كبير وقيل سمي بالبقرة لأنه يسع
بقرة تطبخها فيه) فأمر ببقرة من نحاس فأحميت،
ثم أمر بها أن تلقي هي وأولادها فيها، فقالت: إن
ليّ إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن

تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفنا،
قال: ذلك لكِ علينا من الحق.

فأمر بأولادها فالقوا بين يديها واحداً واحداً إلى أن
انتهى ذلك إلى صبي لها مُرْتَضِعٌ وكأنها تقاعست
من أجله، فقال الرضيع: يا أماه اقتحمي فإن عذاب
الدنيا أهون من عذاب الآخرة فأقتحمت) الحديث
أخرجه الإمام أحمد والطبرني وابن حبان والإمام
الذهبي.

12_ طلب زواج

صرخة شقت سكون الليل، ومزقت صفحة السماء،
ورجت فؤاد والد إسراء وهو يعرج سئلم البناية
على عجلٍ.

غطت إسراء وجهها خيفة من السكين الذي ارتفع
في وجهها وهوى نحو صدرها مباشرةً، تلقائياً
وبسبب غريزة البقاء ومع صرختها انحنت وهي
تبتعد عن مرمى القاتل، فهوى نصل السكين على
الحائط وسقط من يديه، لكنه لم يفوت لحظة بل

جذبها من خمارها ودفعتها إلى الحائط وقبض
بأصابعه حول عنقها..

وحاولت أن تصرخ، لكن صرختها احتبست في
حلقها، وترقرق الدمع مدارًا في عينيها، وحاولت
أن تنزع كفيه، وفجأة! اقتحم أبيها الحجرة ولم يك
يبصر ما يحدث حتى اندفع وجذب القاتل من كتفيه
وأبعده عن ابنته، وهو يهتف في جذع:

ـ بنتي، أبعـد أبعـد

لم يهتم أن يرَ وجهه، عينا الأب ألتقطت فقط
انهيار ابنته، وسعالها صك مسامعه فاتجه إليها
ومال يسألها باهتمام:

ـ إسرء، يابنتي أنتِ كويسة، طمنيني يا حبيبتي
أنتِ كويسة؟

فرفعت إليه عينا تسيلان بالدمع، وهي تمسد
على عنقها، وأومات برأسها له مهدئة من انفعاله،

في ذات اللحظة التي كان فيها القاتل يكاد يقفز من فوق النافذة، فدفعه والد إسراء لداخل الحجرة،

وهو يهتف:

_مش هسيبك تهرب لحد ما عرف مين أنت يا ابن

ال*****

ثم اتسعت عيناه في صدمة، وهتف وعيناه

جاحظتين على ملامح القاتل :

_أنت! أنت يا هشام يا بسيوني أنت؟

وقبل أن يفق من صدمته، كان هشام يدفع رأسه

للحائط ثم ينهال عليه ضرباً، وخبط رأسه عدت

مرات.. حتى إن هذا الأخير لم يتدارك نفسه وهو

يتلقى الضربات المتتالية دون تأنٍ

امتقع وجه إسراء وهي ترى ترنج والدها وخطُّ

رفيعٍ من الدم بدأ يسيل من رأسه، فهبت مندفعة

تدفع هشام عنه لكنه أطرحتها أرضاً ووثب عبر

النافذة قافراً على إحدى المواسير واحتضنها
بذراعيه وساقيه وشرع ينزلق هابطاً.

أفرغت إسرائ حقيبتها مما فيها وهي تتبش عن
الهاتف، وتناولته متصلة على أحد ما وهي تبكي
منتفضة برعبٍ سرى في كامل خلاياها.

﴿ اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على حبيبنا محمد ﴾

كان بلال منطلقاً بسيارته في طريق العودة إلى
منزله، ينبعث داخل السيارة (القرآن الكريم)
بصوت (عبد الباسط عبد الصمد) صوت أرسل في
نفسه كل الإرتياح، وأخذ يُردد الآيات مع الشيخ في
موجة من الخشوع، عندما رن هاتفه وكاد يتجاوز
عن المتصل وهو في غمرة نشوته وارتياحه، لكن

الرنين أخذ يدوي مرة أخرى في إصرار، ولم يكذب
يرى اسم إسراء تضيء شاشة الهاتف حتى
اخفض من صوت المذياع، وأجاب في اهتمام:

_السلام عليكم ...

ابتلع باقي إلقاء السلام مع أنينها ونحيبها
ونشيجعها وهي تهتف بكلمة فقط لا غير:

_بلال، الحقني الحقني يا بلال بابا بيموت الحقني.

فزوى ما بين حاجبيه وهو يضغط كابح السيارة
لتتوقف في عشوائية، وسمع سباب ساخط من
سيارة ما كادت أن ترتطم بسيارته لم يعره
اهتمامًا، وهو يهتف في انفعال:

_في إيه اهدي مال بباك؟ إيه اللي حصل؟

صمت يستمع لبكاءها، قبل أن ينبعث صوتها

الباكي من جديد:

_ أنا مش عارفة أعمل إيه؟ بابا بيموت!

فغمغم وهو يدير عجلة القيادة عائداً:

_ طيب طيب اهدى الاول أنا في الطريق، متقفلش

خليك معايا.

وانطلق بأقصى سرعة، قلبٌ خافقٌ كان يدق في

عنفٍ بين جوانحه، قلقٌ استبد بقلبه، وشهقاتها

كانت تمزق أوتاره، وقد خُيل إليه إن المسافة

تتسع شيءٌ فشيءٌ والطريق بات بعيداً على غير

العادة

ما له يسمع دقائق قلبه تكاد تخرج من صدره

إليها؟!

متى أحبها كل ذاك الحب؟

ها هو ذا أخيراً يتنفس الصعداء، ويغادر سيارته

في لهفة تاركاً بابها مفتوحاً دون وعي أو إدراك،

وصوته اللاهث يقول لها على الهاتف وهو يرتقي
الدرج ركضاً:

__ أنا وصلت أهو لحظة بس وأكون عندك.

عبر مع نهاية عبارته باب (الشقة) الذي كان
منفرجاً، وتتبع صوت البكاء، ليقف متسمراً وهو
يرأها تضم رأس أبيها في حجرها، وتهذي بكلمات
لم يفهمها، ولم تصل إليه لخفوتها، لكن حركت
شفتيها أعلمته بها، هرع ينحني على والدها ليتأكد
إنه يتنفس.

وقال متسائلاً:

__ إيه اللي حصل؟ ماله بباك؟!!

ربما هدوءه استوطن فواده عندما رآها بخير،
فخرج سؤاله صارماً لا يوحى بما يعتمل داخله من
انفعالات، بينما همست هي بعينين ضائعتين ومن
بين شهقاتها:

_ هشام كان هنا ...

قاطعها وهو يلتفت إليها، مغمغماً:

_ مين هشام ده؟

_ مش وقته خرينا نضمن على بابا وهحكيتك كل
حاجة.

انحنى بلال على أبيها و وضع يميناه أسفل رأسه
ورفعه لأعلى وهو يهتف فيها بعمق:

_ قومي ساعديني.

فهبّت واقفة وساندت والداها معه، حتى جعلوه في
السيارة، التي انطلق بها بلال مبتغياً أقرب
مستشفى.

﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

جلست إسرائ بجوار مقعد بلال بعدما تم أخذ أبيها
من قبل الممرضات، لم ترقأ عينيها من الدمع،
وبلغ مسامع بلال همسها الخافت، المتهدج من أثر
البكاء:

أنا السبب، أنا سبب كل اللي بيحصل، أنا
السبب..

ظلت تردد بما بدى له بهذيان، فنفخ بضيق وهو
ينهض ليسير في الرواق جيئة وذهابًا، صوت
خطوات راكضة جاءت من ورائه جعلته يلتفت
ليرى من القادم، فشاهد ندى تعدو إليها في لهفة
والأخرى ترتمي في أحضانها، وضيق عيناه وهو
يرى الأثنتين تبكيان، فرفع حاجباه لوهلة وعاد
يخفضهما وهو يحول بصره عنهما، لم يمر الكثير
من الوقت وقد خرج الطبيب يخبرها إنه ضمد
جرح والدها وإنه بحالة جيدة في حاجة فقط إلى

الراحة، وأهداه رويشة مدون بها بعض الأدوية
التي سيستمر عليها حتى يمتثل إلى الشفاء.

ارتسم الارتياح على وجه إسراء أخيرًا، وكف
دمعها، وهي تُردد بِشُكر:

الحمد لله، احمدك يارب.

غادرها بلال ليجلب الأدوية، بينما تناولت هي
هاتفها الذي يواصل إشعارات رسائل من عماد لا
تنتهي، وتأففت بحنق ولم تعرها اهتمامًا، بينما
ناولتها ندى كوبًا من العصير وهي تستقر بجانبها،
قائلة:

خلاص بقا يا إسراء عمو بخير الحمد لله اهدي
وروقي كده واشربي العصير.

فالتفتت إليها إسراء، تقول بفرع:

_ اهدى؟! اهدى إزاي بس؟ بقولك هشام البسيوني
عايز يقتلني، الحقير بعد كل ندائه معايا عايز
يقتلني.

فتساءلت ندى وهي تهدئ من روعها:

_ اهدى بس.. أنت متأكدة أنه هشام؟! ممكن
تكوني...

فقاطعتها إسراء، قائلة بحدة:

_ اكون إيه؟ اتلخبط فيه مثلاً؟! هو هشام البسيوني
بنفسه.

❁ رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين

والمؤمنات ❁

كانت سهير في ذات الوقت تتصل بأميرة، وتصيح
ما أن فتحت الأخرى:

بيخوني يا أميرة، سمعته بودني بيقول بالحرف
(مال دي مش بترد ليه) يبقى ده معناه إيه غير إنه
بيكلم وحدة؟

فهدأت اميرة من روعها، وهي تتشاءب مغممة:
_ ما يمكن أنتِ فاهمة غلط يا سهير، يمكن يقصد
أي شيء، آه نعم أنا مش بطيق جوزك عماد ده ولا
بينزل ليّ من زور بس خلينا ن فكر بالعقل.. ممكن
يكون يقصد زميلة مثلاً بتشتغل معاه، أي شيء
غير إنه بيعرف عليك وحدة.

هتفت سهير باستنكار:

_ لا لا انا متأكدة إن الموضوع فيه وحدة يا أميرة.
نفخت أميرة بضيق، وأفصحت قائلة بتريث:

_ أنتِ ناوية على إيه يا سهير بالضبط؟

لم تتلقَ ردًا لهنيهة من الزمن، حتى نطقت سهير
أخيرًا تُصرح بإصرار:

_ بالمواجهة، لازم أواجهه وأفهم هو مخبي إيه؟
هزت أميرة رأسها رفضًا لقرارها، وقالت تردعها
عما تنوي:

_ غلط، غلط يا سهير لأنه بالتأكيد مش هيقولك إن
في وحدة في حياته وهيكذب، اصبري لحد ما
تتأكدي .

انتفضت أميرة في قلق، عندما بلغها صوت عماد
الغاضب وهو يهتف:

_ سيبي ام التلفون ده من أيديك.

فقفزت من فوق الفراش، وهي تصيح:

_ سهير إيه اللي حصل؟ الو سهير أنتِ يا بنتي؟!!

لم يصلها سوء صريرٍ يعلن عن إغلاق الهاتف،
فأستبد بها الخوف.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد



"أنت اتجنيت يا عماد! بتقفل السكة في وش أميرة
وأنا بكلمها؟"

هتفت بها سهير في صدمة، عندما جذب عماد
منها الهاتف وأغلق المكالمة، فتأجج الغضب في
عينيه، وجار بانفعال:

ايوة قفلتها، وهقفلها في وش أمك كمان لو كانت
هي اللي بتكلمك مش أميرة.

امتقع وجه سهير حتى بدا يُحاكي وجوه الموتى،
واتسعت عيناها على آخرهما، وهي تهتف في

ذهول:

_ أنت بتقول إيه؟

فهتف عماد محتدًا:

_ بقول اللي سمعته هجيب لك منين أنا كل شوية
كروثة وشحن، أنت متجوزة بنك وانا مش عارف؟
ما احمدي ربنا بقا وحافظي على بيتك اللي
مكنتيش تحلمي بيه، دا أنا انتشتك من كلام الناس
واتجوزتك ومكنش حد يبص في وشك.

طعنة .. طعنة حادة غادرة عُرسَت في سويداء
قلبها من كلامه، مُر الإهانة كالحنظل بدا في
حلقها، بينما استرسل هو بلهجة قاسية، وجشع:
_ اسمعي بقا يا بت الناس عايزة تفضلي يبقي لا
تزوري أهلك ولا يزوركي أنا مش فضيلك.

وحدجها بنظرة مقبئة، وهو يلتفت مغادرًا، يرغي
ويذب ويشوح بكفه في امتعاض حتى خرج صافقًا
الباب وراءه بعنف أجفلها وجعلها تنتفض، بقت
متسمرّة في مكانها، وسال الدمع على وجنتيها
أنهارًا..

ليتها لم توافق على تلك الزيجة!
ليتها تحملت كلام الناس وصبرت فهو أرحم لها!
ليت بإمكانها الهرب، أن تفرّ في أحضان بلال تبثه
شجون فؤادها.

لكن بما يُفيد الندم بعد فوات الأوان؟
جلست على طرف الأريكة، كل شيء بدأ لها كئيبيًا
قاتمًا في عينيها، جدران البيت تبدّت لها كما
الأشباح ترهبها، وضافت.. ضاقت بها الدنيا
ونفسها، فلاذت بالبكاء علّه يخفف علة قلبها.

بعض الكلمات لا يفصح عنها اللسان، ولا تبرح
الحلق فتحرر من داخلنا على هيئة دموع عساها
تطيب حدة الوجع.

﴿ أستغفر الله العظيم وأتوب إليه ﴾

جلست إسراء في كافثيريا المستشفى في المقعد
المقابل لمقعد بلال على إحدى الطاولات، والأخير
يسألها باهتمام وهو يرتشف من قهوته:

_ عايز أعرف إيه اللي حصل لوالدك؟!!

فتركت إسراء كأس العصير جانباً، وإندفعت تروى
له ما حدث..

كل شيء في صراحة، بعد أن غادرت سيارته أمام
البناية حتى أسعف والدها، وتهدت وهي تسترخي

في مقعدها كأنما حملٌ ثقيلٌ وقد زال، وأسبلت
جفنيها في إرهاق، لكنها لم تلبث إن أفرجت
عنهما، وتطلعت فيه، مع سؤاله:

_ومين هشام البسيوني ده؟ وليه عايز يقتلك!

صمتت إسراء متطلعة إليه في حيرة دون أن
تتبس، لم تدر كيف تخبره إن هشام البسيوني كان
المخرج الذي قام بإخراج أكبر مسلسلاتها وأفلامها
وجعل منها نجمة مشهورة، بل كيف تقص على
مسامعه دون حياء إنه حاول أن يعتدي عليها
وعندما قاومته طلب منها الزواج بورقة عرقي
وعندما أبت ذلك، قام بتهديدها وإنزالها لسابع
أرض لكنها اصرت على قرارها لم تخضع له ولا
لتهديده ببسالة، لقد وعدا هشام إنها أن وافقت
على الزواج منه عرفي سيجعل منها نجمة
عالمية، وسيكرمها بأموالٍ وفيرة، كان يحبها

ويحب نفسه أكثر، وكان متزوج من فتاة ثرية،
ترددت في إخباره بكل هذا، لكنها حسمت امرها
وقصت عليه كل شيء، وهو لا ينبس إلا بتلك
الإنفعالات مع استرسالها فتارة يرفع حاجبه في
غضب، وتارة بإشمزاز وكره وهكذا حتى انتهت،
وختمت قولها وهي تقول في أسي:

_ولما رفضته وقبلت الشغل مع مخرج تاني كان
شاب محترم نوعًا ما مش زي كمال، وصلتني
رسالة من كمال بيهددني فيها إني لو موافقتش
على الزواج العرفي ورجعت اشتغل معاه هيقتلني
وإني مش هكون في الآخر غير ليه.

صمتت زافرة بضيق، واستطردت:

_مدتس رسالته اي اهتمام خاصة إنه اختفى من
حياتي لفترة كبيرة جدًا لحد ما بدأت كل الامور دي
تحصل وبرضو مشكتش فيه تخيلت إنه ميقصدش

اي كلمة من اللي في الرسالة لحد ما شوفته في
اوضتي.

سكتت تطلع إلى بلال وهو يشبك يديه امام وجهه
ومطرق الرأس بتفكير، كم هو جميل؟!

جميل إن يكون للمرء جانب آمن يلوذ به قلما
أرهقته الحياة!

أخذت إسراء نفس عميق، ومالت على الطاولة
تسند فوقها مرفقها، وتركت رأسها تستريح في
كفها الذي وضعتة أسفل ذقنها وكالمأخوذة طفقت
تتأمله، متى أصبح حبه يسري في أوردتها مجرى
الدم، بل متى غدا هو مهجتها؟

كيف يكف المرء عن حبا بات سر الحياة؟
رفع بلال عينيه لتقابل عينيها، وخفق قلبها مع تلك
النظرة المشعة بالحنان في مقلتها، وظلا للحظات
يتطلع كل منهما للآخر، وفجأة هم بلال بقول شيء

ما، لكنه عاد لصمته الذي لم يدم وهو يهمس
بصوتٍ خافتٍ بما جعلها ترتد للخلف في صدمة:

_إسراء، تتجوزيني؟

يُتبع ...

#والتقينا

#ندى_مدوح

13_ مخدرات

_إسراء، تتجوزيني؟

لِما بدت لها كلمته كقابلة تفجرت بين جوانحها،
فطفق صدرها تارة يعلو وتارة ينخفض بحركات
متتالية وبأنفاسٍ متلاحقة، وتطلعت إليه مندهشة
كأنه ألقى طلبًا من الخيال، متسعت العينين حتى
يُخيل للراءى إنهما سيخرجان من محجريهما،
وفغرت فاه ثم أخذت تطرف بأهدابها وتحقق فيه،
ونطقت أخيرًا بصوت متلعثم، وَوجهٍ أسيف:

_أنت قُلْتِ إِيهِ؟

وأتبعت تقول وهي تشير بسبابتها إلى صدرها:

_عايز تتجوزني أنا!

زَمَّ بلال شفتيه، وجَهَم المَحْيَا، وتوجس فواده
خيفة من رفضها، لكنه بدده بحبها له، وطأطأ
طرفه، قائلاً في هدوء:

_ هو كلامي مش مفهوم؟! ها قُلتِ إيه تقبلي
تتجوزيني؟!

فشخصت البصر به، كأنها ترى شبحاً خفياً، هل
يعي ما يتفوه به؟! بل هتسمع أذنيها جيداً؟! أم
تراهما قد أصيبتا بالصم؟! هل تصبح الدعوات
نُصب العينين في طرفة عين بتلك السرعة
الفائقة؟! لقد كان عشية أمس حلمٌ بعيد المنال!
كقمرٍ تدور جُل افلاكها في محوره ولا تستطع أن
تمسّه!

وسالت أدمعها بغتة على خديها، فهاله ذلك وذُهل
واندفع يقول منفعلًا:

_ هو أنا قُلت حاجة غلط؟ بتعيطي ليه؟

فأسبلت جفنيها على دمعٍ لحلمٍ بات نُصب العين،
 وفتحت أجفانها تتطلع فيه بصمتٍ، وانفرجت
 شفتيها بترددٍ، فأستغلق عليه فهم ما تمر به،
 وتململ في جلسته وهو يسترخ في مقعده، وتطلع
 إلى عينيها بنظرة حانية، وقال بصوتٍ رخيم مبدداً
 توترها:

لما بياك يطلع بخير وسلامة ويصبح بأفضل حال
 أنا هاجي أتقدم رسمي.

وأدهشه دمعها الذي استمطر في غزارة، ثم فعلت
 ما لم يكن يتوقعه، فقد هبت واقفة ورمقته بنظرة
 أخيرة ثم انطلقت تعدو من أمامه، فاستوى في
 جلسته مصدوماً، وبصره تعلق بظهرها الذي يندفع
 مثيراً فضول وأعين كل الحاضرين، لم تلبث أن
 ألقت إليه فأشاح بوجهه.

ربي اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات



أمسكت ندى إسراء الراكضة من كتفيها لتوقفها
وهي تسأل بذعر:

_إسراء، مالك في إيه، بتجري ليه؟

فلهنت إسراء وهي تلتقط أنفاسها في صعوبة،
وحاولت أن تتمالك نفسها، وهي تقول بصوت به
رنة فرح:

_بلال قلّي تتجوزيني.

حدجتها ندى بنظرة ثاقبة وقالت بجدية:

_ووفقت؟

هزت إسراء رأسها وكتفيها وهي تُردد:

_ لا جريت.

فدُهِشت ندى وهي تتطلع إليها في بلاهة، متممة:

_ جريت! جريت! جريت يا إسراء، زمانه يقول

عليك هيلة يا فقرية.

فضحكت إسراء وهي تواري ثغرها بكفها،

وغمغت:

_ ما أنا هيلة فعلاً، في إيه لما يعرف إني هيلة..

واسترسلت وهي تهز منكبيها:

_ دي الحقيقة عادي يعني.

فضربت ندى كفٍ بكف، قائلة:

_ لا إله إلا الله.. أنتِ مش بس هيلة لأ وكمان

عبيطة.

﴿ أستغفر الله وأتوب إليه ﴾

عدلت إسرائ الوسادة وراء ظهر أبيها، وعاونته
 على الاسترخاء جيدًا على الفراش، بعد عودتهما
 من المستشفى، وهمت أن تبتعد عنه، عندما امسك
 معصمها وأجلسها بجانبه وهو يقول بنبرة أبوية:
 _متقلقيش يا بنتي أنا اول ما هصلب طولى هدور
 على هشام البسيوني وهخليه يندم على اليوم اللي
 فكر فيه يأيديك فمش عاوزك تخافي لاني هقتله قبل
 ما يقتلك.

لم تستعب إسرائ ما يقوله والدها، واعتقدت إنه
 يُلقى كلامًا غاضبًا فحسب، فهتفت وهي تربت على
 كفه:

_خف يا بابا بس الأول وبعد كده كل حاجة هتعدى
 بخير.

ونهضت وهي تتابع:

_ هروح أشوفهم حضروك الأكل ولا لسه.

وفي سيرها علا رنين الجرس، فصرقت الخادمة
بإشارة من يدها وتوجهت هي لفتحه، وما كادت
تفعل وترَ وجه القادم، حتى تهلت أساريرها مُهتلة
في سرور:

_ عم مدحت أخيرًا قدرنا نشوفك يا راجل؟

وأفسحت الطريق مرحبة به وهي تهتف:

_ تعالَ أدخل يا عمو أتفضل.

ضحك مدحت وهو يعبر الباب، وقد سرُ بها سرورًا
بدا على وجهه وهو يقول:

_ وحشتي عمك مدحت جدًا يا سوسو، طمني

عنك عاملة إيه؟

كان مدحت صديق أبيها المُقرب، يمتلك مصنع
حلويات.. بل مصانع حلويات شهير وله اسمه في
ذاك العالم.

جذبتة إسراء من مرفقه إلى إحدى الأرائك
وأجلسته، واستقرت بجانبه وهي لا تزال متعلقة
بذراعه، وتغمغم بصوتٍ خافت:

قبل ما تدخل لبابا عايزة منك طلب!

فتلاشى المرح من على صفحة وجهه، وحل محله
مسحة من حنان واهتمام، وقال بجدية وهو يرنو
إليها ببصره:

طبعًا يا بنتي اطلبي اللي أنتِ عايزه.

فتحممت إسراء تجلي حلقها، ثم غمغمت في
هدوء:

صراحة هما طلبين مش واحد.

فغمغم مدحت:

_ عشرة ياستي مش اتتيين أنتِ توأمري وعمك

مدحت ينفذك.

فتضرج وجنتيها من شدة الخجل، وهي تهمس في

صوتٍ خفيض:

_ في شخص أعرفه عايزاك تشوف له شغل عندك

بمرتب حلو.

فتبسم مدحت في بساطة، وقال وهو يهز كتفيه في

استخفاف:

_ كل المقدمة والتوتر ده علشان الطلب البسيط ده،

يا ستي اعتبريه حصل وكفاية إنه حد تبعك

ومعرفة عشان أثق فيه، حتى إني كنت محتاح حد

يوصل الطلبيات وأهه تحلت على أيدك.. أبعثيه

بكره على المصنع الرئيسي وهتفق معاه على كل

حاجة.

وما ل عليها مستطرّدًا:

ـ والطلب الثاني؟!!

صمّنت إسراء وهي تخفض بصرها تارة وترفعه
تارة في توتر ملحوظ، قبل أن تغغم في ارتباك:

ـ هو طلب خاص، خاص بيا أنا.

وسكّنت لردحًا من الزمن رفعت فيه بصرها إلى
السقف، وثبتت قليلًا على ذلك، ثم هبطت بصرها
إليه، فحثها على الحديث بإمارة من عينيه، وتنهت
في عمق، قبل أن تستطرد في صوت تشوبه
المرارة:

ـ في شاب عايز يجي يتقدم ليّ.

فقال مدحت متعجبًا:

ـ وما لك بتقوليها بمرارة كده ليه؟

وما ل بغمه على أذنها هامسًا:

بتحبيه؟!

فأطرقت برأسها للحظات، ثم هزت رأسها
بالإيجاب، فتبسم مدحت في هدوء، قائلاً:

فين المشكلة بقا؟

بابا مش موافق!

ضيق مدحت عينيه مقطب الجبين، وتمتم:

_امم، فهمت أنتِ عايزني اقنع بابا بيه!

أومات مجددًا برأسها، وهتفت وهي تتطلع إليه في
لهفة:

أنت مش كنت دايماً معترض إني ابقى ممثلة؟

الشاب ده هو اللي أقنعي.. بل هو اللي رد فيَّ
الروح وأنعش قلبي.

ربت مدحت على كتفها، ثم استوى واقفاً وهو
يردد لها بكلماتٍ مطمئنة وإنه سيفلح في رضا
أبيها حتماً.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد



آثار انتباه سهير رنين هاتف عماد الذي لا يكف
منذ دقائق معدودات، فأشتعل فضولها وتوجهت
إلى الهاتف القابع على المائدة بحذر، وهي تُراقب
باب (دورة المياة) بقلق وتطلعت في شاشة الهاتف
ليقابلها اسم إسراء ينير الشاشة، فرفعت حاجباً في
دهشة، وخامرها هاجسٌ عجيب، وهمّت أن تلتقط
الهاتف وتجيب عليها، لولا إن فُتح الباب وبرز

عماد وهو يجفف رأسه ولم يكذب يبصر وقوفها
 وهاتفه في راحتها، حتى التهم الخطوات في
 سرعة ويجذب منها الهاتف الذي خمد رنينه،
 ونهرها وهو يلكرها بمرفقه في غلظة:

_ مين إداكي الإذن تمسكي تلفوني؟

فعدت سهير ساعديها أمام صدرها، وهي تهتف:

_ مش محتاجة إذن على ما أفكر لأن ده حقي،

وبعدين إسراء بترن عليك ليه؟

فتحاشي النظر عنها مرتبًا، ووارى توتره بضحكة

منفطة متوترة، وهو يمسد على شعره مغمغمًا:

_ عادي يعني.

حدجته سهير بنظرة مشتتة، وهدرت به:

_ يعني إيه عادي؟! بقولك إسراء بترن ليه عليك

وعايزة إجابة.

فبرقت عينا عماد بلهفة وهو يمسك كتفيها، مهلاً
في بهجة:

__ عشان هتشوف ليّ شغل حلو وبمرتب مكنتش
بحلم بيه، يعني هنطلع في العالي مش هخليك
محتاجة حاجة أنتِ والقروود الصغيرة.

فرمقته سهير بازدرء، وهي تحل عقدة ساعديها،
قائلة بجدية:

__ إيه القروود الصغيرة دي.

فقهق عماد في غبطة، وأمسك كتفيها وأخذ يدور
بها، مردداً في غبطة:

__ بقا مش عارفة مين القروود الصغيرة؟! القروود
هيكونوا عيالنا إن شاء الله اللي انا بعمل كل ده
عشانهم.

وتوقف عن الدوران بها، بينما ترمقه هي

بازدراء، وصاحت بنبرة بها رنة تهكم:

— عماد أنت متأكد إنك بني آدم؟! عيال إيه اللي

بتعمل كل ده عشانهم؟ دا انا من يوم متجوزتك

وأنت مدتنيش قرش من بخلك هو أنت متخيل إنك

ممكن تبقى أب بندالتك دي...؟

هوى كفه بلطمة قوية على وجنتها، جعلت رأسها

تدور على جانبها وهي تبسط كفها على وجنتها

مكان لطمته، متسعت العينين، واجفة القلب..

صفعة!!

الآن قد تلقت صفعة!؟

أهي في حلم أم واقع مرير!

مال جُل أحلامها وأمنياتها قد تهاوت فجأة من برج

سحيق أمام عينيها دون أن تقوى على التمسك

بأيّ منهم!

أُنزعت من شرودها على صوته البغيض يجار

فيها:

_الندل ده هيوريك ازاى تكلميه باحترام ...

قال جملته بتريث شديد وهو يسحب حزام من فوق

المشجب، وتراجعت سهير..

تراجعت مصعوقة وهي تحدق فيه..

كأنما تحدق في شبح، وأحست بأنفاسها تُزهق،

وبأن الكلمات احتبست بغتةً في حلقها وأوصدت،

كانت تتراجع وهو يقترب بتمهل ويلف طرف

الحزام بين أصابعه، حتى سقطت على الأريكة،

وهوى..

هوى الحزام على جسدها في قوة، وصوت عماد
يضيع بين صراخها عنيفًا:

لو أهلك وأخوكِ اللي اسمه بلال ده وشايف نفسه
مربكيش أنا بقا اللي هربيكي، هربيكي عشان
تقدري جوزك وتعرفي إزاي تحترميه وتعيشي
خدامة تحت رجليه وتقولِي حاضر ونعم وتغمي
عينك عن كل حاجة بتحصل.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد

جلس بلال بجانب أمه بعدما لثم كفها بكل حنان
واحترام، قائلاً في هدوء:

ماما، أنا عايز استشيرك في حاجة؟

فرفعت الألم كفها، ومدت يدها تتلمس الطريق
لوجهه، وتحسسته في حنان، وهي تقول:

_ قول يا بني لعله خير يا حبيبي.

رمى بلال نظرة متوترة إلى أخيه عمرو المنكب
على دروسه، وقال بعد تنهيدة عميقة:

_ ماما، بصراحة أنا قررت أتجوز.

صمت، ولم تنبس والدته كأن الموضوع فاجئها،
ثم تهلت أساريرها، واستدركت في تبسم حنون:

_ دا يوم المنى يا حبيبي، بس.. بس أنت لسه

مخلصتش شقتك؟!!

مسد بلال جبهته بارهاق، وقال في هدوء:

_ هنتجوز ونقعد معاك هنا أنت وعمرو وهجهز

الشقة بعدين.

ثم اتبع يقول في مرح:

_ولا أنتِ مش عايزنا نقعد معاكي؟

ضربته والدته بخفة على وجنته، وهي تقول من

بين ضحكاتهما:

_تقعدو جوة عيوني يا حبيبي لو مشلكمش البيت.

نهض بلال مقبلاً عينيها، بينما هي تهمس:

_إسراء صح؟

فازدرد بلال لعابه وهو يهز رأسه، قائلاً:

_ايوا.

كانت تدرك بأمومتها إنها هي ومن غيرها قلب

حياة ابنها وبدلها؟!!

ابنها لم يعد هو.

به شيئاً تغير..

لم يعد يؤذن في الجامع!

كف عن تحفيظ أخيه وأبناء الجيران..

وما خُفي كان أعظم..

لا تدري أتفرح إنه تدارك نفسه وأراد أن يسير

على الدرب الصحيح؟!!

أم تحزن إن إسراء فتاة لم تتمناها لابنها يوماً؟!!

طرق عنيق أفرعهم، وجعل بلال يثب من مكانه

ويندفع إلى الباب يفتحه في لهفة، ليُطالعه وجه

سهير الدامي، فتراجع خطوة في زعر، وأطل

غضبٍ هائل من عينيه وهو يُردد:

_ عماد اللي ضربك؟

وندت عن أخيها الصغير الفاجر فاه، شهقة جزع

وهو يغمغم:

_ سهير؟! حصل لك إيه؟

واندفع يضمها في قوة كأنما يريد أن يحميها، بينما
غمغم بلال وهو يجذبها للداخل مغلقاً الباب:

__إيه اللي حصل؟

توقع ردًا منهارًا، أو بكاءً حارًا، أو أن ترتمي في
حضنه وتبثه ما حصل، لكنها غمغمت في برود:
__عماد ضربني واستتيت لما طلع من البيت وجيت
على هنا.

فضغط بلال على ذراعها وهو يسألها في قسوة:

__ضربك ليه؟

فضحكت سهير هازئة، وقالت وهي تنظر له بعجزٍ
مزق نياط قلبه:

__ضربني ليه إيه؟ قول كام مرة ضربك؟ كام مرة

هانك؟! كم مرة ذلك؟! كم مرة هددك متشفيش

أهلك..

ثم شهقت في عنف باكية وهي تصيح:

_ طقتني منه يا بلال انا آسفة عشان وفقت عليه
رغم إنك حذرتني بس طقتني منه.

شهقت أمها باكية بفؤادٍ مكلوم، بينما استوحشت
عينا بلال، وهو يجز على أسنانه، ثم تركها
وركض إلى الخارج مستشيطاً غضباً، متميزاً
غيظاً، ونيران الحقد تغلي كالمرجل في صدره.

﴿ اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ﴾

كانت إسراء في ذات اللحظة، قد أعطت أبيها
دواؤه ودثرته بالغطاء وأطفئت أنوار الحجرة
وتركته لينعم بالقليل من الراحة، وجلست هي
تحادث ندى، عندما ارتفع رنين منزلها، ورأت

الخادمة تتجه لفتحه ثم تعود بفرع وهي تقول
بلوعة:

_الحقي يا ست هانم الشرطة على الباب.

فهبت إسراء وهي تسألها:

_الشرطة!! بتعمل إيه؟

ووصلها هتاف ندى على الهاتف:

_في إيه يا إسراء، وإيه جاب الشرطة؟

_معرفةش يا ندى أأقلي دلوقتي لحد ما أشوف في

إيه؟

أغلقت مع ندى وهي تهتم بالخروج إلا أن افراد

الشرطة ولجت للداخل منتشرة في أنحاء الشقة،

والضابط يقف أمامها، متسائلًا:

_حضرتك إسراء الشهاوي؟

فارتعش جسد إسراء بصورة ملحوظة، وهي تهز
رأسها تجيبه في توتر:

_ايوا، ايوا أنا!

فهدر الضابط بصوتٍ أجش:

_عندنا أمر من النيابة بالتفتيش، نفذ يا بني منك
ليه .

وانحدرت الدموع من عيناى إسراء وهي تراقب
الجنود قد انتشروا في كل الأرجاء، وعادت تنظر
للضابط، قائلة في انهيار:

_تفتيش بامر من النيابة؟ ليه انا عملت إيه.

"لقينا ده يا فندم"

قالها أحد الجنود وهو يمسك بحقيبتها مخرجًا منها
مادة بيضاء مغلقة، فالتقطه الضابط وفض الكيس
وقربه من أنفه، قبل أن ينظر إليها، صائحًا:

_ أهلاً.. مخدرات مرة وحدة؟!!

وفغرت إسرائء فاه، واتسعت عينيها حتى بلغتنا
الذروة، وصوت الضابط يشق قلبها بقوله وهو
ينصرف:

_ هاتها يا بني، لما نشوف آخرتها.

يتبع ...

#والتقينا

#ندى_ممدوح

14_ حمل

تفاقم الغضب في جوانح بلال، وانتفخت أوداجه
 وهو يتجه إلى القهوة، الذي علم إن عماد بداخلها،
 وولجها وكل خلجة من خلجاته تشف عن
 عصبيته، وهو يركل بقدمه إحدى المقاعد،
 لتتصاعد شهقات الرجال ذهولاً من حالة بلال التي
 لأول مرة تطفح على الملأ..
 فقد كان معروفًا بينهم بحسن الخلق..
 هادئ لا يميل للعدوانية..
 ونادرًا ما يتشاحن مع احدهم..

ما أن لمحہ عماد مقبلاً نحوه كعاصفة هوجاء ترك
قدح الشاي من يده، وهو يغتصب بسمه منفعة،
خائفة، مغمغماً:

_ أبو نسب تعال اتفضل.

_ ما أنا هتفضل على روحك بإذن الله.

صرخ بها بلال وهو يجذب عماد من تلايب
ملابسه، وعماد يهتف متوترًا، وجلًا:

_ اهدى يا بلال في إيه مالك، بتمسكني كده ليه؟

فدار به بلال ثم دفعه خارج القهوة، هاتفًا:

_ وليك عين تسئل في إيه؟ دا أنا هندمك على اليوم

اللي اتجوزت فيه أختي.

فنهض عماد منفضًا كفيه من سقطته، وهو يردد:

_ آه هي اشتكتك؟! إيه يا عم وانت مالك مراتي

وبربيها.

لم ينطق بلال، لم يقو على سماع المزيد، فلم تكد
العبارات تنفذ إلى أذنيه، حتى انقض على عماد
مبتغياً تهشيم ذراعاه اللذان أرتفعا على أخته،
وتلاحما بشجارٍ عنيف، كان الظافر فيه بلال لولا
الرجال الذين تجمعوا حولهم في حلقة دائرية،
وطائفة تمسك بعماد النازف، وأخرى ببلال وبينهم
سعيد، وبلال يصرخ:

_ هطلقها يا ابن الـ*****

وعماد يجيبه في عناد:

_ مش هطلقها وبينني وبينكم المحاكم، وهطلبها في
بيت الطاعة ويا انا يا انتم.

أقلت بلال من بين الرجال وهم أن يمسك فيه مرة
أخر، لولا سعيد الذي شل حركته من الخلف وهو
يهتف:

_ اهدى يا بلال الامور مش بتتحل كده.

وجاهد بلال كي ينفلت من بين ذراعيّ الرجال
وسعيد وهو يصرخ:

__ هتفاهم معاه بس سبوني.

__ لا حول ولا قوة إلا بالله، اهدى يا بلال يا بني
مش كده.

قالها أحد الرجال وهم يجذبونه داخل القهوة، بينما
فر عماد من المكان من شدة الخوف رغم العناد
الذي تولد في قلبه بعدم تطليقها.

﴿ اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد ﴾

جلست إسراء في مكتب وكيل النيابة في انهيار
تام، ودموع لا ترقأ، ولسانها يُردد في صدق:

_اقسم بالله ما أعرف الحاجات دي جت في
شنتي إزاي..

فتهد وكيل النيابة في ضجر، وهو يميل إلى الأمام
مشبغًا كفيه أمام وجهه، وعاد يسألها في هدوء:

_يعني أنت بتأكدي أن المخدرات اللي في شنتك
مش ليك؟

اومات إسراء برأسها إيجابيًا، فتفرس وكيل النيابة
النظر فيها، قبل أن يقول:

_كل مجرم بيجي هنا لازم يقول الكلمتين دول يا
فنانة، ووحدة زيك فجأة سابت التمثيل ما هو
طبيعي عشان لقيت شغل فلوسه أكثر.

صرخت إسراء في إعياء:

_ بس انا مش مجرمة ومسبتش التمثيل عشان
اللي بتقول عليه ده. صدقتي معرفش الحاجات دي
لقيتوها في شنطتي إزاي؟!!

تراجع وكيل النيابة في مقعده، وصمت ملياً بدا
بتفكير عميق، وهو يمعن النظر فيها كأنما ينفذ إلى
أعماقها ويسبر أغوار نفسها، ثم هز رأسه، وقال
بلهجة حادة:

_ تمام خرينا نقول إنها مش ليك فعلاً، مين هيكلف
نفسه يشتري مخدرات ويحطها في شنطتك لمجرد
إنه يدخلك السجن؟ أنتِ بتتهمي حد؟!!

ومع سؤاله أشرق الأمل في قلبها، وتجمدت
العبرات في عينيها وهي ترفع رأسها نحوه، قائلة
قي لهفة:

_ ايوة في حد أنا بتهم هشام.. المخرج هشام
البسيوني.

فتراجع وكيل النيابة في مقعده، ورمقها بنظرة

ثاقبة، وهو يقول في تريث:

_المخرج هشام البسيوني مرة واحدة؟ وليه هشام

هيعمل حاجة زي دي؟! ولا يكسب إيه لما

يسجنك؟!

ثم ضغط على زرٍ دخل على إثره جنْدٌ فورًا مؤديًا

التحية العسكرية وهو يضرب كعبه في الأرض،

هاتفًا:

_أوامرك يا فندم.

فأشار وكيل النيابة له على إسراء، مستطردًا:

_دخلها الحجز.

وهتفت إسراء كمن أصيب بمسٍ من الجن:

_حجز؟! حجز إيه اللي ادخله لأ، لا طبعا.

وأبعدت كف الجندي، وهي تصيح:

_أبعد عني أنا مش مجرمة مش
مصدقني ليه؟

ومادت بها الأرض فجأة، وسقطت مغشياً عليها.

﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾

_أنا حامل يا أميرة، يعني مستحيل هطلق منه، ليه
يا ربي رزقتني بحاجة تربطني بيه، ليه؟

هتفت بها سهير بحزنٍ يفطر القلوب، وبعبيرات
تتدفق بالأسى من عينيها، وهي تنهار باكية على
فراشها، وأميرة تقف متحصرة، مصدومة، وعندما
أستوعبت ما قالته سهير، هتفت باستنكار:

_ هو إيه اللي مستحيل تطلقي، ربنا رزقك بطفل
خلاص دا نصيبك إيه هنكفر؟! احدي ربنا دا رزق
وجالك.

فرددت سهير وهي تضم ركبتيها إلى صدرها
وتدفن وجهها بين مرفقيها:

_ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين،
الحمد لله يا رب الحمد لله.

وظلت على هذه الحالة لفترة، قبل أن ترفع رأسها
إلى أميرة، وقد جفت دموعها، وهي تقول:

_ عمري ما تخيلت إن يوم ما أكون أم هكون شايلة
كل الحزن ده في قلبي، وابني يكون من أب جشع
بعيد عن أي إنسانية.

جلست أميرة القرفصاء بجانبها، وهي تغغم:

يا ستي خلاص بقا أنسيه أنتِ دلوقتي هتطلقي
منه والواد هيتربي وسطنا، طلعي عماد من دماغك
بقا عشان مش هيقدر بعد كده حتى لما يشوفك
يرفع عينه فيك.

فلجمت سهير لوهلة، وقالت مطرقة الرأس،
بيأس:

بس انا مش هسيب عماد، مش هكون حمل على
بلال أنا وابني هيتحمل قد إيه؟ خليه يشوف حياته
دا كان اختياري وأنا مسؤلة عنه لوحدتي.

فهبت أميرة واقفة، وهزتها في عنفٍ، ونهرتها
قائلة:

أنتِ مجنونة يا بنتي حمل إيه؟ دا بلال يا سهير
هو أنتِ لو معرفتيش اخوكِ أنا اللي هعرفك؟! دا
هيموت من الفرح لما يعرف بحملك دلوقتي

وهيشيك جوة رموش عينيه.. بظلي هبل وأخذ
قرارت بتدمره قبل ما تدمرك.

همت سهير بالتفوه بشيءٍ ما، ولكنها أثرت
الصمت ولانث بالسكون وهي تهز رأسها موافقة
لـ أميرة التي ضمتها في حنان، وأخذت تتلو عليها
بعد آيات القرآن الكريم.

﴿ أستغفر الله وأتوب إليه ﴾

دخلت سهير برفقة الجندي إلى مكتب وكيل النيابة،
الذي استوى في جلسته، مغمغماً وهو يشير
لجندي:

_ اطلع أنت، اتفضلي يا أنسة إسراء.

فجلست إسرائ على المقعد أمامه، وهي ترمق
بنظرات خاوية محامي الدفاع الجالس امامها في
وهن، بينما وكيل النيابة يقول:

_ عاملة إيه دلوقتي؟

فأسبلت إسرائ جفنيها في إعياء، وبضعف اومأت
برأسها، دون أن تقو على التفوه بكلمة، كانت
خائرة القوى.. وتتهد وكيل النيابة في عمق وهو
يشبك كفيه امام وجهه، مرددًا في تمهل:

_ إحنا طبعًا عملنا الازم وعلى كلامك واتهامك
حققتا في الموضوع والمشتبه به هشام البسيوني،
ولكن كل ادعاءتك خطأ.

رفعت إسرائ رأسها إليه في حدة، ونبأها هاجس
مخيف، أن القادم من حديث وكيل النيابة سيهدم
كل حياتها حتمًا فاذدردت لعابها وهي تراه يتراجع

في مقعده ويحرك سبابته وإبهامه على ذقنه،
ويقول وهو يتفرس فيها:

_المخرج هشام البسيوني مش موجود من شهر
في مصر، هو مع عيلته بيقضي وقت لطيف معاهم
خارج مصر خالص، أي إن هو مسافر من قبل كل
ده ما يحصلك، وبالتالي مستحيل يكون هو اللي
حط لك المخدرات وكل أقوالك ما هي إلا إدعاءت
باطلة.

هبت إسراء واقفة متسعت العينين، وصرخت في
صدمة، وانهار:

_يعني إيه مسافر من شهر؟ بقولك حاول يقتلني
كان في أوضتي وضرب بابا و....
وأجفلت متراجعة مع صراخ وكيل النيابة وهو
يضرب بكفه على سطح المكتب:

_ألزمي السكوت وإلا رميتك في الحجز بتهمة

تانية دلوقتي، أنتِ مفكرة نفسك فين؟!!

ولانت بالصمت وهي تنظر له بقلب فارغ، وأحست

أن الدموع التي تتسكب من عينيها تسحب روحها

ببطءٍ شديد، ولم تشعر بخروج وكيل النيابة بعدما

استأذن منه المحامي بالتحدث معها على انفراد،

وقف المحامي مشيرًا لـ إسراء بالهدوء وهو

يغمغم:

_لو سمحتِ اقعدِي عايز اسألك كام سؤال مهمين

احتمال يفيدونا في القضية.

جلست إسراء، وهي تقول في آسى:

_ما خلاص القضية لبساني اظاهر مفيش منها

خروج.

زفر المحامي بضيق، ثم سألها قائلاً:

_ اليوم اللي لقيوا فيه المخدرات في شنتك،

خرجتي من البيت؟ ولا حد كان عندك؟

تنبهت إسراء لسؤاله، وعلى الفور استرجع ذهنها

أحداث اليوم، قبل أن تهز رأسها، مغممة:

_ لا، لا محدش جه إلا عمو مدحت وهو مدخلش

أوضتي ولا سبته دقيقة وبعدين مستحيل يكون

هو، وأنا مخرحتش في اليوم ده.

_ طيب، تشكي في مين من الخدم؟!

تسألت إسراء بانها:

_ أشك في مين؟

وهزت رأسها في عنف وهي تقول:

_ أنا مش عارفه مش قادرة أشك في حد، مش

قادرة.

ووارت وجهها بكفيها وازداد نحيبها في يأس، لقد
خسرت حياتها..

خسرت آمالها وأحلامها..

ستدفن حية ما بين أربع جدران لا حياة بها

﴿ صل الله عليه وسلم ﴾

رجع بلال ليلاً بعد ما أنتهى من عمله منك، لم
يكن يدري ما الذي حل به إسراء

والعجيب إنه قد تناساها في غمرة هم أخته الجاثم
على قلبه وعقله، قبل رأس والدته، وبادل شقيقه
عمرو الحظن، وجلس وهو يسأل عن سهير،

قائلاً:

—_ امال سهير فين؟

فردت عايدة في هدوء:

_ في أوضتها يا بني.

فنهض بلال وهو يقول ببسمة:

_ هدخل اظمن عليها.

وتوجه إلى حجرتها، وأطل من الباب لكنه وجد
الغرفة خالية، فتلاشت بسمته وهو يدفع الباب
ويدلف للداخل منادياً باسمها، وقد استبد به القلق،
ولم يكد يخرج من الحجرة ليخبر أمه إلا أنه حانت
منه التفاتة على المرأة، وجذبتة ورقة ملصوقة
عليها، جذبها في لهفة، والتهمت عيناه محتواها
الذي كان:

_ بلال، أنا رجعت إلى عماد، اتمنى أنك تسامحني.

وتأجبت نيران الغضب في عينيه وهو يكور
الورقة في قبضته، ويصرخ في انهيار وهو يركل
بقدمه كل ما يقابله:

_____ يـهـ ماـشي ماـشي يا سـهـير،
بتـهـيني أخوكِ؟!!

ثم جلس على حافة الفراش بقهرٍ، ودفن وجهه
بين كفيه، مع سؤال والدته في لوعة:

_____ بلال، مالك مالك يا حبيبي في إيه، آه.

تأوهت في ألم وهي تسقط إثر تعثرها في شيءٍ ما،
فوثب بلال مهرولاً إليها وبعد أن اطمئن عليها،
هتف:

_____ بنتك رجعت لجوزها بنتك هنتني وصغرتني
ورجعت ليه بنفسها.

﴿صل الله عليه وسلم﴾

تصاعد رنين جرس باب شقة عماد، فهتف وهو
يتجه لفتحه:

_إيه جاي ياللي على الباب ارفع ايدك من على
الجرس هي الكهرا ببلاش!؟

وفتح الباب في حركة حادة، وارتفعا حاجبيه ذهولاً
وهو ير سهير أمامه، فغمغم بضحكة ظافرة:

_أهلاً بالمدام اللي بتحب المرمطة، إيه اللي
جابتك!؟ مفكرش إني جيت خدتك من بيت ابوكي
ولا حاجة، ولا قولتك ارجعي، على العكس كنا
نويين على طلاق!

وابتلعت سهير الإهانة في أسى، وخرجت الكلمات
من حلقها في صعوبة وهي تقول:

_ عماد أنا رجعت لك عشان أنا حامل.

فتبسم عماد وتألقت عيناه وهو يجذبها من ذراعها
في قوة إلى الداخل، موصدًا الباب في عنف،

وصاح:

_ والله خبر بمليون جنية، بس إياك تفكري إنك
عشان حامل فهغفر لي عملتيه ولا هتعيشي هنا
ملكة.

وظاف حولها وهو يتابع:

_ أنتِ هنا هتعيشي خدامة، والخدمة أحسن منك
كمان.

يتبع...

#والتقينا

#ندى_مدوح

15_ الزائر

إلى ذاك الغائب.. أفتقدك، إني أعلمُ إنك ثمَّ هناك
 تقرأ عيناك ما يخطهُ قلّمي؛ وأنا كل ما أرجوه أن
 ينال إعجابك وأن تشعر بالفخر بي.. بابنتك.
 وعلمت يا صديقتي إني من بعدك لم أعد أملك من
 أفضي إليه بأوجاع قلبي (رحمك الله يا خليلتي)
 (بعض النظرات حياة)

هدوءٍ عظيم يغشى الأفئدة، سكونٌ تام في بيت الله،
 جلس بلال تحفهُ حلقةٌ دائرية من الأطفال، بين
 كفيه مصحفٌ مشروعٌ على سورة (الهمزة)؛ يُعدل

لغلامٍ تلو الآخر التلاوة ويصح لهم بتأنٍ أحكام
التجويد والتشكيل، وما إن انتهى حتى غمغم
وبصره يطوف بين الوجوه المشرقة أمامه:

_ { وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ } وويلٌ يا أحابٍ تعني شرٌّ
وهلاك وقيل إنها اسم وادٍ في جهنم لمن؟ لكل
هماز لماز يغتاب الناس ويطعن في اعراضهم.
تبسم بلال وهو يضيف في هدوء:

_ المسلم يا أبناءٍي ليس بلعان ولا طعان، لا يسخر
من الآخرين لا يستهزأ بأخيه أو صديقه، ولا يؤذي
أحدٍ من خلق الله، فعلى الإنسان إن يحفظ لسانه
ويشتغل بعيوب نفسه لا بعيوب الناس، ولقد قال
رسولنا الحبيب محمد ﷺ لمعاذ (وهل يكب الناس
على وجوههم في النار أو قال على مناخرهم إلا
حصائد السنتهم)

سَكَتَ بِلَالٌ لِهَنِيهَةٍ، ثُمَّ أَرْدَفَ يَقُولُ بِصَوْتٍ رَخِيمٍ:

يَحذَرنا رَسولنا الحَبيب المصطَفى من حِصائِد
الألسنِ فَهِيَ أعظَم الأسبابِ التي تُدخِلُ بني آدمَ
النارَ، فَعلى المرءِ ألا يَغتابَ أحدَ ولا يَسخرَ من
أحدٍ، يَحافظُ على لسانِهِ وعلى كِلامِهِ فلا يَخرجُ مِنْهُ
إلا طَيِّبًا، وَيَخافُ عذابَ رَبِّهِ وَيَتَّقِيهِ...

(بلال، يا بلال في واحد عايزك برة)

هتافٌ عالٍ ارتفع على حين غرة قادمًا من باب
المسجد بصوت عمرو، الذي اقترب لاهتًا بينما
يسأله بلال في اهتمام:

وَاحِد؟! وَاحِد مِين، وَعَايزَنِي فِي إِيهِ؟

هز عمرو منكبيه وزمَّ شفتيه، قائلاً:

مَش عَارِف.

ثم مال عليه، هامسًا في أذنه:

يقرب للممثلة إسراء اللي كانت عندنا لإني شفته
لما جه خدها.

ضيق بلال عينيه في حيرة مفكرًا فيما يمكن أن
يأتي بالرجل إليه، ثم رفع حاجبه وهو ينوي
الخروج إليه ومقابلته، فأغلق المصحف في رفق
ووضعه جانبًا وهو يطلب من الغلمان انتظاره،
ويمم وجهه شطر باب المسجد.

وقف والد إسراء على أسكفة المسجد متهدل
الأكتاف، خائر القوى، ذائع العينين، تترقرق فيهما
دمعة دفيئة بين أجفانه، ورمق المسجد من الداخل
طويلاً لم يقو على دخوله، لم يستطع أن يفعل،
شعر كأن شخصٍ مثله بكل صنيعه محرم عليه
دخول مكانٍ شريفٍ كهذا، رصدت عيناه بلال يقبل
نحوه، وقرأ الحيرة والتساؤل في عينيه، فبادره
قائلاً بلهفة:

_ بلال، يا بني...!

فقاطعه بلال قائلاً بدهشة:

_ ابنك؟!!

تجاوز الشهوي تساؤله المندesh، واندفع يقول
في لهفة:

_ هو أنت مصدق إن إسراء بنتي ممكن تتجار في
حاجة زي دي؟ أنت مصدق اللي بيتقال! ليه

مج....

اسكته بلال بإشارة من كفه، وهو يتساؤل في
حيرة:

_ أنا مش فاهم أنت بتتكلم عن إيه؟ وإيه اللي

بيتقال عن إسراء ولا بتجار في إيه؟!!

اتسعت عينا الشهوي ذهولاً، وغمغم:

_مش مقعول أنت معرفتش أي حاجة لحد

دلوقتي؟! إزاي?!!

ثم هز رأسه وأمسك بمعصمه، قائلاً:

_هفهمك في الطريق كل حاجة بس دلوقتي، تعال

إسراء جلست الحكم بتاعها انهاردة.

مع آخر عبارته توقف بلال مصدومًا، وقد دبَّ في

نفسه القلق، وأخذته الدهشة، فقال بنبرة جامدة:

_حكم إيه?!!

_تعال بس معايا وهفهمك كل حاجة.

اوما بلال برأسه ولم ينبس ببنتِ شفة، بل أستدار

في هدوء، وقال لشقيقه عمرو الواقف بعيدًا عنهما

يتابع ما يحدث في صمت:

_عمرو أرجع البيت وخلي بالك من ماما، وقول

لأميرة إنني هتأخر انهاردة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا وحبينا

محمد

ارتجفت إسرائ، وارتعدت أطرافها، وخفق قلبها
 في قوةٍ وعنف، وترقرقت الدموع في عينيها وهي
 تتطلع إلى بلال من داخل قفص الاتِّهام، الذي
 حملت عيناه حنان الدنيا كلها وهو يسترق من
 الحين للآخر نظرة إليها، ويتابع باهتمامٍ بالغ
 محامي الدفاع الذي استطاع بحنكة تأجيل الجلسة
 إلى النطق بالحكم، وانهارت إسرائ أكثر وهي
 تمسك بكفيها القضبان الحديدية وتدس رأسها
 بينهما وتتخرط في بكاءٍ يُدمي القلوب، تسلل إلى
 أذنيها صوتًا له فعل السحر في قلبها، فرفعت
 رأسها إلى بلال، الذي بادرها قائلاً:

_متخافيش أنا جنبك، وهعمل كل اللي هقدر عليه
عشان أخرجك.

وتطلعت إليه وقد اختنقت الكلمات في ثنايا حلقها،
وجاهدت ليلفظها لسانها المتحجر الجاف، وصوت
بلال يتسلل إلى أذنيها عطوفًا:

_امسحي دموع، دا ابتلاء من ربنا وهيعدي.

خرجت الكلمات من بين شفثيها مرتعدة شاحبة:

_بلال أنت اكيد مش مصدق كل ده صح؟

ازدرد بلال لعابه وأطرق رأسه في استحياء، لم
يدر كيف يخبرها إنه لو هلة صدق تهتمها، فرفع
رأسه إليها، قائلاً:

_لو كنت مصدق مكنتيش هتلاقيني هنا دلوقتي.

سحبوها الجنود من القفص ووالدها وندى يعدوان
وراءها، بينما وقف بلال جامد الأطراف.

اللهم صلّ على محمد

فُتِحَ باب الزنزانه بصريرٍ مخيفٍ آثار الفرع في
 فؤاد إسراء، ودب الارتياح في نفسها، وهي
 تتقهقر للخلف جزعة، وجلة الروح، ودخلتها
 بقدمين تتخبطان ارتجافًا، وانتفضت عندما أُغلق
 الباب وراءها في عنفٍ أحست إنه أصيبها بالصم،
 جاس بصرها على السرائر والمسجّنات وهي تكاد
 تبكي كطفلٍ صغيرٍ.

أغلق عليها باب السجن، فما لها تشعر إن روحها
 قد سُجّنت في وادٍ سحيقٍ مظلم ما له قرار.
 وإن الحياة في عينيها أصبحت ضباب..

وكل شيءٍ بات خاويًا كفراغ قلبها الآن الذي تشعر
 إنه كالطير الذبيح يُرفرف مع خروج روحه
 ويتلوى من سكرات الموت، وإما روحها فكانت
 كمن عمل فيها عمل المدى في الذبيح، وراحت
 تنزف دون أن ينضب هذا الدم.

(مش دي يا بت الممثلة إسراء ولا انا متهيألي؟!
 آه والله هي يا ترى إيه اللي دخلها السجن؟)

(بيقولوا ياختي إنها بتاجر في المخدرات)

(تاهم القرف ما هما كلهم الممثلين كده، بيجروا
 وراء القرش الكثير وبس، بلا نيلة)

أنتزعتها تلك العبارات من قوقعتها، فرفعت إسراء
 بصرها إلى النسوة الآتي تجمعن حولها بتفحص،
 وأخرى تتقدم قائلة بتسلط:

وسعوا كده لما نشوف القمورة.. بلى ممثلة بلا
بتاع، قال ممثلة قال هنا زيها زينا وأهي الممثلة
مشرفة في السجن بتهمة هتاخذ فيها مؤبد.

اتسعت عينا إسراء دهشة، وكادت أن ترد على
المرأة، لولا إنها دفعتها في كتفها بحدة، وقالت
بغلظة:

إلا القمورة صحيح اسمها إيه؟

ثم أمسكت بمرفقها وهزتها وهي تقول:

هو أنت ياختي عندك كام سنة؟! مالك معضمة

وقصيرة كده ليه؟! مين واكل نايبك!

حاولت إسراء أن تفلت ذراعها من يد المرأة التي
تفوقها اضعاف وكل محاولاتها باءت بالفشل، حتى
لقد ظنت إن ذراعها سينخلع في يدها بكتفها، وهي
تضيف في ضجر:

_بس بقا أنا هنا الكل في الكل يعني يتقال لي
حاضر ونعم وبس.

وصرخت في وجهها بنبرة ارجفتها:

_سامعة؟

أقلت المرأة الكلمة بنبرة آمرة وهي تدفعها بقسوة،

فكادت أن تسقط على وجهها إثر ذلك، لولا

أصابعها التي تشبثت بحافة الفراش، ثم اعتدلت

وهي تنوي دخول مشاحنة مع تلك المرأة، لكن

المرأة زجرتها بنظرة حادة وهي تشوح بكفها،

مغممة:

_غوري اقعدني في أي مخروبة جوة.

فأسرعت إسراء تصد طريقها، هاتفة:

_حضرتك إزاي ترفعي صوتك عليّ بالأسلوب

السخيف ده وتمدي أيدك كمان!

رفعت المرأة حاجبًا في سطوة، وتخصرت وهي
تقول، وعينيها تجولان على النسوة من حولها:

__أنا، بقا أنا يتقال ليّ إن اسلوبى سخيف؟ سمعته
سمعته يا نسوان أنا بدرية يتقال لي كده ومن بنت
مفعوسة زي دي؟!!

واندفعت نحوها وتراجعت إسرائ في خوف، وفتّح
باب الزنزانة، وصرخ الجندي فيهن:

__إيه كمية الدوشة اللي عملينها دي، ما كل واحدة
تقعد بسكاتها.

ثم حاد ببصره إلى إسرائ، ولانت نبرته مضيّفًا في
نبرة هادئة:

__اتفضلي معايا يا آنسة إسرائ في زيارة ليك.

غمغمت إسرائ في دهشة:

__زيارة ليا انا؟ بالسرعة دي.

وهتفت في فرحة:

_ معقول يكون بلال؟!!

ثم عادت تنفي قائلة:

_ لا، لا مش ممكن.

ولحقت بالجندي، الذي ابطأ خطواته، ليهمس لها
بنبرة ناعمة:

_ أنا سمعت كل أفلامك ومسلسلاتك يا فنانة، ومن
أشد معجبيك ومنبهر بحضرتك جدًا، ومتعاطف
معك ومش مصدق التهمة اللي متوجهالك دي،
ومش مصدق إنك حاليًا قدام عيني.

حدقت فيه إسراء في حنقٍ، وتضايقت من ذكر
أفلامها ومسلسلاتها وأحست باستحقار الذات وهي
تتذكر تلك المشاهد التي صورتها بملابس لا تستر
شيء، فطأطأت الطرف، وجهمت المحيا، ودلقت

إلى حجرة فُتِحَ بابها الجندي وُصفقه وراءها،
فتوقفت حائرة وهي ترَ ظهر رجلٍ فارع الطول
وتوجست خفية لبرهة، واتسعت عينيها وهو
يستدير في تأنٍ، ببسمة تزين ثغره، وأعين حزينة
مغمغماً:

كل ده حصلك وأنا مش موجود؟
وهتفت إسرائ في جزع وهي تتقهقر للخلف:
أنت!!

يتبع...

16_ خِطَة

_ إيه الأكل الرخيص زيك ده؟

نطق عماد بتلك العبارة في حدة، بينما توجهت
سهير وتسمّر كفيها بالطعام الذي بيدها، وغابت
الدماء عن وجهها، ثم تنهدت بعمقٍ وهي تسبل
جفنيها في عنفٍ، وجاهدت لكي يخرج صوتها
هادئًا وهي تلتفت إليه، قائلة في هدوء:

_ الرخيص هو الراجل اللي زيك اللي يقبل يهين
مراته اللي شايلة اسمه لأنه كده مش بيهينها هي
دا بيهين نفسه قبل منها، وأنا مش رخيصة
بالعكس أنا غالية، غالية اوي يا عماد لدرجة اللي
خلتني أقبل بواحد زيك لو مكنتش وفقت بيه

مكنش هيلافي أي اب في الزمن ده يجوزه بنته
 أنت هتفضل طول عمرك شایل جمایل بلال اخويا
 على أكتافك.

وأضافت وهي تأخذ نفس عميق:

_ونعمة ربنا اللي أنت مستكبر عليها دي في
 غيرها مش لاقياها وأنت متستهلش اللقمة اصلاً،
 ولا النعمة.

سكتت تلتقط أنفاسها المتلاحقة، وعينيها تراقبان
 تأجج الغضب الذي ملأ مقلتين عماد في وجل،
 وراته يقف في تودة، ثم قبض على معصمها في
 قسوة جعلتها تنن ألمًا في داخلها، وصك مسامعها
 صوته الغليظ، يهتف:

_دا القطة بقي ليها عين تتكلم وتفتح بقها،
 وشكلها توحشت الضرب.

غطت سهير وجهها بذراعيها وهي تشاهد كفه
يرتفع عاليًا على استعداد ليهوى على وجنتها،
وأغمضت عينيها في خوفٍ دب في ثنايا قلبها،
لكن فجأة علا رنين الجرس وارتخى ذراع عماد
بجانبه، وهو يغمغم في ضجر:

_ غوري شوفي مين اللي جاي في الوقت ده.

رمقته سهير بازدراء، وتوجهت لفتح الباب، لتجد
أميرة في وجهها تهتف في حدة:

_ إيه اللي أنتِ عملتيه ده يا سهير، أنتِ لدرجة دي
مبتفكريش، قدرتي عملي كده إزاي في اخوكِ
وفينا؟

بُتر قولها عندما كملت سهير فمها بكفها،
وتراجعت برأسها تشرائب النظر بحثًا عن عماد،
ولسانها يغمغم في خفوت قلق:

_ هوس اسكتي يا بنتي، اهدي شوية.

وعندما لم تجد له أثر في الصلاة، نبأها حدسها إنه
في إحدى الغرف، فجذبت ذراع أميرة للداخل،
وأجلستها بجانبها، والثانية تغمغم في ضيق:

_ هو الفقري هنا! دا أنا عايزة أشرب من دمه!

أخذت أميرة نفس عميق، وأخرجت ما يعتمل
صدرها بزفرة أعمق، وقالت بعاطفة تغلبت على
غضبها:

_ عاملة إيه طمنيكي عليك، الزفت عماد بيعاملك
كويس؟

حزنٌ هائلٌ ذاك الذي ظل من عيناى سهير، وهي
تهز رأسها، قائلة بضحكة مفتعلة:

_ أنا الحمد لله يا أميرة، انتوا كلكم عاملين إيه.

واستدركت قائلة:

_ أنتِ جاية لوحدك؟

نفت أميرة بهزة خفيفة من رأسها، ورددت:

_ لا سعيد وصلني ومنتظرنى تحت.

خفق قلب سهير فجأة، وأشاحت بوجهها وهي
مسبلة الجفنين عمًا في قلبها، وهمست بصوتٍ
خرج خفيض رغمًا عنها:

_ كويس، هو عامل إيه؟

والتفتت إليها متبسمة في تساؤل:

_ بلال وماما وعمرو اخبراهم إيه؟

وأتبعت تقول في حزن، وقد شردتا مقلتيها في

اللاشيء:

_ بلال من لما رجعت لعماد ميكلمنيش.

همّت أميرة بالتفوه بشيءٍ ما، عندما أتاها صوت

عماد البغيض إلى قلبها، قائلاً:

_ ازيك يا أميرة نورتي، أنا خارج يا سهير.

رمقته أميرة شزرًا، دون أن تكلف نفسها عناء
الرد، بينما لم ينتظر هو أي ردٍ منهن فقد خرج
صافقًا الباب وراءه.

التفتت أميرة مرة أخرى إلى سهير، وصاحت في
غضبٍ لم تستطع كبحه:

_ أنتِ بعد اللي عملتيه وعايزة بلال يكلمك؟ أنتِ
إزاي قدرتِ تعلمي كده بجد! مخفتيش على نفسك
من الحيوان عماد ده؟!!

غمغمت سهير في مرارة:

_ كان غصب عني يا أميرة.

اهتاجت أميرة وماجت وصرخة في حدة:

_ غصب عنك إيه لو مخفتيش على نفسك وعلتي
ليها حساب، مجاش في بالك عماد أخوك؟ هان

عليك إزاي تحطيه في موقف زي ده وترجعي
لعماد من وراه؟!!

سكّنت حين رأت عينان سهير تسحان الدمع
بفيضانٍ من الحزن، فلاذت بالسكون لثوانٍ، عندئذٍ
تنهدت أميرة، ثم نهضت وقد ضاقت بها نفسها،
مغممة:

_ أنا همشي يا سهير.

كفكفت سهير دمعها، ونهضت تودعها في هدوء،
وقبل أن تجتاز أميرة الباب، نادتها قائلة:

_ أميرة استني.

فالتفتت أميرة في اهتمام ولم تنبس ببنت شفة،
بينما ضافت سهير بنبرة تمتلأ بالمرارة:

_ أبقى اسألني عليا، متسنيش.

ألمت العبارة بشدة قلب أميرة، ولم تتبس بل ظلت
تنظر في داخل عينيها في صمتٍ حزين، ثم
استدارت مغادرة.

أغلقت سهير الباب، وهرولت تجاه النافذة، وطلت
برأسها للأسفل، تشيع رحيل أميرة وسعيد بعينين
مغروقتين بالدموع، وعندما اختفيا عن أنظارها،
أستدارت متكئة بظهرها على الجدار، وعينيها
غرقتا في نهرٍ من الدمع.

مؤلم أن يرحل عنا الأحباب.. يتركونا بمفردنا
تأهين لا نجد من نلوذ به عندما تطعنا الحياة!
مؤلم أن يغرق فؤادنا بالدموع دون أن نجد شخصاً
واحد يراها، ويمحيها ببسمة مطمئنة، أو بنظرة
دافئة، أو حزن من العينين، أو كلمة!
والأدهى أن يضيع الإنسان عن نفسه، يقف بفراغ
قلبٍ وسط جدران من المفترض إنها مسكنه

فيتأملها ويلتفت على كل أركانها فلا ير إلا غربة
مخيفة تكاد تبطلعه في عتمتها..

والحزن إن استوطن فؤاد المرء لا يزول ببساطة.
وغربة الروح لا يوجد لها مأوى إلا بمن تألفه!
وللدموع حكايات لا تنتهي عسير فهمها لمن لم
يعانيها..

والوحدة قاسية تنهش قلب المرء حتى تذروه
ريشة في مهب الريح.

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد

أنت؟!

هتفت إسراء في دعر، وهي ترى ملامح الزائر،
وظل خوفٍ من منبع ما اقترفه في حقها في

عينيها المتسعيتين، والتصق ظهرها بالباب المغلق
 وهي تزدرد لعابها، عندما انطلقت ضحكته
 المجنونة العالية، تهز قلبها في عنفٍ، وترج
 روحها، وتذك حصون ثباتها دكًا، وانبعث صوته
 في أذنيها كصوت أسدٍ ضاري يهم بابتلاع فريسته:
 _بقا كده تتسجني بتهمة كبيرة زي دي،
 ومتعرفيش حبيبك هشام!

بلغ اتساع عيناى إسرائيل على آخرهما، وراقبت
 بأجفان مرتجفة جلوس هشام البسيوني بكل
 غطرسة على المقعد وفرد ذراعيه على ظهره،
 وبكل تسلط وأريحية، قال:

_إوعي تكوني يا إسرائيل يا حبيبتى شاكة في
 حبيبك هشام، توؤ توؤ هزعل.. هزعل اوي وزعلي
 وحش.

ومال إلى الأمام، وشبك كفيه أمام وجهه، وأتبع
يقول:

ـ عيب إنك تشكي في الشخص اللي عمل منك
نجمة كبيرة يُشار لها بالبنان، وفنانة مشهورة
بيحبها الملايين.

وخبط بكفيه على الطاولة أمامه وهو يهب واقفًا،
حتى جعل جسدها ينتفض وذرفت عينيها الدموع..

وستذرف أوجاعها دمعاً إلى الممات!

لماذا أصبح الجميع يذكرها بماضيها البشع؟!
ذاك الماضي الذي كان يحسدها عليه الجميع كان
جحيماً، وسيظل.

الطرقات تُظهر لنا ظواهر البشر، أمّا البيوت
فيكمن في أعماق البواطن..

ما يخفيه الإنسان..

ويحتفظ به لنفسه..

فلا تحكموا بالظواهر فالظاهر دائماً ما يخفى وجعاً
لا يرى بالعين، ودمعة حزنٍ في خفايا الجوانح
تسكن، وندبة ألم لا تداويها ضحكة مفتعلة وبسمة
زائفة.

همست إسراء بصوتٍ متلثم:

_أني.. أنت عاوز إيه مني؟ جاي ليه؟! مش
خلاص دمرتتي؟ عايز مني إيه تاني؟! سييني في
حالي حرام عليك.

ورده كان ضحكة عالية، ألهبت فؤادها بالأحتقار
الذي تسلل إلى ملامحها وعينيها، ونهض في بطءٍ
متلذذاً ببكاءها وحالتها، وتقدم نحوها حتى كان
قاب قوسين أو أدنى منها، ودس كفيه في جيبيّ
بنطاله زافراً بقسوة رافقة صوته البغيض:

_أسيبك؟! أنت غبية يا بنتي أسيب مين؟

وأولاها ظهره وأردف متابعًا بصوتٍ أجش:
 _ أنا مش هسيبك إلا وأنتِ جثة متحطمة، مش
 هبعد غير لما اتأكد إنك خلاص ميتة، أنا عملتك
 بإيدي نجمة مشهورة وبنفس الأيد هدمرك، وزي
 ما خلّيت عندك جمهور كبير يحبك.

ألّفت إليها وبرقت عيناه بوميضٍ من القسوة،
 وهو يجز على أسنانه، مسترسلًا:

_ هخلي نفس الجمهور يكرهك ولما يفتكروك
 يدعوا عليك.

ومال بوجهه شطر وجهها، وأكمل بهمسٍ
 كالفحيح:

_ أترجتك تتجوزيني ورفضتي، عرضة عليك
 فلوس كتير ورفضتي برضو، وعدتك بنجومية
 هطلعك لسابع سما ورفضتي برضو، وعازية
 تسبيني أنا هشام البسيوني...

قرن قول اسمه بإشارة من سبابته إلى صدره، ثم
دار حولها ووقف بجانبها، متابعاً بهمس خافت
مثير للرعشة:

_عايزة تدي تعبي لغيري وتشتغلي بعيد عني؟! لأ
وكمان نويتي تسيبي التمثيل وبتحبيلي واحد فقير
ملهوش أصل وعايزة تخسريني كل اللي بنيته؟!
وعلا صوته، قائلاً:

_يبقى موتك أفضل.

وفجأة، لان صوته ورمقها طويلاً، ثم اتجه جالساً
على المقعد ووضع قدم على أخرى، وقال:

_حاولت أموتك بالعربية وقومتي من الموت
برضو، دفعت مبلغ هايل لفرد من أفراد التصوير
عشان يقتلك ونجتي من الرصاصة، حاولت أقتلك
أنا بنفسي في شقتك وأوضتك وبرضو معرفتش
كأنك قطة بسبع أرواح.

أخذ هشام نفس عميق، وأتبع:

لَقِيتَ مَفِيشَ فَايِدَةَ فَقَرَرْتُ أَنِي أَحْبَبْتُكَ بِقَضِيَّةِ
تَاخِدي فِيهَا مُؤَبَّدِ.

لم تنبس إسرائاً إلا ببياءٍ حار انشق له قلبها
شطرين، ثم أخيراً رفعت رأسها إليه في هدوء يثير
الدهشة، وغمغت من بين شهقاتٍ متتالية:

أنتِ مش خايف من ربنا؟! اعمل كل اللي تقدر
عليه براحتك ربنا هيجيب ليّ حقي، حسبني الله
ونعم الوكيل فيك.

انتهى اللقاء وعادت إلى الزنزانة، شاردت
النظرات، منتفخة الأجنان، محمرت العينين بلون
أحمر قان من إثر البكاء، ورقدت على فراشها
تضم جسدها بذراعيها، انتفضت من شرودها على
صوت امرأة تقف أمام فراشها وهي تهز قدميها،
متممة بغلظة:

_ صدعتنا عياط ياختي كفاية، إيه مزهقتيش.

اكتفت إسرائء بان رمتها بنظرة سريعة ولم تعيرها
اهتمامًا، بينما نفخت المرأة بضيق، ودارت حول
الفراش وجلست بجانب رأس إسرائء، ومسدت
عليها في رفق، وانبعث صوتها هادئ مشفق وهي
تقول:

_ كفاية عياط يا حبيبتى، العياط مش هيفيدك
بحاجة إلا تعبك، كلنا في الأول بنبقى كده.

وندت عنها ضحكة هازئة مريرة وهي تضيف:

_ وبعدين كلنا بنتعود، بنعتاد الحبسة، وضيق
ارواحنا علينا، وبنرضى بالمكتوب ونحمد ربنا.
هي دي الدنيا يوم ليك ويوم عليك، مستحيل تدي
الواحد كل اللي هو عايزه، مفيش حد خالي من
الهموم كلنا بس بنحاول نتعايش مع وجعنا، وأنتِ
باين عليك مش قد الغم ده.

تفاجئت إسرائء بالمرأة التي كانت آنفاً تعنفها،
تواسيها بكلماتٍ طبطبت على فؤادها، فارتمت في
حضانها وبكت، ربتت المرأه على ظهرها، وهي
تقول بتهيدة:

_ أبكي يا حبيبي في البكاء راحة لقلوبنا من
أوجاع مش بنقدر نفسرها.

وأغروقت عينيها بالدموع، ثم تفاجئت إسرائء بذات
المرأة تدفعها عن حضانها برفق، وهي تهب واقفة،
قائلة:

_ إوعي ياختي كده من وشي هو الواحد ناقص هم.
شيعتها إسرائء بنظراتٍ مندهشة وقد تجمدت
دموعها في عينيها.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد

توالت الأيام بجراحٍ لا تلتئم لا تفتأ تنزف بدماءٍ
تنكسب فيها الأرواح دون عودة.

وأسر الروح في بئرٍ لا قرار له ليس بهين!
الأحزان إن توأملت في السويداء من القلب لا
تغادر وإن فكرت بالرحيل ستترك ندوبًا لا تداويها
الأيام ولا يطمسها النسيان.

الظلام يغشى المكان، في بقعة تسلطه فيها إنارة
من السيارة التي ترجل منها هشام البسيوني بقلقٍ
وهو يتلفت حوله، بعينين تطل منهما الفرع،
وأصابعه تتحسس سلاحٍ متخفيًا في سترة بدلته،
أقترب رجلًا يبدو عليه كبر العمر منه، فبادره
هشام البسيوني صارخًا:

ـ طلبت نتقابل ليه؟

فنطق الرجل بنبرة صارمة لا تضاهي ذلك القلق
التي تطفح على كل خلايا وجهه:

_ محتاج فلوس ولا عايزني أبلغ الشرطة
إنك السبب في حبس إسرائيل؟!!

ضغط هشام على شفته السفلى في غضبٍ، وتميز
غيظًا وهو يشهر سلاحه في وجه الرجل، قائلاً:
_ أنا مبتهددش ولو حد فكر يهدد حياتي اخلص
عليه، ولو بتفكر إنك ممكن تشتغلني يبقى بتحلم،
أحنا اتفقتنا على مبلغ معين وخذته كامل وحذرتك
بس مسمعتش فعشان كده تستاهل الموت.

سحب هشام زناد السلاح، وهم بان يطلق
الرصاص، ودوى صوت رصاصة مع اتسع عينين
الرجل في هلع، واندفعت صرخت هشام مع تطاير
السلاح من يده وانبتق الدم من كفه فراح يصرخ

وهو يلتفت حوله مع ظهور رجال الشرطة في
المكان.

يتبع ...

17_براءة

كان أمر حبس إسرائ شاق على قلب بلال، وظل
برغم إنه شاهد جلسة المحكمة مندهشًا، غير
مستوعبًا لما حدث، وإذ ألمته دموع عينيها وكأنها
تعاتبه عن غيابٍ لم يكن بيده، وأخذت الحسرة من
قلبه كل مبلغ، وبين جنبيه خافق أخذ ينبض بالألم
والمرارة على كل ما يحدث له.

كان عليه أن يثبت براءتها مهما كلفه الأمر.

مهما أخذ من روحه..

وصحته..

وبدنه..

وقلبه..

ولكن أنى السبيل لنجاتها؟! أيّ دربٍ يسلك؟؟

وراح عقله يفكر في حل لتلك المعضلة، كان

يخشى الفشل..

وحق له أن يخشاه..

فشله يعني أن تبقى هي أبد الدهر بين جدران

السجن، أن لا ترى عينيها شمس النهار، ألا

تشرق بسراجها الوهاج في سماءه..

واختلط قلبه بالألم..

وبرزت في عقله فكرة.. فكرة لم يحسب لها

حساب، وإن راح عقله يحيكها بكل جهدٍ وتخطيط

محكم دون ثغرة واحدة قد ينفذ منها الفشل،

ووضعها نصب عينيه فوراً، وذهب إلى الشرطي

الذي يتولى قضية إسراء، وروى له ما يبغى

واستمع إليه الضابط بكل اهتمام، ونال بلال بغيته،
وفي الحال ذهب مجتمعاً بمحمد الشهاوي وندى
وسرد عليهما بغيته، ووضعها ندى قيد التنفيذ،
فقد اجتمعت بالخدم في منزل إسراء.

ورغم إن لا يوجد دليل واحد إن أحدًا من الخدم قام
بهذا الفعل الشنيع ووضع المخدرات في حقيبة
إسراء، إلا أن المحاولة لا ضير منها.

لذا فقد جلست وقد إصطف طاقم الخدم أمامها،
وقالت بنبرة حازمة، صارمة:

المخدرات اللي تحطت في شنطة إسراء مش
هتكون من أي حد غريب من هنا.

صمتت لبرهة راحت خلالها عينيها تدوران في
الوجوه أمامها في تفرس، وأتبعته بحروف
مترية:

_وأنا مش هشك في حد معين ولا هتهم، ولكن
هقول لشرطة إني شاكة فيكم وهما هيتصرفوا، كما
إننا نوينا طردكم جميعًا من الشغل هنا.

تقدمت امرأة خطوتين عن الصف، وهي مجهشة
في البكاء، وتغمغم في رجاء:

_لا يا ست ندى بلاش طرد والله ما عملنا حاجة
ولا نقدر نأدى الست إسراء دا إحنا عايشين في
خيرها.

وتمتم شابٌ آخر دون أن يتحرك من مكانه:

_يا هانم أنتِ كده بتظلمينا.

همّت ندى أن تثور، أن تصرخ في وجوههم
جميعًا، قلبها تتسعر فيه نيرانُ الخوف على
رفيقتها الوحيدة، وروحها تتلظى على جمر القلق،
لكنّ ودون جهدٍ مبذول..

دون عناء..

أتى لها قارب النجاة ليس بعيداً يحتاج إلى أميال
 كي تصل إليه، بل قريباً قرب الوتين من القلب،
 والمهجة من الفؤاد، فقد ألتمعت عينا أكبر الخدم،
 بدمعتين تلالنتين بين الأجفان كنجمتين في ليلة
 حالكة السواد تتضيان في الفضاء، فذهلت وأحست
 بنجاح مخططها وهي تصرخ واثبة في لهفة
 خبئتها في أعماقها:

_وإذا خيركم من خيرها دا جزاتها في الآخر؟!
 إنكم تكونوا سبب في حبسها مدى الحياة! تقدروا
 تقولولي إسراء عاملت فيكم حد وحش ولا مرة؟!
 هل حسستكم في يوم إنكم أقل منها! حد فيكم
 أحتاج لها وردته؟! إزاي قدرتوا تبيوعها للموت
 كده بكل بساطة!

أجهش الرجل أمامها في البكاء بحسرة، فدنت ندى
منه وفي عينيها لهفة لم تحاول إخفاءها، وهي

تردف:

_مالك يا عم مرعي بتبكي ليه؟ عايز تقولي

حاجة!

فنفي الرجل برأسه نافيًا وإن سألت دمعته أكثر

وهو يردد:

_أبدًا يا بنتي توحشنا الأنسة إسراء!

فقطبت ندى جبينها في تعجب، وسألته في شك:

_بس كده؟ متأكد يا عم مرعي!؟

هز الرجل رأسه مؤكدًا، فصرفت ندى باقي الخدم

بإشارة من يدها، وقد تذكرت أمرًا ما انبثق في

رأسها بغتةً كالنور المنقطع عندما يحل فجأة،

وجذبت الرجل من ذراعه حتى أجلسته، وهي

تردد:

تعال أقعد يا عم مرعي.

وبعدما جلست أمامه، سألته في نبرة تخامرها

الشك:

أنا عرفت يا عم مرعي إنك عاوز تسيب الشغل؟!!

برغم أنك محتاج لكل قریش عشان جهاز بنتك،

فمش معقولة فجأة كده عايز تسيبنا؟!!

وتقمصت دور الغاضبة المتيقنة مما تقول، وهي

تنهض لتقترب منه، وتضيف في حدة:

بس أنا فاهمة وعارفة يا عم مرعي أنت ليه

عاوز تسيبنا! لأنك أنت اللي حطيت المخدرات في

شنطة أسراع.

أطل رُعبٍ عظيمٍ في عينٍ مرعي، وسرّت رجفة في
كيانه كله جعلته ينتفض كالمحموم، وهو يغمغم

بارتياع:

_ لا يابنتي لا، لا مش أنا.. أكيد مش أنا.

استشعرت ندى إن الرجل يخفي شيئاً، وظلت
تتفرس فيه النظر بصمتٍ تام، ثم غمغمت بنبرة

قاسية:

_ سوا أنت فعلاً او لأ يا عم مرعي، فأنا هبلغ

الشرطة وتهكون أنت أول المشتبه بهم.

وربتت على كتفه وهي تميل برأسها نحوه، وخفت

صوتها مع قولها الصارم:

_ ومش عايزة أقول عن طرق الشرطة في سحب

اعترافات المجرمين، وأنت راجل على قد حالك

وصحتك في النازل، وعمرك فان مش هتستحمل

اللي هيجراك دا غير عيالك اللي هيبقوا من غير
عائل و...

قاطعها مرعي وهو ينهار على المقعد في بكاءٍ
مرير، ويُردد بدموع الأسي:

_ مكنتش أعرف والله إن الكيس فيه مخدرات.
بريق من الأمل برق في عينين ندى، وبلهفة
غمغت بصوت متهدج من الحماس:

_ هـ.. هشام هو اللي عطاك الكيس...

قاطع مرعي عبارتها، وهو يستطرد في انهيار مع
إيماءات رأسه:

_ ايوا هو، هو اللي أدهولي وعطاني ثلاثين ألف
جنية، وقال لي متجيش سيرة لحد، وإن الكيس
فيه هدية لإسراء عشان عاوز يصلحها.

ازدردت ندى لعابها في تلعم، وغمغت في

خفوت:

يا الله.

ثم ظهر البشر على وجهها الذي هس وبس في
سرور؛ وأسرعت تخبر بلال بالجديد عن طريق
والد إسراء، واجتمعا بالرجل مرعي، وطلبوا منه
يظل يلح على هشام بالمقابلة وأن يهدده إنه
سيخبر الشرطة لو لم يتقابلا.

وقد كان ففي الوقت الحالي، أوقف هشام سيارته
على جانب طريق خالٍ من المبان، وتناول سلاحه
الذي يحتفظ به دائماً في سيارته، ودسه في جيب
سترته في حذر، ثم قبض على مقبض الباب في
تردد وبدت رعشة طفيفة مرتبكة في أنامله قبل أن
يضغط على المقبض ويدفع باب السيارة ويغادرها
في ثباتٍ واهٍ زائف، ويذرد لعابه في حنق، ورفع

بصره إلى السماء الصافية التي تضيء فيها عيون
 النجوم، والهلال الغير مكتمل، ثم أغلق باب
 السيارة، وقد ترك ضوء مصابيحها الأمامية
 مشتعلة، ووقف أمامها ثابتٍ وهو يراقب مرعي
 يقبل نحوه بخطواتٍ سريعة، تند منها الخوف، ساد
 الصمت لحظة، انتفخت خلالها أوداج هشام وهو
 يوهم نفسه بأنه الطرف القوي الذي لا يهاب شيئاً،
 وقال في حِدَّة:

_ عايز إيه يا مرعي، مش أنا اللي أتهدد ولا
 يخوفني كلب زيك، فلوسك وخذتها بزيادة كمان،
 عايز إيه تاني.

أجابه مرعي في خشونة تواري خوفاً عظيم في
 صدره:

_ اتفاق إيه اللي بتقول عليه ده، أنت خلتني مجرم
من غير ما عرف واستخدمتني عشان تحط
المخدرات لـ إسرائيل.

توتر هشام وهو يغمغم مرتبًا:

_ مخدرات إيه أنت هتتبلي عليّ وعايز تدبسنني
التهمة وخلص؟!!

هز مرعي رأسه نفيًا، قائلاً:

_ أنت بتكذب نفسك ولا بتكذبي يا أستاذ هشام؟! أنا
شبه عارف ومتأكد إنك ورا الموضوع.

تبسم هشام بسمة شيطانية، وقال:

_ وهو كذلك ايوة أنا اللي ورا الموضوع، شخص
حقير زيك يقدر يعمل إيه يعني؟! أخرك كام قرش
وتخرس وتتكتم..

هم مرعي أن يقول شيئاً، ولكنه تراجع في آخر لحظة، وأطبق شفثيه في ارتجاف عندما هتف هشام في شراسة:

بس انا عارف إن اللي زيك مايشبعش، وإني لو اديتك اللي أنت عايزه دلوقتي، هتطمع تاني وهتطلب تاني وتهددني كل شوية؛ لذا مش خسارة فيك الرصاصة دي...

قال أواخر حروف عبارته مقرونة وهو يستل سلاحه من جيب سترته الداخلي، ويجذب إبرته في هدوء ويصوب فوهته في وجه مرعي، الذي شهق فاغراً فاه، واتسع عينيه وهو يتراجع خطوتين في ارتياح ودب الخوف..

كل الخوف في ثنايا جسده..

وضغط هشام زناد السلاح، وانطلقت الرصاصة لكنها لم تطلق جهة مرعي، بل عاليًا في السماء

في آخر لحظة عندما قبضت يد قوية على مرفق
هشام ورفعت ذراعه عاليًا.

تسمر هشام عاليًا وهو ينظر لضابط الشرطة، الذي
يقول:

والله ووقعت يا هشام يا بسيوني ومحدث سمي
عليك.

دارت عينا هشام في ارتياح على رجال الشرطة
الذين انتشروا في المكان ومن بينهم بلال ومحمد
الشهاوي، وصرخ ملتاغًا:

إيه اللي بيحصل ده! دي دي خطة.. خطة عشان
يوقعوني ويدخلوني السجن.

أخرج الضابط الأصفاد وأرجحها أمام وجه هشام
وهو يقول:

عندنا اعتراف كامل بصوتك يا بسيوني.

وجذبه الضابط لاويًا ذراعه وراء ظهره، وضم
الأخرى وقيده بالأصفاد وهو يدفعه تجاه احد
الجنود، قائلاً في صرامة:
_هاته على البوكس يا بني.

﴿ إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ﴾

بقلبٍ متلهف يخامرهُ القلق والترقب والخوف
وقفت إسرائاً في قفص الإتهام تراقب محامي
الدفاع وهو يقدم المستندات والأدلة، ويسأل العم
مرعي الشاهد الوحيد على براءتها، فيطوف
بصرها تارة على القاضي وتارة على المحامي
ويطيل النظر على وجه بلال بمحبة.

وانتظرت.. انتظرت طويلاً حتى نطق القاضي
 ببراءتها وإخلاء سبيلها، وبكت كأنما لم تبك يوماً
 وهي تخر ساجدةً لله، كلمة واحدة فقط نطقتها
 وهي (حسبي الله ونعم الوكيل) أودعت أمرها على
 الله وحده، وكلته أمرها، فكان لها خير حسيب ولم
 يرد يديها خالية الوفاض بل باستجابة كانت لها
 طوق النجاة من بحرٍ من الظلمات، وضجت القاعة
 بالفرحة والحماس، وركضت ندى تجاه القفص
 والدموع تلمع من عينيها، هاتفة:

__ سمعتي يا إسراء خلاص، كل المعاناة دي انتهت
 مفيش سجن تاني.

وسال دمعها ممزوج بدمعات إسراء وهي تضم
 أناملها من بين فتحات القفص الحديدية، وتغمغم:
 __ الحمد لله الحمد لله يا رب، ربنا نجاني يا ندى.

واتجه أביها إليها ما إن خرجت وضمها بحضنٍ
حنون كان لأول مرة تتذوقه إسرائ، وقبل جبهتها
ببسة حنونة، وهتف بصوتٍ مهديج:

حمد الله على السلامة يا بنتي الحمد لله.

لم تجب إسرائ، بل رفعت بصرها في لهفة شطر
بلال الذي تقدم منهم واقفاً في صمت.

أمكن أن يعيش الإنسان صمت من يجب.

أن تبض كل نبضة بلهفة ما أن تقع العينان عليه!
وتصمت الروح ذاك الصمت الذي يجعلها تحلق في
جنة الحب، تلاقت أعينهما في سكون تام، وتبسم
بلال بسمة تألقت كضياء الفجر عندما يتنفس،
وقال:

مبارك البراءة.

وهمت أن تجيبه، لكنه استدرك في هدوء بنبرة
ذات مغزى:

عقبال مُباركة ثانية!

وأدركت إسراء المعنى من قوله، وتضرج وجهها
بحمرة الخجل، ورددت في حياء:

الله يبارك فيك.

ألقت محمد إلى بلال، وصافحه في شغف، وقال
بنبرة مبتهجة وهو يشد على يديه:

**بنتي خرجت من السجن بفضلك يا بني، صدقتني
مش عارف أشكرك إزاي؟ ولا أوفي فضلك، ولكن
شكرًا.. شكرًا يا بني من قلبي على كل اللي عملته.**

رد عليه بلال بشبه ابتسامة لاحت على ثغره
واندثرت سريعًا:

العفو، معملتش غير الواجب.

وحد بصره جهة إسراء، وهو يهمس لنفسه:

_ الواجب تجاه قلبي وبس.

رفع بصره إلى محمد الشهاوي عندما أردف يقول:

_ هسنتى الموعد اللي كلمت عليه إسراء قبل ما

يحصل كل ده في اي وقت أنت تحدده.

ملئت السعادة قلب إسراء وطففت على وجهها الذي

تهللت اسيره، وشعت في عينيها، وهي تمسك

بانامل ندى وتبادلا نظرات الفرح، بينما بلال يقول

في هدوء:

_ انهاردة، انهاردة الساعة تمانية بالليل، ينفع؟!!

صمت والد إسراء متفاجئاً من سرعة بلال لكنه لم

يلبث إن ابتسم وهو يغمغم:

_ ينفع طبعاً، هسنتاك.

قالها، وهم يعبرون قاعة المحكمة، وينزلون
 درجاتها في بظء، وقبل أن يدخلوا سيارة بلال،
 استدارو جميعًا إلى ضجة أحدثت بغتة من
 وراءهم، كانت سببها أفراد من الصحافة
 والإعلاميين الذين اجتمعوا حول هشام البسيوني
 الذي يطوقونه رجال الشرطة، ويسوقونه تجاه
 سيارة من سياراتهم، وأطل غضب هائل من عيناى
 محمد الشهاوى، وهو يتوجه نحو هشام بينما
 توترت إسراء وهي تنقل بصرها في حيرة بين
 ندى وبلال، ورصدت ندى تسلل يد محمد تتحسس
 مسدس يكمن في جيب بنطاله، فاتسعت عيناها
 هلعًا، وهتفت في لوعة وهي تستدير إلى بلال
 هاتفة:

بلال إالحق عمى محمد فى مسدس فى جيبه،
 إالحق قبل ما يشوفه حد.

بدون تردد ركض بلال وقد لاحظ السلاح الذي
يتلمسه محمد في بطنه وهو يحاول المرور من بين
رجال الصحافة، وقد نجح في التسلل من بينهم،
ومال على أذن هشام، هامسًا:

إنك تتسجن زي ما سجنت بنتي دا مش كفاية،
أنا لازم أخلص عليك زي ما خلصت عليها ومش
هيهمني لو هاخذ إعدام بعد كده.

كانت خطة لم يفكر لها، ولم يعمل لها حسابًا، لكنه
ما كاد يبصر هشام حتى استحوذ الشيطان على
عقله بتلك النية الشريرة، ووضعها قيد التنفيذ
فورًا دون أن يفكر في أية عواقب.

بسمة هازئة مستفزة رُسمت ببراعة على زاوية فم
هشام وهو يردد:

_بلاش تحلم بموتي كتير يا شهاوي عشان هخرج
قريب والمرّة دي مش هدمر بنتك بس لأ هتكون
وأنت كمان والواد اللي بتحبه.

يتبع ...

رأيكم، وتوقعاتكم.

وهل ممكن محمد الشهاوي أن يقتل هشام
البيسيوني؟

#والتقينا

#ندى_ممدوح

18_زواج

أبى القلب إلا أن يراها قريبة

كأن رضاها مُزنةً تتحدر

(محمود شاكر)

قبل قراءة الفصل في قارئه عزيزة على قلبي لها
ابن عمه مريض أدعوا له بالشفاء لعل منكم من
هو أقرب إلى الله منا ودثروه فيها (اللهم إني
أسألك إني أشهد إنك أنت الله الشافي الواحد الأحد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن
تشفيه وتعفو عنه وتجعل كل ألم مغفرة لكل ذنب،
ورفعة في الدرجات ومحبة وقربة، اللهم إنك أقرب

إليه منا تعلم ألمه ولا نعلم فخفف عنه وأتمم
شفاؤه يا ذا الجلال والأكرام)

ينال المرء دوماً حصاد ما يجنيه، سواء كان خيراً
أم شراً، ورب العالمين ليس بظالم للعبيد، لكل منا
يوم يجد فيه بذور ما زرعه.

(لا بقا أنت ناوي على موتك الليلة دي!)

صرخ بها شابٌ نحيل البدن، بائن الطول، وسط
زنزانة السجن على وجنتيه تكمن ندوبٌ عميقة
وخدوش توحى إلى أنه (بلطجي) يبحث عن
المتاعب ويتوغل فيها غير عابئٍ بنفسه، التي لم
تعد إلا حبيسة بين قبضان من الحديد، وجدران

ميتة، فأثر الشغب عله يجد فيها ما يجعله يشعر
إنه لا يزل حيًا والفرق بينه وبين الميت هو نفسٌ
يتردد في صدره الذي يضيق به.

وتراجع هشام البسيوني مرتعشًا، مرتجفًا، واجف
القلب، وبفمٍ ينتفض ردد في زعر:

موتي، أنت عايز تموتني يا فرج!

وصرخ بصوتٍ مرتفع وهو يهرول تجاه باب
الزنزانة الحديدي ويدق عليه بقبضتيه:

يا شاويش أنتوا ياللي هنا حد يلحقتي.

تتاهى إليه ضحكة فرج الهادئة، فأستدار إليه ودب
الرعب في قلبه وهو يجده يقترب منه، والتصق
بالباب وهو يحدق فيه في ارتياح، بينما الآخر
يجذبه من ملابسه، زاجرًا:

_بقولك إيه بلا مخرج بلا يحزنوه، أنت هنا واحد
ملهوش لا أصل ولا فصل زيك زينا ف يلا يا حبيبي
هات الأتاوة اللي عليك وإلا تبات على الأرض
انهارده.

ودفعه بقسوة على الأرض، فسقط هشام على
وجهه، ورفع رأسه إلى الشاب وقد شحب وجهه،
وقال في ضعف:

_أنا معيش اتاوة، بس، بس عندي أكل أكل يلا
جاي خده.. خده كله.

ارتسمت على وجه الشاب بسمة شرسة مأكرة،
وهو يلتقط حقيبة الطعام ويجلس على طرف
الفراش، فوق رأس هشام، وفض الطعام وأخذ
يأكل، وهو يقول:

_طيب، من انهاردة كل لبسي أنت اللي هتغسله،
والسرير تتضفه كل يوم لأ كل يوم إيه؟! كل ما
اقعد عليه واقوم.

وصمت مبتلعًا ما بفمه، ووضع قطعة أخرى من
لحم الدجاج راح يلکها في تِلذذ، ويقول:
_امم، إلا صحيح يا هشام أنت على كده عندك
فلوس كتير!؟

أجابه هشام وهو يقوم من سقوطه، ويقلب كفيه:
_متعدش. معايا كتير ومستعد اديك اللي أنت
عايزه.

تبسم الشاب وهو يقف قبالتة وقد ترك الطعام من
يده، وقال وهو يطوق كتفه ويسير به داخل
الزنزانة:

_كده تبقى حبيبي يا أبو الهشاشيم.

ردد هشام في ازدراء:

أبو الهشاشيم؟!

ضرب الشاب على كتفه مقهقهًا، وقال:

بدلحك يا جدع إيه مدلحكش دا إحنا هنبقى حبايب.

ودفعه من قفاه نحو فراشه، وهو يقول:

_يلا بقا يا حبيبي نضف ليّ السرير عايز أريح

جددتي حبتين._

ودار هشام رأسه الساقط على الفراش إلى الشاب

الذي أطلت من عينيه شبح الشقى..

وأيام العذاب..

وما جناه..

والتائر على كل جرائمه..

وما اقترفه يمينه..

وعن ظلمه وتجبره..

الأيام دارت وباتت عليه وليست له..

كان يتجبر ويظلم ويقسو كيفما يشاء وها هو ذا

يُسقى مما اقترف.

يظنُّ الظالم إن في إمهاله نجاة وقد نسي إن الله

عدلٌ يحبُّ العدل، فيتناسى إن الله مطلع عليه

ويغض عينا القلب ويتجبر كما يحلو له، ويكون

في امهاله تدبر وحكمة عظيمة من الله عز وجل

فإن الله يمهل ولا يهمل.

﴿ربي اغفر لي﴾

طوبي لمن تمر عليه سعادة القلب، ويخطف من
السماء نجمة تظل تضيء عمت الفؤاد، وينسى
من خلالها كل مر خامر الأعماق، ويا حسرتاه على
من بقى حبيس الذكرى فيتعذب بنار لا تنطفيء.
غمرتها الفرحة دون أن تشوبها أي شائبة، فنست
كل لحظة حزن زارت أعماقها، نست..

من هي..

ومن كانت تكون..

كأنما وُلدت من جديد، بعمرٍ جديد، وروحٍ جديدة،
مع من أحبته فصار منها كما الوتين، أو مهجة
القلب، كأنها فراشة ذات عمرٍ قصيرٍ اختزنت
لذاتها فرحة وأكتفت بما جنت.

كانت تقف إسرائاً أمام المرأة في حجرتها، تتمايل
بفستانٍ أبيض اللون ذا حزام ذهبي عند الخصر،
وخمار بلون الزهر، وتتمتم في توتر:

_ يا ندى، حاسة إن في حاجة غلط.

فشوحت ندى بكفها في ضجر، وهي تقول:

_ ما بس بقا يا بنتي إيه الغلط والله قمر، حطي بقا

مكياج.

ف استدارت إسرائء في حدة، هاتفة في حنق

واستنكار:

_ مكياج؟! مكياج إيه اللي احطه لأ طبعًا هكون

على طبيعتي انهارده.

فزفرت ندى بعصبية، قائلة:

_ اللي أنت عايزه بقا اعلميه.. هخرج أشوف كل

حاجة برا تمام ولا في حاجة ناقصة.

أجابتها إسرائء بإماعة من رأسها، فخرجت ندى

مغلقة الباب وراءها، ورُسمت بسمه عذبة على

ثغر إسرائء، وهي تجلس أمام المرأة في شرود في

جل ما مرت به، ومر أمام عينيها يوم جلسة النطق
 بالحكم، وأغرقت عينيها بالدموع من تلك الذكرى
 الأليمة، واسترجعت عندما حاول والدها قتل هشام
 البسيوني ولقد كان يفلح لولا وجود بلال الذي
 لحق به في اللحظة الأخيرة وقبض على يده
 الممسكة بالسلاح وأعادته في غمده وسحبه بعيداً..

يا الله كم تحبه؟!!

بلال ليس مجرد اسم او شخص في حياتها..

أنه نور انبثق فجأة في ليلة من ليالي الدادي ف

أضاء سماء قلبها بنور الأيمان..

نعم، نوره لم يكن مجرد نور، لقد جاء بنور

الإيمان الذي أعاد تشكيل حياتها من جديد..

ليتها تستطيع إعادة قطار الحياة، فتنزل في كل

محطة مرة أخرى وتطمس كل حياتها بممحاة تزيل

كل أثر أصبح عالق كالحنظل في كل خطوة

تخطوها في الطريق إلى الله، هي لست ملاك ولن
تكون لكنها ستجاهد كي تفقه في الدين، حتى تكون
من الصالحات، القانتات، ورغم إنها لا تزل لا تعي
شيئاً في امور دينها إلا إنها ألتزمت بأحكام
الخطبة، فلم تحدثه، ولم تجلس معه بمفردها، وها
هي الآن ستُقرن له، سيُعقد قرائهما وستنتمي
إليه، يا لهف قلبها

ما أجمل أن ينال المرء ما يتمنى

ما كان يبغيه

ويرجوه

خرجت من غرفتها عندما أخبرتها ندى إن المأذون
قد أتى، خفق قلبها، وتراقص بين ضلوعها في
سعادة ولهفة ما أن وقعت عينيها على بلال،
وجلست بجانب والدها في حياء، بعدما رحبت
بوالدته وقبلت رأسها، لم يلبث خجلها أن تلاشى

والمأذون يعنهما زوجٌ وزوجة، واستقبلت وابل
التهاني بسرورٍ ظهر جلياً على ملامحها، وشعت
بها عينيها المتوهجتين.

انفض عنها المهنئين، ورأت بلال يقترب منها في
رصانة، فزين ثغرها ببسمة خجلة، وأسبلت
الأجفان، وخفق قلبها في عنفٍ حتى أحست إنه
سيغادر قفصها الصدري ويترك مكانه ليس خالياً،
بل مليئاً بحب ذاك الذي وقف قبالتها ماداً كفه
بمصافحه ودودة، ولسانه يهمس في خفوت:

مُبارك.

فتصافحاً..

وكانت أول لمسة في الحلال..

وأول عناق للأصابع..

وأول ضمة للعينين..

وأول خفقة تمتزج بالراحة بقرب المحبوب..

تعلق بصر كل منهما بالأخر فصمت، ولا تزل

راحته تضم كفها الرقيق في حنان، وتسالت

أصابعه تتحسس أناملها في حنوٍ.

(لا، لا متسرحوش كده عشان مش هسيبكم تتهنو

لوحكم في يوم زي ده.)

قالت هذه العبارة أميرة، وهي تضم كلا منهما

بذراعيها ضاحكة، فنفض بلال ذراعها عنه وهو

يقول في حنق:

_إوعي يا بت كده.

فعبست أميرة وهي تلتفت إلى إسراء مغممة في

حزنٍ مصتنع:

_أنتِ هتسيبيه يقولي بنت كده عادي؟! هو أنا

مليش اسم؟.

ضحكت إسرائ في رقة و عذوبة، بينما بلال يقول:

_ مضايقة إني بقولك يا بت؟! ليه شايفة نفسك واد

ولا حاجة؟!!

زمت أميرة شفتيها وهي تلكزه بمرفقها وقد

جهمت المحيا، وحوّلت بصرها إلى سهير،

صائحة:

_ عاجبك كده؟! هسكت بس عشان انهارده كتب

كتابه والمسامح كريم.

فغمغم بلال:

_ على أساس البنت كريمة أوي يعني.

ورمق إسرائ بنظرة سريعة وهو يضيف:

_ أنا هاخذ إسرائ ونخرج؛ فيلا عشان أوصلكم.

ولكن ومع إصرار محمد الشهاوي على البقاء حتى

تناول العشاء أذعن بلال وترك أفراد عائلته

ليوصلها سعيد، واستأذن ليأخذ إسراء ويخرجها،
ووافق أبيها دون أدنى اعتراض.

(ها حابة تروحي فين؟)

تساءل بلال وهو يقود السيارة، فدارت إسراء
رأسها إليه قائلة دون تفكير:

_ على الكورنيش!

قطب بلال حاجبيه وسألها متعجباً في استنكار:

_ الكورنيش؟

ف أومأت إسراء برأسها، وقالت متبسمة في رقة:

_ آه عايزة أروح هناك.

وأتبعت تقول في حياء وهي مطرقة الرأس:

_ من يوم ما عرفتك ونفسي أوي أروح معاك

هناك.

تبسم بلال ولم ينبس ببنتِ شفة، وغشاهما الصمت
 طول الطريق، حتى أوقف سيارته في المكان
 المنشود، وترجل في هدوء ودار حولها فاتحاً
 الباب لـ إسراء التي غادرتها بدورها في توتر
 ملحوظ، وسارت بجانبه في صمت، لم يكن أيّاً
 منهما يدرّ ما يقول!

وإن قال، فكيف يبدأ؟

ورافقهما الصمت طول المسير بمحازة سور
 (النهر) إلا من تحركات بلال حولها فإذ مر شاب
 من جوارها لف حولها ليسير من جهته، أو
 احاطها بذراعه وهذه الحركات البسيطة كانت
 كفيلاً بجعلها تغرد كعصور تحرر من قفصه..
 بجعلها تشعر إنه تميمة تحاوط أحبتها..
 أو كوكباً يدور حول أفلاكه..

وصلت إلى انفها رائحة الذرة المشوية، فالتفتت
إليه، قائلة:

_بلال، عايزة أكل ذرة.

رفع بلال إحدى حاجبيه مندهشًا، وردد:

_ذرة! بس كده؟

اومات في صمت، فذهب لبيتاع لهما كوزين من
الذرة ويعود إليها، جالسًا على حافة السور، بينما
ظلت هي واقفة، وشردت ببصرها وفكرها على
صفحة المياه الراكدة، وأتمعت الدموع بغتة في
عينيها، وقالت بنبرة كأنما تخرج من أعماق تائها
دفيئة:

_تعرف يا بلال...

نظر إليها بلال في انتباه وهو يأخذ قضمًا من
حبيبات الذرة ويلوكها في فمه مضيئًا عينيه في

تساؤل، ف أردفت في هدوء وهي تقلب كوز الذرة
دون وعي:

_ دلوقتي بس حسيت إني عايشة فعلاً، صدقتي
الفلوس الكثير والعُرى دا مكنش ولا حاجة قصاد
سعادتي دلوقتي وراحتي..

قاطعها بلال قائلاً في إنفعال:

_ مش عاوز اسمع اي حاجة عن حياتك اللي فاتت
كله ماضي وتنسى فبلاش تتكلمي ف اللي فات
أحسن.

هزت إسراء رأسها وتقابلت عيناها الدامعتين
بعيناه وهي تهمس في صوتٍ شبه باك:

_ الماضي عشان يتنسى لازم ذكريات تمحيه،
وعشان اعمل ذكريات جديدة لازم اتكلم، لازم اطلع
اللي جوايا.

أشاح بلال بصره عنها، وأصغ سمعه، وهي

تضيف:

الكل بيحسدني على كل اللي كنت فيه من مال
وشهرة ونجومية، مفكريني كنت عايشة فعلاً..

صمتت تهز رأسها بضعفٍ وهي تستأنف:

أنا فعلاً كنت عايشاها عارف شعور إن تكون نجم
كاميرات حواليك في كل مكان، الناس متحلمش
إنها تشوفك إلا في التلفزيون، الكل محتاج موعد
ومعجزة عشان يقابلك؟! دا شعور بيخلي الإنسان
بيحس بالكبر والزهو.

ولت ظهرها للبحر واسندت ظهرها على السور،
وهي تدفن وجهها بين كفيها متابعة:

إنك بتلبس أغلى لبس وأحسن لبس وافضل
خامات وأسوء أقمشة وكله عادي اللبس
المكشوف عادي، الشعر المكشوف عادي،

خروجات إلى أعلى وافخم الأماكن، سفر لأي حنة
 عادي ما هي فلوس، كله كان بيحسدني على ده،
 بيقلوا يا بختها عايشة حياتها ومعها فلوس كثير
 تقدر تعمل اللي هي عايزه، كله بيحسدني إني
 بضحك ومبسوطة مفكرين من قلبي بس لأ..

شهقت فجأة لكنها لم تسكت، بل أكملت في حرقه:

_ لو يعرفوا شعور الراحة والسعادة اللي أنا
 حاسهم دلوقتي مكنش حد حسدني على اللي عشته
 زمان، لو يعرفوا معنى لذة السجود كانوا حسدونني
 عليها، لو يعرفوا معنى الحب الحقيقي مكنش حد
 أهتم بجمع الفلوس وفضل طمعه عاميه، أنا معاك
 عرفت يعني إيه حياة؟! يعني إيه أمان وحب
 واحتواء؟! يعني إيه حد يخاف عليّ ويقول ده
 صح وده غلط حد يوعيني..

كتمت شهقاتها وكلماتها عندما وجدت قبضته
الحانية تجذبها من ذراعيها ويضمها إلى صدره
في حنان، ثم أبعدا مثلما جبهتها بعاطفة، وضم
وجهها بين راحتيه، وهو يهمس:

— أنسي إسراء الممثلة، أنتِ دلوقتي واحدة تانية،
إسراء اللي زيها زي اي حد من حقها تحب
وتتحب من غير ما حد يكون مراقب خطواتها، من
غير ما تصحى كل يوم وتلاقي الجرايد والصحف
والمجلات بتكتب عنها، أنتِ دلوقتي مراتي وبس.
لم تكن واعية لما يقوله كانت مذهولة من قربه،
وبينما هي مطرقة الرأس، قالت وهي تسبل جفنيها
وتضم كفيه براحتيها:

— أنا خلاص نسيتهها ومش هفتكرها تاني، هفتكر
بس إني إسراء مرات بلال أنا.. أنا معاك بتعامل

بتلقائية غريبة لدرجة اوقات يبقى مستغربة نفسي
ممكن عشان بحبك.

تبسم بلال من تصريحها، ثم راعه إنها ابتعدت في
عنف، تفرّ منه باحثةً بعينيها عن شيء لم يعرف
كنها لثوانٍ حتى قالت:

_ هي الدرة بتاعتي فين؟!_

فتعالت ضحكاته في مرح، وهو يناوله لها، قائلاً:

_ اهو محدش خده، لما تحبي تهربي مني مرة
تانية أبقى دوري على حاجة تقنع..

وضحك مجددًا بضحكاتٍ امتزجت بضحكاتها
الخبلة، خيم عليهما الصمت مليًا، بددته إسراء
وهي تقول في تذكر عابس:

_ بلال، أنت ليه كنت بتقول عليّ إني بلوة..

وتذكرت يوم إن قال لها (لإنك بلاء مش بيسيب
صاحبه) فرددتها على مسامعه وهي تغمغم في

حَنَق:

_أنا بلاء بالنسبة لك يا بلال!؟!

أستدار لها بلال برأسه فلانت ملامحها العابسة مع
نظراته الثاقبة المتمعنة، وقال وهو يلتقط كفيها في

راحتيه بحنو:

_إن كان لكل ابتلاء عوض زيك فيا مرحبًا بكل
الابتلاءات.

﴿أستغفر الله العظيم وأتوب إليه﴾

استندت عايدة على يد أميرة وهي تغادر بيت
الشهاوي، ولحقت بهمن سهير وهي تبحث عن

عماد الذي لم تجد له أثرًا في أيِّ مكان، وشيعهما
 محمد وندى إلى أسفل البناية، تلفتت سهير حولها
 في المكان حتى لمحته يقف مع مدحت قريب
 إسراء ورب عمل زوجها، فتقدمت منهما وقبل أن
 تصل تنهى لها قول مدحت في حدة غاضبة:

_ دا آخر كلام عندي يا عماد، فلوسي اللي سرقتها
 ترجع لي والنهاردة قبل بكرة واحمد ربنا إني
 مبلغتش عنك، ولا فضحتك قدام اهل مراتك احترامًا
 لـ إسراء بس واهل بلال اللي مشفناش منهم إلا كل
 خير ... كان ممكن ادليك اللي أنت عايزه واكثر..
 وصرخ وهو يتميز غضبًا:

_ لكن تسرق فلوسي اللي أمانتك عليها لأ، أنا
 ممكن أسامح في أي حاجة إلا السرقة، وبعدين دا
 انا مكبرك ومخليك دراعي اليمين وعليتك وسط

العمال وخليت ليك كلمة وأديتك راتب يفوق راتبك
الحقيقي وفي الآخر ده جزاتي؟!!

شحب وجه عماد، وظل متسمراً لا يقو حتى على
التفوه بحرفٍ واحد، وشهقت سهير وهي تكتم
فمها، وهمست لنفسها بصدمة، وقد سال دمعها
على وجهها في غزارة:

_ سرقة؟! كان بيسرق كان بياكلني من فلوس
حرام؟! كلت من فلوس حرام يا سهير، دا انت
اخوك كان بيشتغل ويقد ويشقى ليل نهار عشان
يأكلك لقمة حلال في الآخر تدوقي مال حرام.

وادركت خطأها

كان يجب أن تستمع لرفض اخيها..

ليتها لم توافق على تلك الزيجة..

ليتها لم تعود له...

هذا جزاء تشبثها بمن لا يستحق..

ولم تصدق إنها تناولت طعاماً من مالٍ مسروق،
وإن امعاءها تتلظى على نار الندم والحسرة، ليتها
تستطيع تقيؤ كل ما دخل في جوفها.

أحست بالدنيا تميدُ بها، وإن ظلامَ حالك قد أكتنفها
من رأسها حتى أخص قدميها، وإن الحياة بكل
اتساعها لم تعد تسع لها، ولا تريدها، كأنما نبذتها،
هذا هو قرارها قرار الخوف من الناس، قرار كلمة
عنوسة، قرار اودى بحياتها إلى الجحيم.. جحيم
عماد.. جحيم الزل، والمال الحرام.

ما أقسى أن يبكي قلب المرء، فهو بكاء لا يرى ولا
يمحى كبكاء العينين..

ما اسوء أن يندم المرء على عمرٍ أنقضى وهو لا
يزل صريع القرار، هاوياً من جرفٍ هار فانهار به
في مكب الآلام.

ليت الندوب تتدمل..

ليتها تُطمس ولا يكن لها أثرًا كالثقب الفارغ في

سويداء الفؤاد.

عادت إلى منزلها وقد سقط في يدها، شاردة الفكر

والبصر كتمثال يحركه أحد كيفما يشاء، وبلغها

نحنحت عماد التي بدت لها كبركانٍ مخيف عجزت

عن النجاة منه، فطالها ناره، ثم سمعته يقول

بصوته البغيض المتهدج:

أ.. اومال مالك يا سهير حاسك مش فرحانة، فيك

إيه؟!!

فأستدارت له وعلى ثغرها شبح بسمه متهكمة،

وقالت في سخرية:

فيّ إيه؟! أنت بتسأل؟! أنا إزاي كنت غبية كده

ورضيت اعيش مع واحد زيك..

بتر عماد حديثها عندما قبض على مرفقها في
 قسوة وهم أن تنفرجا شفتيه عن عبارة ما، لكنها
 لم تتح له الفرصة، وهي ثقلت ذراعها منه
 متقهقرة للخلف، وهتفت في ثورة من الغضب:
 _إياك إياك تتكلم أو تفتح بك مبقتش أطيق سماع
 صوتك خالص، بقيت بكرهك وبكره صوتك وبكره
 اليوم اللي وافقت فيه عليك.

ربتت على قلبها كأنها تواسي نفسها، تطبطب
 عليه كي يقف عن البكاء، أن تزول عنه الحسرة،
 وتابعت في مرارة:

_كانت غلظتي أنا اللي وقفت في وش اخويا
 وأصريت على واحد زيك، انا استاهل أنا اللي
 وحشة وفكرته مش عايز يفرح بيا طلع كان اكثر
 واحد خايف عليّ حتى اكثر من نفسي.

اقترب عماد منها مذهولاً، لكنها أوقفته بإشارة من
كفها، وصرخت:

_متقربش، متقربش—ش، بتسرق بتاكلني حرام
طيب أنت رديت على نفسك تاكل حرام ومخوفتش
من ربنا أنا ذنبي إيه؟! ذنب ابنك اللي في بطني
إيه؟! أنت بتحط راسك على المخدة وتنام هادي
البال إزاي؟! طب ضميرك إيه مبيعذبكش؟!
معندكش قلب؟! طيب أنت اكيد كنت خايف حد
يشوفك ويعرف كنت خايف صح..

صمتت مسبلة جفنيها فسكبت عينيها دموعاً
كالأنهار الجارية، وهزت رأسها وهي تجيب نفسها
في مرارة:

اكيد كنت خايف...

وراحت تعد على أصابعها في عصبية مفرطة:

كنت خائف من صاحب الشغل، خائف حد من
 الشغاليين معاك يعرفوا، خائف من كلام الناس أنت
 مكسوف لناس تعرف؟! طيب مش مكسوف من
 ربنا؟! استخبيت وداريت سرقتك عن الناس كلها
 طب وربنا خبيت عليه إزاي؟! وهو شايفك وعارف
 أنت بتعمل إيه دا بصير يا شيخ مخوفتش من
 الحساب؟! مخوفتش النار.

تائه، ضائع، ذائع العينين، شاحب الوجه هكذا كان
 عماد وهو يقف أمامها ممتقع الوجه، وانفجارها
 كان عظيم الأثر في نفسه، فراح يصرخ وهو يسد
 أذنيه:

اسكتي اسكتي متتكلميش.

ثم دفعها دون وعي بذراعيه في الحائط، فسقطت
 سهير أسفل قدميه كجثة ميتة، ورأى بقعة من الدم
 تتشكل أسفلها، فردد باسمها في همس خافت وهو

يتراجع نحو باب الشقة مصعوقًا، مصدومًا، ثم
ولى مسرعًا وغادر الشقة ركضًا، تاركًا إياها.

19_ فراق

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنت عبدك
وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من
شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي
فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد
اللهم أشف مرضانا ومرضى المسلمين.

(الحمد لله إنك بخير، قلبي كان هيوقف يا بت من
الخوف عليك)

رفرفت سُهير بأهدابها وهي تحرك رأسها بتأوه
شديد من ألمٍ حاد في رأسها، وفتحت أجفانها في
وهنٍ حتى أعتادت الضوء، وتسلل صوت أميرة
بهذه العبارة مخترقًا أذنيها، فدارت بصرها
شَطرها، ورددت في ضعف:

_أميرة أنتِ هنا؟! أنا فين؟! إيه اللي حصل!
وتزاحمت في مخيلتها صور عديدة متلاحقة.

صورة كتب كتاب أخيها بلال، وما تلى ذلك من
أنباءٍ هدمت ما تبقى من ثباتها، شجارها مع عماد
ودفعه لها بقسوة نحو الحائط، لقد كان آخر شيء
سمعته صوت ارتطامها بالأرض وخطوات آتية
عدوًا وأخرى تفرّ، ثم أحست بيدين تحملانها
برفق، وصوتٌ رجولي يقول:

_سهير متخافيش هتبقي بخير.

لقد كان صوت سعيد تدرّك ذلك، لأنها عندئذٍ تركت
ذاتها لدوامة من الظلام المخيف تحيق بها
وأغمضت عينيها في أمان.

أجابتها أميرة بشفقة وهي تمسح على رأسها
بحنان:

أنتِ هنا في المستشفى يا سُهير، جبتك أنا
وسعيد.

وأستدرّكت تقول بتوضيح:

كنتِ نسيّتي شنطتك معايا وجيت ارجعها لك،
فلقينا عماد خارج يجري من الشقة، ولما كلمناه
مردش ولا حتى التفت لينا، ودخلنا لقيناك مُغمي
عليك.

وسكّنت وأرتج عليها، فلم تدرِ ماذا تقول! وكيف
تخبرها بفقدان طفلها؟!!

لكنها حسمت أمرها بعد تردد، لتخبرها بالطامة
الكبرى وهي تزدرد لعابها في قلق:

سُهير أنتِ أجهضتي...

صمتت عن الاسترسال مع تلك النظرة الملتاعة من
عينين سهير، فلاذت بالصمت، وحدثت فيها بتحفز
لأي نوبة أنفجار، لكن راعها أن أغضت سهير
عينها، وسمات الراحة أرتسمت على ملامحها
ولسانها يهمس:

الحمد لله، اللهم لك الحمد.

فُتح الباب في عنف، وبرز بلال وهو يهتف:

مال سهير يا أميرة.

همّت أميرة أن تجيبه، لكن سبقتها سهير التي
أعدلت وهي تنفجر باكية، مرددة باسمه، فاندفع
إليها وجلس بجانبها آخذًا إياها في حضنه، بينما

دلفت إسراء إلى الحجرة وقد أطل من عينيها حزنٍ

هائل لحال سهير، تتم بلال وهو لا يزل يضم

سهير إليه ويربت على رأسها في حنو:

_ ارجعي أنتِ يا أميرة مع سعيد عشان ماما

وعمرو في البيت لوحدهم، ووصلوا إسراء في

طريقكم.

رفضت أميرة قائلة:

_ لا طبعًا أنا مش هسيبها.

فغمغم بلال بنبرة صارمة:

_ اعملي اللي بقولك عليه بدون كلام لو سمحتي.

زمت أميرة حاجبيها، وجهمت المحيا وخرجت

غاضبة دون أن تتبس ببنت شفة، بينما دنت منه

إسراء ووضعت كفها على كتفه، وهي تتمتم في

خفوت:

_ هجيلكم الصبح بدري، لو احتجتم حاجة كلموني.

او ما لها بلال برأسه إيجابًا، وقال:

_ تمام، تصبحي على خير.

استمع إلى إغلاق الباب، فأبعد سهير قليلًا،

وتساءل في نبرة مهددة:

_ أنتِ لسه باقية عليه؟!!

هزت سهير بضعف رأسها، وتمتمت:

_ لأ، طلقني منه يا بلال..

استقام بلال واقفًا، وهو يقول:

_ هطلقك.

رقدت سهير على ظهرها وهي تتنفس الصُعداء،

وتنبهت لطرق على الباب، تلاه دخول الممرضة،

وهي تقول في هدوء:

_ موعد الحقنة.

تنح بلال جانبًا وراقبها وهي تغرس إبرة المحقن
 في وعاء (الجلوكوز)، ودفعت المادة التي كان
 يحويها المحقن، ثم أستدارت مغادرة، فأستدار بلال
 ناظرًا عبر النافذة المفتوح إحدى ضلفتيها متأملًا
 صفحة السماء في شرود، وقد استقرت كلاتا يديه
 في جيبَي بنطاله، تنبه من سرحانه على صوت
 سهير شديد الخفوت، وهي تقول:

__بلال، أنت زعلان مني؟!!

فأجابها، وهو لا يزل على شروده في صفحة
 السماء:

__مفيش حد بيزعل من نفسه يا سهير، اطمني
 عمر قلبي ما يزعل منك.

وانتزع يديه وهو يستدير إليها متبسمًا، وقال
 بمشاكسة:

بس دا ميمنعش إنك محتاجة ضربة على دماغك
تفوقك، وتعرفك إن كلمة أخوك وخوفه عليك دايمًا
على حق، وإن الأخ مهما تغلط أخته هيفضل
عُكازها، وسندها، والأمان، الأخ سكن يا سهير.
ظل ثغر سهير بسمة عذبة، وأغمضت عينيها،
مستسلمة للنوم الذي داعب جفنيها، واستحوذ على
كل خلية من خلاياها.

في اليوم التالي، خرج بلال لدفع مصاريف
المستشفى، وبينما هو يعبر الرواق الذي به غرفة
أخته، توقف على صوتٍ جاء من وراءه يصيحُ في
لهفة:

بلال.

ف استدار وما كاد يرى المنادي حتى تهلت
أسايره، وهتف بعينين يطلُّ منهما الفرح:

_ محمود!

وتعانقا في أشتياق واضح، وبلال يسأل في اهتمام:

_ إيه يا بني رجعت أمتي؟! والله وليك وحشة يا

جدع كده الغربية تبعك عنا كل ده.

فغمغم محمود باسم الثغر:

_ الحياة يا صاحبي، بس أنا خلاص صفيت كل

حساباتي وهستقر هنا..

قاطع بلال متسائلاً بقلق:

_ أنت بتعمل إيه في المستشفى؟

زفر محمود بضيق، وقال عابسًا:

_ الحج تعبان شوية، وأنت هنا ليه؟!

أجابه بلال:

_ وأنا سهير تعبانة شوية، طب يلا هروح معاك

اطمن عليه.

سار محمود بجانبه، وهو يسأله في اهتمام شديد:

_ بلال، أنت بتشتغل بشهادتك؟

ضحك بلال بخفة، وهو يقول:

_ الشهادات دي للزينة بس غالبًا يا بني، لأ.

فتبسم محمود ورد عليه وقد ارتسمت ملامح

الارتياح على وجهه:

_ لا للزينة ولا حاجة دلوقتي تشتغل لحد ما تزهرق،

لينا قاعدة برا المستشفى طبعًا.

كان محمود من ذاك النوع من الشباب أولئك الذين

لا يهدأ لهم بال حتى ينالوا مبتغاهم، وقد كافح

ليسافر ويسعى ويشقى وها هو ذا يعود باحلامٍ

ستكون نُصب العينين، مكلة بالنجاح.

(تأخرت كده ليه؟)

سألت سهير بلال ما أن عاد إلى حجرتها، فرد
عليها وصوته يقطر فرحًا:

_ قابلت محمود، والده محجوز هنا.

ضيقت سهير عينيه، وهي تغمغم في حيرة:

_ محمود! هو مش مسافر؟!!

تمتم بلال في هدوء وهو يساعدها في جمع

حاجياتها:

_ ورجع، وهيستقر هنا خلاص مش هيسافر تاني،

كفاية الغربة وحشة وهو تعب جامد لحد ما وصل

للي وصله.

ثم صحبها إلى خارج المستشفى، حيث استقبلتها

والدتها بلهفة، وبوابل من القبلات، ونهرين من

الدمع، وقد ذهبت نفسها عليها حشراتٍ.

❁ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين



(قطع السلطة حلو يا عمرو، يا بني قطعها
قطع صغيرة)

صرخ بهذه العبارة بلال، وهو يقرب الإناء الذي
يحوي الطعام على الشعلة المشتعلة أمامه، فألقى
عمرو من يده السكين وهو يهتف متذمرًا:
_بتزعق ليه يا عم أنت، ما أنا بقطع حلو اهو؟!
ومط شفتيه في ضيقِ بين، فدفعه بلال برفق، وهو
يقول في صرامة:

_طب كمل يا خويا، يلا.

تابع عمرو تقطيع الخضروات، وتتحنح في توتر،
قبل أن يقول في صوتٍ خفيض:

_ بلال، هي سهير خلاص مش هترجع تاني لعماد

وهتفضل معانا هنا؟!!

سأله بلال مراو غًا:

_ أنت عايزها ترجع ولا إيه؟

جهم عمرو المحيا، وظهر الإشمئزاز على وجهه،

وهو يهتف مستكراً:

_ ترجع؟! لا طبعًا انا اصلاً مش بحب عماد ده.

التفت بلال برأسه غامزًا، وهو يقول:

_ ومش هترجع خلاص كلها بكرة وهتطلق منه.

ثم اردف يقول وهو يشير إليه قائلاً:

_ يلا قوم رص الأطباق وقعد ماما.

اوما عمرو برأسه إيجابًا، وهو يهب واقفًا، وهرول

تجاه أمة وأمسك كفها مقبلًا إياه بكل ود، وهو

يقول بصوتٍ رخيم:

يلا تعالي يا ماما عشان تاكلي جهزنا الفطار.

كفت أمه عن ترديد الصلاة على النبي ﷺ، وهي

تقبل جبهته وتقف وهي تستند عليه، بينما هو

يسندها بكل رفق حتى أجلسها في حنان، وقرب

منها الأطباق، وناولها الخبز في يدها، قائلاً:

كلي يا ماما لحد ما أجيب ميه.

ف أجابه بلال وهو يجلس بجانبها:

روح أنت وملكش دعوة.

قالها بمرحٍ وبدأ في إطعام والدته، وقد كان لا

يضع لقمة في فمه قبل أن تشبع هي، لا يكل ولا

يمل من إطعامها بيديه، كانت راحتها هي كل

راحتة وسعادته، سألته أمه في اهتمام وهي تبتلع

ما بقمها:

_البنات اتاخروا كده ليه يا بني!

أجابها بلال وهو يدفع في فمها لقمة أخرى برفق:

_متقلقيش عليهم يا ماما دلوقتي يجوا.

ومضى بمخيلته يوم بحثه عن عماد حتى وجده
 يجلس في إحدى المقاهي يحتسي كوبًا من الشاي
 بكل برود أعصاب كأنه لم يتسبب في إجهاض
 زوجته ونقلها إلى المستشفى، بل وينفت دخان تبغٍ
 قابع بين إصبعيه في هدوءٍ عجيب، فتراقصت
 شياطين الغضب امام عينيه وهو ينقض عليه لكمًا
 وركلاً بثورةٍ من الغضب الذي لم يعهده فيه، وقد
 توقع إن يأبى عماد تطليق اخته لكن راعه
 إستسلامه وموافقته السريعة، وقد تم ووافقا على
 الطلاق وحددا يومًا له.

﴿اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد﴾

مضت الأيام على سهير معتمة، لقد خرجت من
 جحيم لتواجه جحيم آخر (جحيم المطلقات) حيث لم
 تدعها أسنة الناس، ولم يكفون عن إلقاء
 الإشاعات عنها، لكنها هذه المرة لم تهتم، لم تلقي
 بالأقوالهم، وذرتهم يتقوّلون كيفما شاؤوا، ما
 هي إلا أيامٌ وتمضي، اليوم ها هي هنا في قاموس
 الأحياء وغداً مهما طال ستكون من جملة الأموات.

لذا، فلا الدنيا ولا الناس سيشغلناها بعد الآن!
 كانت تسير في النادي برفقة زوجة أخيها إسراء
 التي كانت لها الفضل الكبير في نبذ حالة الحزن
 والأكتئاب التي سيطرت عليها عنها، ربما قد
 تسلت بين شغاف قلبها هموم لا مناص منها.
 (أنتِ هتفضلي انهاردة اليوم كله سرحانة كده يا

سهير!)

قالتها إسرائء بإشفاق وهي تبصر حالة سهير،
فتتجلى في عينين سهير نظرة حزينة، وبصوت
يقطر همًا، قالت بنبرة شبه شاردة:

_ غالبًا اتكتب عليّ الحزن يا إسرائء!

وتتهدت وهي تسترسل في حديثٍ يفطر القلب:

_ اتجوزت عشان اهرب من كلمة عانس، فلحقتني
كلمة المطلقة! المطلقة اللي انظار الاتهام عليها
في كل خطوة تخطيها برا بيتها! الناس بتاخذ من
المظاهر وتتكلم، ميههمش جوانا إيه، ولا بواطن
البيوت فيها إيه؟!!

قالت إسرائء، وهي تلف ساعدها على كتفها:

_ يا بنتي فكك بقا من الناس، لو فضلنا عمرنا كله
شيلين همهم مش هنجتاز مشاكلنا أبدًا، ارميهم
وارمي كلامهم وراء ضهرك كأنهم مش موجودين.

ثم ضحكت بخفة، قائلة:

_وبعدين دول مسافة ما عرفوا إنك هتطلقى
ومبطلوش كلام، رغم إن لسه الطلاق متمش
رسمي، متشيلش ولا تشغلي بالك بحد.

ثم جلسا على إحدى الطاولات، وضمت إسرائء كفها
في راحتيتها، وأردفت بنبرة حانية:

_أنا متأكدة يا سهير إن ربنا هيعوضك، هيرزقك
بزوج ينسبك عماد وينسبك كل مرارة حزن تسربت
لقلبك.. وبعدين إحنا نبدأ نحفظ قرآن سواء، وتيجي
معايا المعهد اللي بحفظ فيه.

رمقتها سهير بنظرة حزينة، قبل أن تبتمس شبه
ابتسامة هادئة، وتلوذ بالصمت دون أن تعلق.

🌸 اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد 🌸

طرق خفيفاً على الباب، جعل بلال يهب واقفاً،
ويفتح مستقبلاً أخته ببسمة مشاكسة، قبل أن
تدلف إسراء سد الطريق عليها بذراعيه وجسده،
وهو يغمغم:

_كتكوتي رايحة فين من غير ما تسلّم عليّ...
قاطعته إسراء متهجمة المحيا، وقد اتسعت عينيها
دهشة، وهي تردد في ذهول:

_كتكوتك؟!!!
وهتفت باستنكار:
_إيه كتكوتك دي؟

رفع بلال حاجبيه، وهو يقول في دهشة:
_إيه ده يا كتكوتة مش عجبك دلع كتكوتي؟!
غمغمت إسراء وهي تدب قدميها في الأرض:

_تاني يقولي كتكوتة! يعني بالله عليك ملقتش أي

دلع غير كتكوتة؟! ليه خلصت الأسماء كلها..

أقولك شكرًا مش عايزة منك أي دلع خالص..

ماله اسمي؟ زي العسل!

أطلق بلال ضحكة عذبة مرحة، وقال:

_يا بنتي ما أنتِ اللي شبه الكتاكيت كده، إيه ذنبي

أنا!

تبسّمت إسرائ في رقة، وقالت له بصوتٍ رقيق:

_تعرف يا بلال كنت مسمياك إيه لما شوفتك أول

مرة؟!!

تأجج الفضول بداخله، ودنا بوجهه من وجهها،

وهو يسألها في شغف:

_إيه يا كتكوتي؟!!

تلاشت بسمة إسرائ وهي تدفعه من كتفه، قائلة:

_بلال المتوحش!

ومالت لتمر من أسفل ذراعه، بينما هو يصيح:

_متوحش؟! أنا متوحش؟! وحش أما يلهفك يا

شيخة.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد

جالسٌ على حافة الشرفة، تتدلى إحدى قدميه،

بينما الأخرى مثنيه أمامه غائب الفكر مهموم

البال، منشغل القلب، يسند رأسه إلى الوراء، وقد

أسبل جفنيه عن حزنٍ عميق لم يعرف كيف

يواريه، فأطبق جفنيه عساهما تفعلان.

ولدن الباب وقفت أميرة، تراقب أخيها سعيد بهم

يجثم على صدرها، وبحزنٍ طغى واستحوذ على

قلبها، وبقدمين مثقلتين تقدمت إليه، ووضعت كفها
على كتفه في هدوء، وقالت بعطف:

_ هتفضل كده لحد أمتي؟!!

واستدارت تواجهه، وهي تسأله سؤالٍ مبهم:

_ أمتي ناوي تاخذ خطوة!

زفر سعيد بضيق وتحاشى النظر إليها، بينما تابعت
هي بتهيدة:

_ يا سعيد، هي ضاعت منك مرة، متسبهاش تضيع
من أيدك تاني.

فغمغم سعيد بنبرة، يقطر منها الأسي:

_ مش أنا اللي بضيعها يا أميرة، هي اللي مش ليا!
فمينفمش امسك في حاجة مش ليا، مينفمش
أحبها.

زمت أميرة شفتيها، واكفهر وجهها، وهي تقول

بحنق:

_ مينف عش إيه يا بابا؟! مش معنى إن أنا وبلال
اخوات في الرضاعة يبقى مينف عش تحبها مين قال
كده؟ وبعدين أنت سألت في الموضوع؟! بتفتي

وخلص!

هب سعيد واقفاً، وغادر الحجرة، وهو يقول

بضيق:

_ بس بقا يا أميرة انا مش ناقصك، مش

هتفهميني!.

شيخته أميرة بنظراتٍ ضيقة، ثم أخذت نفس

عميق، وهي تتمتم:

_ بس انا ناقصني فرحتك يا سعيد، ولمعت الراحة
في عينك، وهسال واعرف حرام ولا لأ، وبإذن الله

لأ.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد

تم الطلاق في هدوءٍ عجيب، وبموافقةِ كلا
الطرفين، وغادر المأذون، وقام عماد من مقعده
وهو يخرج ظرفاً من جيبه، ألقاه على الطاولة،
وأشار برأسه نحو بلال، وهو يقول:
_أنا عارف إنني مكنتش الزوج اللي تتمناه لأختك،
بس قُلت اعمل معروف معاك، واطهر لك حقيقة
البت اللي ناوي تتجوزها قبل ما يفوت الأوان.
تناول بلال الظرف وهو يهب واقفاً ويقذفه في
وجهه، صائحاً:

_البت اللي بتتكلم عنها تبقى مراتي دلوقتي،
أمشي اطلع برا بيتي بدل ما اخذ روحك..

بسمة لئيمة برزت على زاوية ثغر عماد، وهو
يقول قبل ان يستدير منصرفًا:

أنا ماشي فعلاً، وهسيب لك الظرف لما تشوف
اللي جواه هتدعيلي، سلام.
وبينما هو يعبر الباب ألتقت عيناه بعينين سهير،
فتوقف ساكنًا لوهلة، ثم أخفض عيناه واطرق
برأسه وأسرع في خطواته للخارج، كالجندي الذي
عاد من حربه خاسرًا منكسرًا.

وربتت أميرة على سهير التي ضمتها باكية،
وغمغت:

خلاص يا سهير اتخلصتي منه على خير يا حبيبة
قلبي، كان غلطة وراحت المهم نتعلم من تجاربنا
ونختار صح بعد كده.

فض بلال الظرف، فبصر بداخله صورًا، أسرع
يخرجها ورآها واحدة تلو الأخرى وقد تكرر

وجهه، وخُيل إليه إن قلبه قد توقف عن النبض،
لقد كانت الصور تحوى زوجته وشاباً بصورٍ
فادحة، طعنته بسهمٍ مسموم في صميم القلب، وقد
زال السهم ولم يزل أثره، فقد سرى السم في
أوردته.

وجلس وقد شل جسده برمته، دلفت في تلك الأثناء
إسراء وهي تهتف:

__بلال، مالك مطلعتش ليه لحد الآن بتعمل إيه؟!
وهالها مرآه بهذه الحالة البائسة، وقد اِكْتَحَلَ
وَجْهُهُ بِالْهَمِّ، وامتقع لونه، فهرولت إليه في هلع،
وهي تردد:

__بلال، مالك في إيه؟ إيه اللي حصل! إيه اللي في
ايدك ده!

همّت أن تلتقط من بين يديه الصور، لولا إن
إنفض على إثر لمستته كمن لدغته حية، فتقهقرت

للخلف مصعوقة، وهب واقفًا، وقد اشتعل الغضب
في صدره، وأطلت من عينيه نظرة قاسية جعلت
قشعريرة تسري في جسدها، وألقى الصور في
وجهها وهو يهدر:

بتستغفليني؟! بتستغفليني يا إسراء وعاملة فيها
الشريفة؟!!

لم تقوّ على الرد وإن طفقت دموع عينها تترى،
بينهما هو يتابع باحتقار:

بس أنا اللي غلطان، هستنى إيه من وحدة زيك
كل حياتها شمال؟!!

أطرقت برأسها تنظر إلى الصور التي جعلته بتلك
الحالة التي لم تتلقاها منه يومًا واتسعت عينها
حتى بلغت الذروة، وهي تميل تجمعهم واحدة تلو
الأخرى، وقلبتهم امام عينها، وهي تقول وعينها
تهطلان:

_ الصور دي جبتها إزاي؟! صدقتي مش زي ما
انت فاهم، هفهمك كل حاجة؟!!

لكنه حدجها بنظرة قاسية، وقال وقد قسى صوته:

_ الصور دي حقيقية ولا لأ؟!!

فنهت، وخرج صوتها متهدجًا من البكاء:

_ اسمعني عشان تفهم...

فقاطعها صارخًا وهو يضرب الطاولة بقبضته:

_ بقولك الصور دي حقيقة ولا لأ هو سؤال واحد
وجوبيني.

فسكتت تسكب دمعها، وتعالا نحيبها، وهي تهز
رأسها بالإيجاب ببطء، فكست وجهه حمرة قانية
من شدة الغضب، ورمقها بنظرة إزدراء وهو يقول
بصوتٍ بدا لها كأنما يأتي من مكانٍ سحيق:

_ أنتِ طالق مش عايز أشوف وشك تاني.

بعض الكلمات لأشد ألمًا من طلقات الرصاص،
بعضها يلتصق في خلد المرء فلا يكاد يبرحه، كمن
أصابه مسٌّ من الجن شرعت إسراء تهز رأسها
مرارًا وتكرارًا، وهمست بصوتٍ خفيضٍ متشنج
من إثر البكاء:

لأ، لا يا بلال متظلمنيش، أنت عمرك ما كنت
ظالم بلاش تظلمني أنا.
هتف بلال في سُخرية:

أنا اللي ظالم؟! متقلقيش مش أنا.
وغادر الحجرة في خطوات سريعة، كأنها تعدو،
وهو يقول لأختيه الآتين تقفان عند الباب
ملتاعتين:

عاوز ارجع من برا متكنش موجودة.

كادت سهير أن تمسك بكتفه وهي تناديه في لوعة
 لكنه ازال كفها في حدة وخرج صافقاً باب البيت
 ورائه، فأسرعت هي وأميرة نحو إسرائ التي
 أنغمست في بكاءٍ يشطر القلب وقد ضمت جسدها
 بذراعيه، فلاذت بهن قائلة:

_ أنا مظلومة والله، هو مرديش يسمعي ليه؟!
 ضمتها سهير إلى صدرها بشفقة، وربتت على
 ظهرها وهي تقول:

_ هيهدي ويسمك يا إسرائ، بس كفاية عياط...
 هتفت إسرائ بشهقات متتالية تدمي القلب:

_ دا طلقني يا سهير، طلقني من غير ما يسمعي
 هقول إيه؟! حكم عليّ من قبل ما يعرف الحقيقة.
 تمتت سهير في عطف:

_ هيهدي ويسمعك ويردك يا إسراء، استتية لما
يرجع واتكلمي معاه.

صوح صوت عايذة وهي تقبل من الصالة مستتدة
على عمرو، تقول في نبرات قاسية:

_ تستنى إيه؟! لا كفاية كسرة ابني لحد هنا
الجوازة دي انا مش عايزها، ولا هي البت اللي
اتمناها لابني، الحمد لله جت من عند ربنا احمدك
يارب.

شهقت إسراء في صدمة، ثم ركضت من أمامهن
منصرفة..

لقد انتهى كل شيء، دون أن يبدأ.

ستفارقه حيناً من الدهر..

أو ربما الدهر كله..

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد

ترجلت ندى من سيارتها بعد ما توقفت بها على
جانب الطريق، وعبرت مدخل البناية التي تقطن
فيها إسراء، متهيأ للخروج معها لشراء بعد
مستلزمات الأخرى، وهي على يقين إنها قد عادت
من منزل بلال، وارتقت درجات الدرج في هواده
وهي منشغلة في هاتفها، ثم توقفت أمام الشقة
المنشودة، ومدت كفها لترن الجرس فتسمر كل ما
فيها وقد تناهى لها، صوت الشهاوي، يهتف في
فرح:

جدع يا عماد، جميلك ده مش هنسأه طول

عمري.

اطلق ضحكة ظافرة، ثم أتبع يقول:

_ هحولاك في أقرب وقت باقى المبلغ اللى اتفقتنا
عليه.

ثم استدرىك في اهتمام:

_ بس أنت متأكد إنه هيشوف الصور؟!!

ثم سمعت تنهيدة ارتياح ندت عنه قبل أن يقول:

_ طيب طيب تمام، كل حاجة هتبان دلوقتي لما

تيجي، أنا متأكد إنه هيطلقها ويبعد عنها وكده

ابقى عملت اللى عليّ، يلا سلام.

فعلت أن الشهاوي يضم شيئاً ويحيكه..

شيئاً سيدمر رفيقتها..

وهي لن تسكت..

لن تجلس عاجزة تشاهد انهيار تلك العلاقة..

فطرقت الباب في عنف، وما كاد يفتح وتقع عيناها

عليه، حتى هتفت به في ثورة من الغضب:

_ أنت ناوي على إيه؟!!

فتلاشت بسمته التي كانت في استقبالها، ودمدم

مرتبًا:

_ تقصدي إيه؟!!

فتجاوزت عن الرد على سؤاله، وأفصحت بحدّة:

_ أنا سمعت كل كلمة قولتها، وهروح حالًا ابغ

إسراء، مش هسمح لك تدمرها، أنت اب إزاي

بجد؟!!

فقبض بقسوة على ذراعها، وهو يهددها زاجرًا:

_ ابقي فكري عملها كده وهبعدها عنك ليوم الدين

ومش هتشوفي وشها تاني، أنا بعمل كل ده

لمصلحتها، أنتِ مفكرة إني هقبل بشاب فقير تعيش

معاه في غلب طول العمر؟! بعد ما كانت بتاكل

الشهد، وعائشة في السما، وطلباتها اوامر بتتفد
في غمضة عين؟!!

انتشلت ندى ذراعها منه بكل قوتها، واستدعت
ثباتها الواهي، وهي تدافع عن صديقتها بكل
بسالة:

_يبقي متعرفش بنتك يا محمد يا شهاوي، لو مفكر
أنك لو بعدتها عن بلال فهترجع للتمثيل يبقي
بتحلم، إسراء مسبتش التمثيل والشهرة والغنا
عشان بلال، إسراء فاقت لنفسها وسبتهم لله
وحدة، أقولك حاجة كمان?!!

سكتت تلتقط أنفاسها وتتفرس فيه النظر، فرمقها
بنظرة ثاقبة وهي تستطرد:

_كل قرش كان في حساب بنتك خدته من التمثيل
تبرعت بيه لدار أيتام.

وكانت الطّامة الكبرى لجشع محمد الشهاوي، إذ
 جحظتا عينيه، وفغر فاه في ذهولٍ، وردد في
 ارتياح:

مش ممكن أنت بتقولي إيه؟!

فاومات ندى ببطاء، ثم اولته ظهرها، وهي تُردد
 بغلظة:

_زي ما سمعت، رايحة الحق اللي عايز تنهيه.
 وأسرعت تهبط الدرج على عجل، ولحق بها محمد
 الشهاوي، صارخًا:

_استنى يا ندى، بلاش تقوليها أي حاجة، إسراء
 لو عرفت هتكرهني.. بلاش تهدي كل اللي بينيه
 عشانها..

لكنها لم تلتفت إليه وهي تعبر بوابة البناية،
 وأخذت تعدو نحو سيارتها، وفتحت بابها وكادت

أن تجلس وراء عجلة القيادة، لولا أن صك أذنيها
صوت صرير سيارة مسرعة، وصرخة عالية بأنينٍ
مخيف كأن شخصٍ يحتضر، ثم دويٌّ هائل صم
اذنيها لأرتطام جسدٍ بالأرض، فأخرجت النصف
الآخر من جسدها وهي تشهق، وما أن ابصرت
محمد الشهاوي مُلقي أرضاً بين بركة من الدماء،
وسيارة تقف على مقربة منه، راح سائقها يغادرها
في رعب، صرخت وهي تعدو نحوه:
عمي محمد

يتبع...



20_ فراق قلبان

أهيمُ .. وقلبي هائم .. وحُشاشتي
 تهيمُ .. فهل يبقى الشقيُّ المبعثر؟
 وهل يهتدي غاوٍ أضاع حياته
 بحيث يضيعُ الطامح المتجبر؟
 وهل تسكن الدنيا ويسكن صرفها
 ويسكن هذا النابض المتفجر؟
 وهل تُطفئ الأيَّامُ نيرانَ ظلمها
 وتطفأ نارٌ في دمي تتسعر؟

[أ. محمود شاكر]

تأتي على المرء لحظة، يكون فيها على شيءٍ
 حالك السواد في وجهه، هائمًا في الطرقات يبحث

عن ضالته فما يجد إلا وحوش الهم في انتظاره،
فيولي مدبرًا يفر بقلبه منها، لكنها تلاحقه ولا تهدأ
حتى تستقر في السويداء من قلبه، فتحيل حياته
جحيماً.

لم يصدق بلال إنها قد خدعته وهو الذي قدم لها
قلبه مطمئناً، وأسبغ عليها بكل حنان قلبه ولم
يبخل، قدم لها قلبه فإذا بها تعيده حزينا، كئيباً،
فارغاً..

أو إنها أعادته!

هل عاد قلبه إليه حقاً، أم بقي معها؟!!

لم يدر كيف خانتها بكل تلك البساطة، أم كانت
الخيانة من طبعها وهو الذي ران على قلبه
العمى؟!!

كان ينهب الطرقات بسيارته دون هدى، لم يهتدي
لسبيل يؤويه إلا بيت الله، فأوقف سيارته أمام
المسجد، وغادرها بقلبٍ مثقل بالهموم التي جعلت
قلبه يشيخ، في تلك الأثناء كانت إسراء تسيرُ
وسط السائرين، وفي زحامٍ من الناس، تبكي حباً
لم تناله، وتبكي قلباً ينزف من ندبة ستظل باكية
إلى آخر رمق في جوفها، ليت الدموع ترحمنا..

ليتها تدرك إنها تجعلنا نعاني..

مؤسف أن يهيم المرء بين الناس باكيًا، بقلب
يرفرق كالذبيح، وروح تهيم دون أن يجد من
يواسي، كادت أن تدلف إلى بنياتها، لولا ذاك
التجمهر الذي جذب عينيها إليه كالمغناطيس،
فكففت دمعها سريعًا، وأقبلت نحو الملاء بقلب
يخفق بالرعب، وقد أنبأها حدسها إن شيئًا سيء
سيكون من نصيبها، لا تدري لما قدميها كانتا
تسيران ببطء شديد، وأنسلت بين الناس، وهي
تشرأب برأسها، وفي هلع اتسعت عينيها أول ما
وجدت أبيها هو ضحية هذا التجمهر، فأطلقت
صرخة شقت قلبها إلى نصفين وهي تهرع إليه،
حتى تم اسعافه سريعًا، وجلست هي ورفيقتها أمام
حجرة العمليات باكيتين، ثم فجأة ضمتها ندى
وتعالا نحيب الإثنتين يبكي الصم الصلاب، ويدهمي
اعتى القلوب، تكالبت نوابب الدهر عليها بلا
هوادة..

بلا رحمة..

أو شفقة..

وهي ذات قلب هش..

ينوء من أي طامة تعتريه..

والأدهى إنها أضحت وحيدة، بقدر اتساع الحياة
بمن فيها..

فلا ضير إذا من البكاء عساه يخفف من أهات
نفسها..

ومن بين شهقاتٍ متتالية، وبصوتٍ مبجوح،
همست بألم يشوبه حزين دفين:

_بلال طلقني يا ندى..

ثم أبتعدت عنها ناظرة إلى عينيها مباشرةً، وأتبع
بصوت يفلق الحجر:

_فأكرة آخر فيلم صورته مع الممثل (علي
الصاوي)، وقتها أنا لما فوقت لنفسي مكملتش
تصويره، وفسخت العقد، بعض المشاهد اللي كانت
مصورة فيها منتشرتش طبعًا بس معرفش إزاي
بعض صور المشاهد دي وصلت لبلال وطلقني.
سكتت تنتحب وتشهق بقلبٍ يحتضر، ثم أردفت
تقول:

_بلال... طلقني من غير ما يسمعي ومن غير ما
اوضح له، وقالي مش عايز أشوف وشك تاني،
بلال اتخلي عني يا ندى.

دفت وجهها ورفات فوادها بين كفيها، تواري
دمعًا بات يرهق نفسها، ويقتل روحها، تداري حبا
لم تأخذ منه إلا الشقاء والعذاب، والدموع.

أحتضنتها ندى، وقالت بعينان تذر فان:

_هوني على قلبك يا إسراء بلال هيهدي ويرجع
لك، وعمي محمد هيخف.

لكنها قالت وهي تتشبث بها، وتغرز أظافرها في
ملابسها، كمن ينهش في أحزانه عليها تغادر:

_ليه كل ده بيحصل معايا يا ندى، أنا مش وحشة
للدرجة دي، كل اللي اتمنيته من ربنا حياة هادية
سعيدة، بس ليه بيحسلي كل ده، انا مبقتش قادرة
اتحمل، حاسة إن قلبي هيوقف من الوجد ده، لو
بابا حصل له حاجة انا هموت، انا عارفة إن هو
مش الأب الكويس بس دا أبويا ومليش غيره.

ربتت ندى على ظهرها، وشدت من عناقها، وهي
توازيها بكاءً.

كم ودت لو كان بلال بجانبها في تلك الجائحة، لو
يطمئن قلبها ببسمة من محياها، لكن أنى لها به
الآن؟!!

رحم الله قلبٍ بالدموع بات ينبض..
أعان الله كل مبتلى بداءِ القلوب..
انطفأ سراج قلبها فما عاد له نور..
فرحمة الله على قلبها حتى يهدأ..
رحمة الله على دمعٍ يتنزل بلا مرفأ يضمه..

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد

ماذا لو كانت الحياة متوقفة على كلمة طيب،
ونجاة إنسان؟

ماذا يحدث لو توقف النبض عن الحياة، ويعود
القلب خافقاً من جديد بعودة أحدهم؟!!

في بعض الأحيان يقف الزمن حين من الدهر عند
لحظة لا يعود شيء بعدها كما كان؛ قد يفقد فيها

المرء نفسه ولا يجدها،؛ لأنها تتخبط في سُبُل
الحياة؛ بحثًا عن من سرق منها الروح!

ثمة ذكريات تُحينا إن غاب عنا رُفقاءها! وأشتاق
لهم كل مكانٍ مروا به!

مضت أسابيع دون أيِّ جديد يذكر في حالة أبيها،
ودون أيِّ خبر من ذاك الحبيب الغائب، ويا مرارة
النفس في غيابه!

وفي لحظةٍ ما، تجدد الأمل بداخلها، والممرضة
تخبرها سريعًا:

_والد حضرتك فاق يا استاذة إسرائء!

وأطلت اللففة من عينيها وهي تهرع نحوها،
ممسكة بكتفيها، وبثغرٍ افتر عن بسمه اشرفت من
ينابيع أحزانها، غمغت:

_بجد بتتكلمي جد بابا فاق؟ طب هو كويس!؟

وأختنقت العبرات في عينيها، والممرضة تهز
رأسها إيجابًا مفصحة في هدوء:

_تقدري تشوفيه، ولكن د. عصام طالبك في مكتبه
الأول.

وإستدارت إسرائء تسيرُ في الرواق المفضي إلى
مكتب الطبيب، وطرقت بابه في هدوء، حتى أتاها
صوته بإذن الدخول، وجلست أمامه على المكتب،
وتلقت منه نبأ إصابة أبيها بالشلل، لكن ذلك لم
يفتر من عزيمتها، ولم يكدر فرحتها بعودته لها
بخير، وتطلعت إلى أبيها الذي رقد في فراش
صغير، في حجرة العناية المركزة، وقد غاصت في
أوردته إبر المحاليل، واستقر فوق أنفه وفمه قناع
الأكسجين، وبدا على وجهه الشاحب الإعياء
الشديد، وهو ينظر إليها بعينين شبه مغلقتين،
فلاذت به وانكبت على كفه تلثمه وتبكي، وهي
تحمد الله بصوت عالٍ اخترق أذنه، ومر في خلداه
غريباً وهو يتذكره..

بأنه لم يحمد ربه يوماً.

لم يقل قط الحمد لله..

لم يشكره على نعمه الكثيرة التي منَّ بها عليه..

وقد كان يلقاه دون كلمة شكر واحدة فيا له من

جاحد.

أيجد بنعمة ربه؟!!

وربت على رأس ابنته بكف، وبالكف الآخر نزع
قناع الأكسجين، وانبعث صوته بثقلٍ وضعف يُردد:

_إسراء، بلال فين؟

فرفعت رأسها إليه، ثم أطرقها في خزي، وهي
تتمتم:

_بتسأل عنه ليه؟! متتعيش نفسك بالكلام لحد ما
تبقى كويس!

فأغمض محمد عيناه لثوانٍ، وأستطرد بصوتٍ
ضعيف:

_قُلتك هو فين يا بنتي؟! لازم أقول له حاجة!
فزاغ بصرها هربًا، وترددت في أن تفصح بهدوء:

_أنا وبلال انفصلنا!

واتسعت عينا محمد في رُعب، لو مات الآن من
سيهتم بابنته غير بلال؟!

لو رحل لمن سيتركها؟!

لقد تأكد الآن إن بلال هو الزوج الذي قد يأمن
عليه بابنته وهو مطمئن لأنه رجلٌ في زمنٍ قلة في
الرجولة، وانحسرت في رُكنٍ قصي.

هز محمد رأسه في رفض تام، وقال بصوت يوحى
بالبكاء الصامت:

_ انا السبب لو موت مش هسامح نفسي..
وهمت إسراء بردعه عما يقول، لولا أن تابع:
_ بلال صدق الصور اللي بعثها ليه انا السبب.
وأبتعدت إسراء في صدمة، وتراجعت بظهرها
ممتقعة الوجه، تبغي الهرب من كل شيء، يا
قسوة الألم حين يكون سببه حبيب ظنناه يومًا إنه
لن يطعن.

🌸 اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد 🌸

توقفت ندى أمام باب منزل بلال مترددة، لكنها لم
تدع الحيرة تبلغ منها مبلغًا بليغًا، إذ حسمت أمرها
سريعًا وطرقت الباب، وأنتظرت ثوان حتى أنفتح،
وظالعهما عمرو وهو يقول ببسمة بريئة:

_ مش أنتِ ندى صحبة إسراء؟!!

فهزت ندى رأسها ببطء، وهي تتمتم ببسمة:

_ايوا أنا.

ومالت نحوه لتهمس أمام وجهه:

_بلال موجود؟

فهز الصغير رأسه نفيًا، ودفع الباب مفسحًا
الطريق لها، قائلاً:

_لأ، بس ادخلي استنيه جوه.

ترددت ندى في الدخول وما كادت أن تفعل، أوقفها
قول عايدة، قائلة بغلظة:

_استنى يا عمرو، عايزة بلال ليه يا بنتي؟!!

ازدرت ندى لعابها في حيرة أستبدت بها بغتة
دون سابق إنذار، وهمست بصوتٍ خفيض بعد
هنيهة من الصمت:

_كنت عايزه في موضوع يخصه هو وإسراء.

غمغت عايدة بضيق:

_بلال مش موجود، واللي بينه وبين إسراء
خلاص انتهى، حتى إنه خطب وكتب كتابه بعد
أيام، بمعنى إنه نسي إسراء، فقوليلها تنساه
وتشوف حياتها، وربنا يرزقها باللي أحسن منه.

خفق قلب ندى بارتياح، وانفرجتا شفثيها بكلام،
بُتر قبل أن يبلغ حلقها مع قول عايذة:

_وصلي لها سلامي ودعوة لكتب الكتاب مع
السلامة يا بنتي.

وصفعت الباب في وجهها، وهي تبكي في صمت،
لم تعتاد أن تعامل أحد هكذا، لكن هذه حياة أبنها،
وهي تريد له السعادة، وزوجة سالحة، أنتزعها
من شرودها وبكاءها، قول عمرو وهو يردد في
ضيق:

_عملي كده ليه يا ماما، حرام.. حرام عليك بلال
بيحب إسراء.

🌸 اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد 🌸

عادت ندى إلى المستشفى زائغت العينين، منشغلة
الفكر في حل لتلك الطامة التي ستلطم قلب رفيقتها
لطمة ستطيح بكل ما تبقى منها، تخطو بقدمين
عاجزتين تجرهم جرًا كي تتحرك، وتوقفت أمامها
شاردة، فبادرتها إسراء قائلة بعينين خاليتين:

_ ندى .. كنتِ فين؟! _

فتجمعت العبرات في مقلتي ندى، وأخذت مآقيها
تتزفها بهدوء صامت، وانبعث صوتها كأنه يأتي
من مكانٍ سحيق:

_ رocht أقابل بـ.. بلال.

لما أحست بأن اسمه يعيد لقلبها الحياة، كأنها حية
في عالم الأحياء، فشع الأمل في عينيها، وبلهفة
أطلت فيهما، وبوجهٍ مشرقٍ، همست:

_ بجد، قابلتيه؟ سألك عني؟! طب هو كويس، قلك
إيه؟

أسبلت ندى جفنيها، فهوت أدمعها في غزارة،
وشحب وجه إسرائ، وأصاب الإعياء قلبها، أدركت
إن الرد سيهدم قلبها، وسيطمس دقاته، وسيواري
حبًا بين الثنايا يقبع، رفرفت ندى بأهدابها لوهلة،
وتحاشت النظر إلى عيني رفيقتها، وهي تُلقي بما
في جعبتها بنبرات متهدجة:

_ بلال خطب يا إسرائ وهيكتب خلال اليومين دول،
حاولي تنسيه علاقتك معاه وصلت لمنتهاها و...

صمتت وهي تبصر، اتساع أعين إسراء كأنما
سيخرجان من محجريهما، وتراجعت بظهرها وهي
فاغرة فاه، وشُحن وجهها بالصدمة والخزي،
وخيل إليها إن قلبها قد توقف عن النبض!
بل تصورت إن رفيقتها ستسقط صريعة...
هزت إسراء رأسها في انهيار، وأخذت تردد
مأخوذة:

_مش ممكن مستحيل، أنتِ كدابة بلال مش
هيتجوز غيري لا....

وهوى دمعها يفطر القلب، ثم أطلقت صرخة مدوية
تردد صداها في الإنحاء، وزُلزلت الأرض شفقة،
وحاولت ندى أن تضمها، أن تواسيها، أن تجعلها
تهداً، لكنها ما أن بح صوتها ماتت بها الأرض
وأغشى عليها بين يدين ندى، التي نادى تستجد
بالناس التي جمعت حولهما.

🌸 اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد 🌸

إن يفقد المرء قلبًا، أن يعتريه إعياء لا دواء له،
أن تغيب روحه ويظل جسده فوق الأرض كصنم
متحجر، لهو شيء عظيم.

انهيار عصبي أصاب إسراء، من وقع الصدمة
على قلبها، صدمة سحقت قلبها حتى استحال إلى
شظايا يصعب إصلاحها، ككوكب كانت تدور جل
أفلاكه حوله، ثم سقطت من شاهق وباتت هباءً
منثورا.

ما أقسى أن يتوجع المرء في من أحب!
ما أضنى القلب حين يعاني من ألم الفراق.
لم يعد بلال لها، سيكون لأخرى، لن ترآه مجددًا
ولن ترتوي من ملامحه مرة أخرى، لكن لما
ملامحه قد حُفرت على جدران قلبها بماء العشق
فلم تعد تبرحه، كيف إذاً تنساه..

تنسى حبه؟! -

تطلعت ندى بعينين مغروقتين بالدمع إلى إسراء
الراقدة على الفراش الطبي، بعينين تحديقان في
السقف دون حراك، وبجسدٌ خامد، متهدل، متهاك،
كأن كل ما بها بات فارغًا، ولم يعد لها شيء
بالحياة

لا شيء أضحت تريده...

ولا شيء أصبح لها...

يضيق صدرها بأنفاسٍ مختنقة..

دنت ندى من فراشها، وجلست في مواجهتها،

وقالت، وعينيها تسيلان بالدمع:

فوقى لنفسك بقا يا إسراء، قومي وواجهي

ضعفك، بلاش تستسلمي حاربي نفسك.

ولم تتلق ردًا، إلا دموع انحدرت على وجنتي

إسراء، ردًا عما تفوهت به، فتهدت بعمقٍ وهي

تنهض لتطمئن على محمد الشهاوي.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد

عندما تحسنت حالة إسراء، وتعافى أبيها وأنقضت

فترة النقاهة، اتخذت قرارًا بالسفر ووضعته قيد

التنفيذ فورًا؛ لذا وقبيل خروجها للمطار ودون أن

تعي شيئًا، ذهبت ندى فورًا إلى منزل بلال، كأنها

تسابق الزمن وعقارب الساعة، وبينما تصف

سيارتها جانبًا وجدت بلال في ذات اللحظة يترجل

من سيارته وهو يلف المفاتيح بين إصبعه في
حلقة دائرية، فنادته بصوتٍ به لهفة:

_بلال.

فألتفت إليها وقد ضاقت عيناه بغلظة، فوجدت إن
لحيته قد طالت، ومن عينيه تطل نظرة حزينة،
وغمغم بضيقٍ وبرود:

_ندى، خير؟

قالت ندى في رجاء:

_الحق إسراء هتسافر.

فرد عليها في برودٍ غليظ:

_وأنا مالي.

ربما قد فلاح في الرد عليها ببرود لكنه لم يستطع
محو تلك النظرة الملتاعة التي تفعمت في عيناه،
وهم أن يستدير، لكنها لحقته ووقفت أمامه،
وهتفت في ثورة من الغضب:

_أنت مالك إيه؟ يعني إيه مالك دي! بقولك إسراء
هتسافر أنت تقدر تمنعها.

فصرخ في وجهها:

_بصفتي إيه همنعها، أنا وهي كل اللي بينا
خلاص، وأكد هي اللي بعنتك باللعبة الحقيرة دي
مفكرة إني هجري على طول والحقها واترجها
ترجع لي..

تراجعت ندى خطوتين إلى الوراء، وأرتج عليها
ملياً، ثم همست في أذراء:

_أنت بتظلم بسهولة كده؟! بتألف وتقع نفسك
باللي بتألفه؟! لأمتي هتفضل ظالمها.
جز بلال على أسنانه، وهدر وهو يتجاوزها إلى
بيته:

_لمي لسانك، وأمشي من قدامي.
وقبل أن يهم بفتح باب بيته، توقف على صوتها
وهي تقول بحدة:

_الصور اللي أنت شفتها دي كلها حقيقة فعلاً
بعتهالك محمد الشهاوي مع الحقير عماد.
فاستدار إليها وفي عينيه تساؤل حذر، بينما تابعت
ندى بأمل، وبعينين مختنقة بالعبرات:

الصور دي كانت من آخر فيلم إسرائ صورته
قبل اللي حصل لها، لكن الفيلم متعرضش لإنها
فسخت العقد.

أطرفت برأسها حينما احتد بكاءها، واسترسلت
بصوتٍ متهدج:

كانت إسرائ قابلتك وتغيرت وعملت كل اللي
تقدر عليه عشان متصورش الفيلم والتعاقد يتلغي،
وعمي محمد استغل الصور دي وبعتهالك، بس
إسرائ بريئة ومخانتكش... مخانتكش عشان
إسرائ بقيت واحدة تانية.. واحدة بتخاف ربها
وحسابه قبل اي حاجة وعشان حبتك من كل قلبها.
صمتت تسكب دمعها، فتقدم بلال نحوها واكتست
ملامحه ألم العالم برمته، وهو يهتف في شغف:
_ هي فين؟

أخبرته ندى إنها في المطار على وشك المغادرة،
فذرها وحيدة وأخذ يعدو عدوًا شطر سيارته ولجها
على عجلٍ وأدار محركها وانطلق

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد

انطلق بلال يتجاوز بسيارته كل السيارات التي تعيق طريقه، كما لو إنه مجنوناً، غير عابئ بتلك الأحتجاجات والشتائم، التي أخذ أصحاب السيارات يلقونها ويعبرون عنها بأبواق سياراتهم، وقتها لم يكن يسمع شيء كأنما قد أصابه الصمم، ولم يكن يعي ما يدور حوله، وقد تمكنت فكرة واحدة رأسه، وسيطرت عليه، ونزعت كل ما عداها من أفكار أخرى، وهي يجب ألا يدعها ترحل، وأنى له بحياة دونها!

إن غابت غاب معها كل شيء..

الحياة، وقلبه، وروحه، والعالم بأسره!

ليتها تدر كم يحبها، وغيابها تلك الفترة ذره كريشة تتقاذفها الرياح كيفما تشاء.

ما أن توقفت سيارته أمام باب المطار، حتى غادرها مسرعاً، دون أن يعبا حتى بالتأكد من إغلاق الباب، واندفع داخل صالة المطار، وعيناه زائغتان بالبحث عنها بين الوجوه... يفتش عنها في كل وجه يقابله، لكنه لم يعثر عليها، وإحباط هائل ملأ جوانحه جعلت كتفاه تتهدلان كجندي عاد

منهزمًا، منكسرًا من معركته، وأطرق بدمعة
حبيسة داخل مقلتيه، وما أن رفع رأسه حتى رآها
وقد جلست على أحد المقاعد شاردة، وقد ظللت
سحابة من الحزن وجهها الجميل، يجوارها أبيها
في مقعده المتحرك.

متى كان محمد الشهاوي يجلس على مقعد
متحرك؟!!

تساؤل دار في خلدته وهو يهرع إليها، ووجد نفسه
يصرخ منادياً إياها:

إسراء.. إسراء..

لم تصدق إسراء ما تسمع أذنيها؟! أهذا صوته أم
إنها تتوهم؟ وتحولت إليه بوجهها الحزين الكليل،
غير مصدقة، وسرعان ما تحولت قسماً وجهها
إلى الفرحة الشديد، كطفلة عاد والديها، بعد فترة
من الضياع، وشع من عينيها كل الحب وهي
تهمس باسمه بصوت خفيض، ووقفاً مقابل
بعضهما البعض، وغشاهما صمتٌ عجيب، واران
عليهما الهدوء، وقد ألتقت عيناها في أسفٍ عظيم
يفطر القلب، وانفرجت شفتاه بأسفٍ صادق نابعاً
من الأعماق، وعيناه ترجوان السماح، متمماً:

إسراء أنا أسف سامحيني.

وتردد لثوانٍ قبل أن يردف في خفوت أستلذه قلبها
الذي أخذ يتأمل ملامحه في هيام، ويحفرها بين
الجوانح وفي الشغاف:

_أنا عرفت غلطي وندمان على كل كلمة قولتها
ليك، وكل جرح سببتهولك، أنا أسف بجد.. أنا
عرفت كل حاجة من ندى، متعرفيش الفترة اللي
عدت كانت حالتي فيها إزاي كنت إنسان بقلب
ناقص نبض، وبصدر ناقص هوا وبروح مش
لاقيه مأوى.. ارجعي معايا وخلينا نبدأ من جديد._

تساقطت العبرات على وجنتيها، وقد تراجعت
بظهرها خطوة، وهمست بصوتٍ ألم به كل وجع:

_أنت اجمل حاجة حصلت لي ووعيت عليها في
الحياة، ولكن أنا مينفعش ارجع انا رايحة لمكان
هجدد فيه إيماني وحياتي واستقامتي، أنا لو
رجعت معاك دلوقتي حياتنا هتبقى وحشة مش
هنبقى مرتاحين، هتعيش دايمًا بشك في قلبك
نحيتي، بس انا مش زعلانة لإن مش ذنبك ولا
ذنبي أني اتجهت للتمثيل، دي الغلطة الوحيدة اللي
عملتها في حياتي وغالبًا هدفع تمنها فيك، أنا

أسفة بس أنا مقبلش أعيش مع واحد شاكك فيّ،
أنت تستاهل واحدة أفضل مني.

وخرج صوته ضعيفًا، واهنًا وهو يقول:

_متقوليش كده معاك حق انا غلط لما شكيت فيك
كان لازم اسمعك، بس مش هتتكرر.

لكنها ردت بثقة:

_هتتكرر لإن بينا ماضي وحش كنت أنا بطلته،
والماضي ده هيفضل مخليك شاكك فيّ مهما عمل.
ربما معاها حق، هو بداخله شكٌ غريبٌ تجاهها في
كل تصرفاته، لكن ليس بعد الآن.

أراد أن يقول أي شيء لكن ما بال الكلمات قد
أحتبست، عندما بدأت تقول ببسمة مشرقة:

_الحاجه الوحيدة اللي هو عدك بيها إن قلبي اللي
حبك مستحيل يحب غيرك، سلام يا بلال افكرني
بكل خير واوعدك إني هرجع، لكن يوم ما هرجع
ولو اتقابلنا تاني هتلاقيني إسراء تانية، مش
إسراء الضعيفة.

وتراجعت بظهرها بنظرة وداع أخيرة، والتفتت
وهي تغمض عينيها بقوة، لينحدر دمعها في

غزارة على وجنتيها، وأمسكت بقبضتيها مقعد
أبيها المتحرك، الذي كان يجلس منكسرًا في خزي،
وقد أقسم ألا يتدخل في شئوون ابنته مرة أخرى
وقبل أن تتحرك أوقفها صوته وهو يقول بنبرة
تقطر ألمًا:

متمشيش.

وسمع صوت تنهيدة عميقة ندت عنها، قبل أن
تتحرك امام عينيه وهي تجر مقعد ابيها أمامها،
فنادها بصوتٍ ضعيفٍ منكسر:

إسراء.. إسراء.

فالتفت إليه برأسها وفي عينيها نظرة حزينة.
وأقلعت الطائرة وقد حملت معها جزءًا من نفسه
وكيانه، وتهالك بلال على أحد المقاعد بعينين
متفعمة بالدمع الذي أبقى الخروج من محرابه.. وقد
عاد خاسنًا وهو حسير الروح.

يتبع ...

21_ وأخيراً التقينا

ما بال فؤادي منذُ التقينا وهو يرفرف خجلاً؛ كأنما
وجد محرابه الضائع.

جالسٌ وراء مكتبه، غائر العينين، فارغ القلب إلا
من تلك الحبيبة التي هجرته ولا يعرف أراضيتها،
أشياء كثيرة قد تغيرت في تلك الفترة من حياته،
نال خلالها عملٌ بشهادته في شركة صديقه
محمود، لم تكن شركة في البداية بالمعنى الحرفي،
إلا أنها مع مرور الأيام باتت كذلك، لقد عمل وجد
هو وصديقه يداً بيد حتى وصلا لما هما عليه،
تزوجت أخته سهير من سعيد، ومن كان يصدق أن
سعيد وسهير سيتزوجا، لكنه قد حصل وهي الآن
تحيا حياةً طيبة مع الأبله سعيد الذي كان يظن لإنه

هو وأخته اخوات في الرضاعة فحرام أن يتزوجها، لكن ما أن بدت له الأشياء على حقيقتها حتى هرع لخطبتها.

لقد كان العوض لأخته وهذا يكفي.

تنبه من شروده، على دق خفيف على الباب، أدير ذلك بدخول سكرتيرته، قائلة:

_ أستاذ بلال السكرتيرة الجديدة جت، ادخلها؟

فأشار لها بلال بإيماءة من رأسه، قائلاً بصوت عملي:

_ أيوه، دخلها.

رن هاتفه في تلك اللحظة بينما تشير السكرتيرة للفتاة بالدخول، فرد بلال على هاتفه وهو يدور بكرسيه مولياً ظهره للباب، مجيباً على محمود

الذي بعث له بتلك السكرتيرة الجديدة لتحل محل
الأخيرة الراحلة.

واستمع إلى خطوات أنثوية تدب أرضية مكتبه،
فرفع يده مشيرًا لها بالجلوس دون أن يوليها
اهتمامًا، ودار مرة أخرى بمقعده، سرعان ما حدق
في الجالسة امامه بدهشة وعدم تصديق، وهو
يهتف وقد اكتست وجهه مسحة حنان:

_إسراء.

وحدقت إسراء فيه بدورها في صدمة وقلب خافق،
وهمست بغير تصديق:

_بلال.

واسرعت عينا بلال تفحصها من رأسها إلى
أخمص قدميها في تمنع شديد، لا تزل كما هي لم
تغيرها الأيام، ولم تزيدها إلا جمالًا في نظره، وذاك
الفستان الأبيض الفضفاض ذو حزام يضم خصرها

جعلها كما الملاك الذي هبط بغتةً من السماء،
 وعادت عيناه مجددًا إلى وجهها الجميل الساحر،
 ورأى نظرة مرتبكة مصدومة تطل من عينيها
 الحبيبتين، وتأمل ملامحها برفق كأنه يحفرها
 مجددًا على جدار قلبه، وعلى أجفان العينين كلا تر
 غيرها، ملامحها الآن تشبعت بقوة لم تخف على
 عيناه التي تحفظانها، وصرامة تشبعت بها كل
 خلية من خلاياها، وبدأت أقوى منه عندما استعادت
 ثباتها من وقع لقاءه المدمر لمشاعرها، وازدرت
 لعبها في ارهاق، وظهر التردد والكثير من الكلام
 بين شفثيها اللتين انفرجتا لوهلة، ثم أطبقتا في
 هدوء، ورفعت كفيها تعدل من خمارها، ثم توليه
 ظهرها وأسرعت خطواتها كأنها تعدو نحو الباب،
 وهب بلال من مقعده لاحقًا به، وأغلق الباب الذي
 فتحته وترك لكفه مهمة إحكامه مخافةً أن تهرب

منه، وصوته ينبعث قائلاً بحنين، وبنظرة لا تزل
تستقر على وجهها:

المرّة دي مش هسيبك تمشي.

واقترّب خطوة تراجعتها هي بظهرها، وهو يقول
بهمس:

كنت فين كل ده؟

فررفت أهدابها لوهلة، وهي تجيبه في صرامة:
_أستاذ بلال لو سمحت مش من حقك تسألني أي
سؤال، أنا كنت جاية للوظيفة ومعرّفش إن أنت،
فعشان كده همشي._

لكنه لم يسمع ترهاتها وما لفظته بصرامة لم
يعهدّها فيها، وقد اختفت نظرة الحب من عينيها،
فكرر متسائلاً بدهشة:

_ أستاذ بلال؟! دلوقتي أنا بقيت أستاذ يا إسرائيل؟!!

من أمتي بتعامليني بالجفاء ده؟!!

فتحاشت النظر له خشية أن يدرك وقع صوته على

قلبها، وهي تجيب بقسوة:

_ من زمان يا أستاذ بلال.

ثم أردفت وهي تحاول العبور نحو الباب:

_ لو سمحت إوعى من طريقي.

لكنه لصق الباب بظهره، واستدعى كل أسلوبه

العملي، وخشونته، وقال بصوتٍ أجش:

_ لأ، ولو سمحت اتفضلي اقعدي، أنتِ جاية في

مقابلة شغل.

وعندما لمح الاعتراض على ملامحها، وهمت

بالنطق به، استطرد في غلظة:

_ لو مشيتِ دلوقتي يبقى بتأكديلي إن لسه في لي
مكان في قلبك وبتحبيني.

فصاحت به غاضبة:

_ أنت بتقول إيه؟

فتخطاها ليجلس وراء مكتبه، وهو يقول:

_ زي ما سمعتِ لو مشيتِ هعرف إنك خايفة من
إن كل المشاعر اللي بينا تتجدد.

أطلت نظرة غاضة من عينيها، وهي تتجه لتجلس
أمامه مغتصبة ضحكة مفتعلة بغیضة على ثغرها،
وتقول:

_ أستاذ بلال ياريت لو قبلت إني أكون سكرتيرتك.
وصرخت فجأة:

_ يبقى مفيش اي حاجة بينا خارج حدود العمل.

فرفع بلال حاجبًا، ولم يعر هتافها اهتمامًا، ومد
يده، قائلاً:

ملفك.

ناولته ما طلب في عصبية، بينما راحت عيناه
تتصنع الإنشغال في الاوراق التي أمامه وهو
يختلس النظر إليها.

﴿ رب نجنا من القوم الظالمين ﴾

سنة، دارت أيامها سريعة، كأنها سحبٌ أتى دون
سلام، ومر دون وداع، كان الفراق مؤلم لقلبها
الذي كان يتلظى بنار الحنين والإشتياق، لكنها
تجاوزت هذا الحب الذي طعن كبريائها، ودمر
كرمها، وعذب قلبها، في يدها قبع الهاتف مشعًا

بصورة تتبدى فيها الكعبة وأمامها أبيها وهي
تضمه، وقد ظلت بسمة كالنور في ليالي الدآدي
ثغرها، مبددة كل ظلمة في أعماقها، لقد عكفت في
تلك الهجرة القلبية على حفظ كتاب ربها، تعلمت
العقيدة، والفقه، والتفسير، والحديث.

وعادت وهي متأججة بالإيمان الذي زادها صلابة،
وقوة، وبسالة، وذائق لذة حُرْم منها الكثير من
الناس بوئس ربها عز وجل.

عندما عادت إلى وطنها نست تمامًا كل ما يتعلق
ببلال، وبحبها الخامد له، انكبت على عملها الذي
تعلمته مع مرور الأيام لتدر عليها وعلى أبيها
لقمة حلال.

ويا لصدفة القدر، حين جمعها به دون إنذار،
فعلت بجانبًا منه لم تكن تعرفه وهو إنه محب

لعمله يبذل قصاري جهده فيه دون أن يفكر في
نفسه.

_ ادخل العصير للأستاذ بلال يا آنسة إسراء.

هتف بها رجلٌ يحمل في يده صُنية تحوى كوبًا من
العصير، وبعض الشطائر، وفاقت إسراء من
شرودها على صوته، وتبتهت إنها قد طلبت له ذلك
ليقينا إنه لم يذق الزاد منذُ إن أتى، فاستوت
واقفة وهي تغادر مكتبها الصغير، قائلة:

_ لا يا عم صبحي أنا هدخلهم ليه روح أنت.

وتناولت منه الصنية، وتوجهت إلى المكتب في
توتر، ثم طرقت الباب ولم تلبث أن تذكرت إنه
طلب منها الدخول دون إذن، ففتحت الباب ورفع
بلال رأسه من فوق الأوراق التي أمامه متبسمًا،
ونظر لما بيدها، قائلاً:

_ بنت حلال أنا حقيقي هموت من الجوع كويس
إنك طلبت حاجة.

فطافت شبه ابتسامة بسيطة على ثغرها، ووضعت
الصنية أمامه، وهي تقول:

_ طب كويس اشرب العصير وكمل شغل، مش
هيضيع.

فالتفت إليها في حنو ورفق، وقال:

_ حاضر يا ماما.

وضحك في خفوت، مع تلك البسمة الملتوية التي
ظهرت بزاوية فمها، وسمعها وهي تتمتم:

_ ماما، أنا ماما؟!!

ثم رمقته بنظرة غاضبة، وكادت أن تخرج، لولا إن
نداها، قائلاً:

_ إسراء، إيه رأيك نتغدا سوا انهاردة؟

فاتسعت عينيها على آخرهما وهي تصيح:

أنت اتجنيت وإيه اللي هيخرجني معاك أصلاً، اما
انت غريب.

وهم بالنهوض وإن يفسر طلبه، لكنها غادرت
المكتب صافقة الباب في عنف وراءها، تشيعها
ضحكة عالية ندت من بلال.

وقد رافت له شراستها؟!!

وأحب قوتها.

منذُ إن استلمت العمل معه، وهي لا تسمح له
بالتجاوز معها بالكلام إلا في حدود العمل عدا ذلك
محال، لكنه سيصبر كي ينال ثقتها، سيحظى بها لا
ريب ذات يوم.

اتكب بلال مرة أخرى في مراجعات الملفات التي
امامه، وهو يرتشف من كوب العصير بعد ما تناول

الشطائر، وبدا منهمگًا تمامًا ناسيًا نفسه لردحًا من
الزمن، ثم تنهد في إرهاق وهو يسترخي في مقعده
متراجعًا بظهره إلى الوراء، وقد أسبل جفناه
لبرهة، وتذكرها..

كضوء ينبعث بغتة من غياهب الظلمات، فأتقد
الحنين في قلبه ونهض واقفًا وراء الواجهة
الزجاجية التي تفصله عن مكتبها الصغير، ووقف
يتأملها وهي تقرأ إحدى الروايات في نهمٍ
واندماج، وتنبهت كل حواسه وهو ير زميل لهما
في العمل يقف أمام مكتبها، ونقر بسبابته على
سطح المكتب ليجذب انتباهها فخرج من مكتبه في
اللحظة التي كان الشاب، يقول مرتبًا:

— أنسة إسراء ممكن لحظة من وقتك؟

رفعت إسراء بصرها إليه، واعتدلت في جلستها،
وقالت ببسمة رقيقة:

آه اتفضل طبعًا.

تتحنح الشاب، ودار ببصره في أنحاء المكان في محاولة للتشاغل، وقد استبد به الارتباك، فغمغمت

إسراء في حذر:

في حاجة اتفضل قول.

فغمغم في انفعال:

كنت عاوز آخذ معاد مع والد حضرتك، لاني..

لاني معجب بيك.

تبسمت إسراء في وجهه بانفعال، وغمغمت

مرتبكة:

آه.

واستجمعت شتات امرها، واسترسلت في هدوء:

بصراحة مش عارفه أقولك إيه، ولكن مقدرش

اديك رقم بابا لإن....

قاطع بلال كلامها وهو يلج في غضب، هاتفاً:

_ طلبك مرفوض يا أستاذ لأن ده مكان شغل
واتفضل على شغلك ولو تكرر الموقف ده يبقى
اتفضل من غير مطرود.

التفت له الشاب وحدجه شذراً بنظرة غاضبة، ثم
ألقى نظرة إلى إسراء التي وقفت شاحبة الوجه، ثم
خرج وقد كسى وجهه الحياء من الموقف كله.
ما أن ابتعد الشاب عن مرمى البصر، دارت إسراء
حول مكتبها، واقفة قبالة بلال بعينين تتقدان
غضباً، وقالت في ثورة:

_ أنت مين أداك الحق ترفض مكاني طلب زي ده؟!
هو أنت اللي هتجوز ولا لأ، فوق انا مش إسراء
بتاعت زمان، ولا إسراء الممثلة اللي هتسمحك
تشك في اخلاقها...

بتر استرسالها فيما تبغي، قول بلال الهاديء

متسائلاً في استخفاف:

_تعرفي يا جليبيب؟

فاتسعت عينيها ناظرةً له بنظرة مفعمة بالدهشة،

قبل أن تضيق عينيها في حيرة..

لقد قرأت عن أبا بكر، عن عمر الفاروق، وعلي،

وعثمان، وبعض الصحابة ولكن.. من جليبيب؟

فقالته بشغف وقد زال كل غضبها:

_مين جليبيب.

فتبسم بلال تلك البسمة التي تسلبها قلبها، وكان قلبها قد انقبض وانبسط، وانتفض وارتجف، وهي

ترهف السمع مع همسه العذب:

_جُثت تملأ المكان، لا تكد القدم تخطو خطوة إلا وجثة تعيق طريقها، جرحى في كل الأنحاء، رجال

منتشرة يفتشون بين الموتى ليدركوا من ذا قد
غادرهم، انجلت المعركة بنصر المسلمين...

بنصر دين الله..

أن الله دائماً ناصر دينه..

ناصر الحق..

وها هو ذا رسول الله يجول بين أصحابه، متسائلاً:

_أفتقدون أحداً.

فيجيئوا الصحابة:

_لا يا رسول الله لا نفتقد أحداً.

فيطوف بصر رسول الله بين الوجوه، ويقول:

_ولكني أفتقد جليبياً.

جليبيب ذاك الشاب الدميم، الذي لم يفقده أحد لم

يذكره إلا رسول الله فيا لهف قلبه، ولهف قلبي

لذاك الفقد، طوبي لجليبيب والله هنيئاً له.

عسانا نأتي يوم القيامة، فیتفقدنا رسول الله، یسأل
أین فلان؟ لقد كانت تبلغني صلاته.

أین فلان فقد كان یحبني ف الله ولم یرآني؟

تظن أن العالم ینساك؟! وقد كان جلیبیب یعتقد ذلك
وهو الذي دون أهل او صديق یسأل عنه، فإذا بالله
سبحانه وتعالی یجعل نبي الرحمة..

السراج المنیر..

النبي المرسل..

الصادق الأمين..

محمد بن عبد الله یسأل عنه، یفتقده إذ غاب
ینتشرها الصحابة باحثین عن الحبيب جلیبیب،
فیجدوا قد قتل سبعة من المشركین وقُتل، أُخبر
رسول الله بذلك وتوجه النبي وبعینین تمتلآن حزناً
لمراه جلیبیب صریعاً، یقول:

قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه هذا مني
وأنا منه.

من يدرِ ربما يظن المرء نفسه منسيًا وله رب لا
ينساه أبدًا، ربما يأتي يوم القيامة بسيئاتٍ كما
الجبّال تدخله النار، فيشفع له رسول الله قائلًا هذا
مني وأنا منه.

يا حظ جليبيب وهو من الرسول والرسول منه.
يا فرحة قلب جليبيب وحتى ولو لم يسمعها.
هذا مني وأنا منه.

كأنه يخبرهم إن له أهل هو أهله..

فلا يقولون ليس له أحد..

(هذا مني وأنا منه)

يا الله تُرى كم كانت ستبلغ فرحة جليبيب لو كان
حيًا وسمعها، كيف سيغدو على بيته، وتغمض
عيناه، كيف سيسكن قلبه عن الخفقان بعد الآن.

جليبيب منا ونحن منه..

نحبه حتى ولو لم نراه.

أنهى بلال روايته، وتطلع فيها بصدقٍ بعينين

تمتلعان بالحنان والوجد، وهمس برفق:

وأنتِ مني وأنا منك.

جف الدمع من عيناى إسراء مع قوله الذي اخترق

قلبها فزادت نبضاته، وزاغ بصرها عن عيناه في

حياء، وعلاها الأرتباك، فجذبت حقيبتها ولملمت

أشياءها سريعًا واسرعت تغادر المكتب، ولم

يحاول هو أن يمنعها، كان وقت الدوام قد انتهى،

وهو قد عاهد نفسه على الصبر والمثابرة، سيسبغ

عليها من بعيد بأمان قلبه، سيكون تميمة تحفظها
من غدر الأيام وأن أبت.

مذ رأها وأصبحت جواره، تهاجمه، وتثير غضبه،
وتسحق عاطفته، وهو كمن بات يعشق من جديد،
تخلب لُبه إن حضرت، وتسلب قلبه أن غابت..

ويا ويح قلبه في غيابها.

غادر المكتب فرآها تحاول إيقاف سيارة أجرة،
فوقف بجانبها، قائلاً:

تعالى أوصلك في طريقي.

فرددت دون أن تنتظر إليه:

لأ، شكرًا.

لكنه ألح، قائلاً في اهتمام:

قُلْتُ تعالِى، واعترينى السواق يا ستي، مش

أحسن من الغريب.

لكنه صدمته عندما التفتت إليه، قائلة بقسوة:

_ ما أنت برضو غريب.

جفوة سحيقة تلك التي سببتها عبارتها، فأشار إلى

سيارة أجرة توقفت أمامهما، وفتح بابها لها،

فأسرعت تلج بداخلها هرباً من جرح سببته

بكلماتها، أرادت مداوته لكن أبى عقلها ذلك، ففرت

لتصبح في منأى عن عيناه المعاتبة.

وعتاب الحبيب على حق.

أسندت رأسها إلى نافذة السيارة، وقد انسابت

دمعة على وجنتيها..

لماذا عاد القدر يجمعهما؟

لمَ كلما حاولت أن تنساه عاد يخرق ويستقر في

قلبها بقوة؟

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد

انكبت إسرائء في مكتب بلال على تدوين ما يُمليه
عليها باهتمام، فجأة انفتح الباب وتناهى لها صوت
أميرة، وهي تقول في حماس:

_ اخويا حبيبي عامل ايه..._

التفتت إسرائء نحوها، بينما ظلت أميرة تحقق فيها
في صدمة وهي متسعت العينين، فاغرة فاه، حتى
غمغت إسرائء ببسمة:

_ أميرة، عاملة إيه؟_

فرفعت أميرة حاجبًا في دهشة، وهتفت في ذهول:

_ إسرائء أنتِ بتعملي إيه هنا؟!_

هتف بلال في حنق:

_ إسرائء السكرتيرة بتاعتي يا أميرة.

صاحت أميرة في استنكار:

_سكرتيرة!!

بينما نهضت إسراء مستأذنة وانصرفت، لم تلبث

أميرة أن لحقت بها، وجلست امام مكتبها وهي

تقول في صدق:

_وحشتيني يا إسراء، اختفيتي مرة واحدة من

حياتنا ليه؟!!

تغاضت إسراء عن إجابات سؤالها، وهي تقول

بنبرة صادقة:

_وأنتِ كمان وحشتيني جدًا يا أميرة.

ثم أردفت تقول، عندما لاحت منها نظرة إلى

أصابع أميرة:

_أنتِ اتجوزتي؟

اكتست ملامح أميرة بالاستحياء وهي تؤمأ برأسها
إيجاباً، وقالت:

_أيوه أنتِ أكيد تعرفيه؛ محمود صاحب الشركة
وصديق بلال.

أومات إسرائء برأسها دلالة على معرفتها به،
فأستطردت أميرة في حماس:

_حاجات كتيرة اوي تغيرت الفترة دي، انا اكتب
كتابي وسهير اتجوزت سعيد..

قاطعتها إسرائء هاتفة في دهشة:

_سهير وسعيد، طب عماد خلاص كده؟

شوحت أميرة بكفها في امتعاض، وهي تغمغم
بازدراء:

_يا ستي عماد ربنا يرحمه دلوقتي توفى.

فصاحت إسرائء ذاهلة:

عماد مات؟! _

هزت أميرة كتفيها، وهي تغمغم في أسف:

_ كان سارق فلوس من عمك مدحت غالبًا والراجل
طالبه بيها، فاختفى فجأة لحد ما لقيوه في الشقة
متوفى ليه فترة من غير ما حد يعرف، والريحة
هي اللي دلت الناس عليه.

غمغمت إسراء في حزن، ونظرة دامعة:

_ إن لله وإن إليه راجعون، لا إله إلا الله.

أسبلت إسراء جفنيها وقد انتفضت لذكر الموت،
حتى اخترق مسامعها صوت رجولي يهتف:

_ أنتِ بتعملي إيه هنا يا أميرة.

فالتفتت اميرة إلى محمود، وقالت في هدوء:

_ أنا وإسراء صُحاب فقلت آجي أشوفها

فأوما برأسه متفهمًا، وقال:

_ طيب أنا هدخل لبلال.

(بص أنت صاحب عمري الوحيد فعائز يوم ما
اتجوز آخذ اجازة سنة كده ولا حاجة وأنت تقوم
بكل حاجة في الشركة.)

هتف بها محمود وهو يجلس في استرخاء، بعدما
أخبر بلال على بعض الأشياء الهامة التي ستتم في
زفافه الذي لم يبقَ عليه إلا بضعة أيام قلائل،
فنهض بلال من وراء مكتبه في هدوء، وهو
يهتف:

_ عيوني يا استاذ محمود، تتمنى حاجة تاني
أحققها لك.

هز محمود رأسه مستريبًا، بينما سحبه بلال ليقف،
ودفعه جهة الباب، وهو يصرخ:

_ أطلع بره وانسى بلال خالص وبطل أحلام اليقظة
بتاعتك دي قال سنة قال ليه قرد بيتجوز.

أخرجه وصفق الباب في وجهه وهم بالتوجه إلى
مكتبه عندما فُتح الباب وأطل محمود برأسه منه
وهو يغمغم ضاحكًا:

_ مش هقل عن سنة يا بلال هااا، سمعت.

فصرخ بلال وهو يلتفت إليه غاضبًا:

_ أطلع بره.

أغلق الباب فورًا مع صيحته وجلس وراء مكتبه
وهو يتنهد في عمق، لكن الباب اندفع مع صوت
محمود:

_ برضو سنة مش عايز أقل من كده.

فجذب بلال طفاية السجائر التي امامه وقذف به
عليه فارتطمت في الباب الذي أُغلق مجددًا، أسلم

رأسه لظهر المقعد وهو يسبل أهدابه في ارهاق

فسمع صوت الباب يفتح، فصاح:

يا بني أنت مش بتفهم!؟!

لكنه بدلًا من أن يسمع صوت محمود، أنساب إلى

أذنيه صوتًا أنثويًا عذبًا يهمس في توتر:

محمود خد أميرة ومشى، أنت تقصده.

فأعدل فورًا وهز رأسه ويقول:

آه آه أنا على محمود.

فغمغت إسراء:

تمام، انا مش ورايا حاجة تاني انهاردة فممكن

أمشي عشان بابا عنده جلسة ولا حضرتك

هتحتاجني في حاجة!؟!

فزفر بلال بضيق، وقال:

لا روعي أنت.

اللهم نجنا من القوم الظالمين

في حفل زفاف أميرة الذي أقيم في قاعة فخمة،
حضرت إسراء برفقة أبيها وندى بعد إلحاح أميرة
بحضورهم، كانت تصفق بكفيها في جذل، عندما
دخلت أميرة القاعة مع محمود، وتسمرًا كفيها
بوجوم تام، وهي ترّ سهير تقبل عليها برفقة أمها
الباسمة، فغابت البسمة عن وجهها وحل الوجوم،
لكنها ضمت سهير في حب حقيقي، التي بعد
السلام همست لها بفرحة:

__هتبي خالتو قريب.

فعاد إلى وجهها السعادة، وهي تهتف في حماس:

__بجد أنتِ حامل؟!!

أومات سهير وباركت إسرائ لها بعناقٍ آخر، بينما
انبعث صوت عايذة في عتاب:

مش هتسلمي عليّ يا إسرائ؟

فأذردت لعابها في توتر، ولم تُخجل المرأة التي
مدت كفها لها مصافحة، وما كادت أن تتصافحا
حتى سحبتها عايذة في حضنها في حنان أمومي،
وأشبعت وجهها بالقبلات وهي تقول:

وحشتيني.

فالتمعت الدموع في عينيها وهي تتذكر قسوة
كلماتها في آخر لقاء، بينما همست عايذة:

عارفة إنك زعلانة مني! بس في بنت تزعل من
أمها بسبب كلمات اتقالت لحظة غضب؟!!

وظلّبت منها الجلوس بجانبها فامتثلت في هدوء،
بينما التقطت عايذة كفها في راحتها وهي تقول:

_مكنتش هسامح نفسي لو كنت موت قبل ما
أشوفك._

فهمتت إسرائ في لهفة:

بعد الشر عنك.

تبسمت عايده وهي تقول في خزي:

أنا كدبت عليك في موضوع لازم أوضحه.

وأستشعرت إسرائ ما هو الموضوع، وشحب
وجهها فجأة مخافة من القادم، كان بداخلها دائماً
تساؤل أتزوج بلال؟

ومن الخوف من الإجابة خشت السؤال فوقر في
نفسها دون أن يطوف قط على شفيتها.

قالت عايده في حياء:

_لما ندى جت ليّ أنا كدبت عليها بموضوع خطبة
بلال، ابني مرتبطش بحد غيرك من يوم ما وعي

على الدنيا، أنا مش هقولك عملت كده ليه، بس
هطلب منك تدي ابني فرصة ثانية.

سحبت إسراء كفها في هدوء من بين راحتها،
ورأت ندى تغمز لها في مشاكسة، بينما فتشت
عينيها بين الوجوه بحثًا عن الحبيب الذي لم
يظهر، وفجأة رآته انبثق هكذا بغتة من العدم وهو
مسلط البصر عليها، وبدا شاردًا..

وقد كان كذلك بالفعل.

بيتٌ بسيط يضمه هو وهي وابناءهما، يعود من
عمله فيجدها في انتظاره، يتناولوا طعامهم، ثم
يصلي بهن جماعة، وبعد تأدية الصلاة يُسمع
لأبنته وزوجته ما أحفظهن من القرآن، تتعالى
ضحكاتهم تارة، ويتسامرون تارة أخرى، وربما
يركضون في أنحاء الشقة في لحظة لهو،
يسرقوها من بين ثنايا الحياة.

فاق بلال من شرود، ببسمة جميلة ظللت ثغره،
تلاشت وهو ير محمد الشهاوي يقبل نحوه وهو
يستند على عكاز، ودار بينهما حوارًا طفيفًا اعتذر
فيه الشهاوي على كل ما صدر منه.

والعجيب إنه سامح في بساطة، ورفع عينيها عن
مكان جلوسها لكنه لم يجدها، وأبصرها تخرج من
القاعة وهي تتحدث في الهاتف، فلحق بها في قلق
وقد تراءى له خوفٍ هائل على سيمات وجهها
استقر.

وقف وراءها وسمعها وهي تقول:

طيب أنا هآجي أشوفه دلوقتي، لا لا هآجي حالًا
مسافة السكة مش هتأخر.

وعندما استدارت وجدت بلال في وجهها، فتساءل
في حذر:

مين اللي رايحة تشوفيه.

ورفع سبابته في وجهها مضيئاً:

_ بسأل عادي مش شك.

فأسبلت جفنيها بتهيدة عميقة، وهي تقول:

_ من فترة بيكلموني عشان هشام البسيوني طالب

يشوفني، بس حالياً بيقولولي حالته خطيرة ولازم

أروح.

فسألها:

_ هتروحي؟

_ أيوه.

فقال بلال في إصرار:

_ تمام هأجي معاك، مش هسيبك تروحي لوحداك.

فهزت رأسها، قائلة بعنف:

_ لأ، متجيش هروح لوحدي المرة دي لازم

اواجه لوحدي، أنا مش خايفة ومش محتجالك.

وأسرعت تغادر المكان، وتوقف سيارة أجرة،
 انطلقت بها إلى المستشفى، وعندما وصلت، فتح
 باب الحجرة لها عسكري من العساكر التي كانت
 تقف أمام الباب، وعندما أغلق الباب وراءها
 أحست برجفة تسري في أوصالها، وهشام راقد في
 الفراش الطبي، بجسدٍ هزيل، ووجهٍ فقد كل
 نضارته، وقد شحب ونحف بشدة، إبر تغوص في
 أورده، وقناع اكسجين مستقر فوق أنفه وفمه،
 وجهاز قياس القلب مثبت في أصبعه، وهالها
 رؤيته بتلك الحالة، وعادت رجفة عميقة ترجف
 بدنها وهو يشير إليها بالأقرب، فدنت منه بحذر،
 ووقفت فوق رأسه بقلبٍ خافق، وانبعث صوته
 الضعيف المتهاك، كأنما يأتي من بئرٍ سحيق،
 وهو يقول بصوت متلعثم، متهدج:
 _ كنت خائف متجيش، الحمد لله إنك جيئي.

فتمتت بنبرة مرتجفة:

_ عاوزني في إيه، طالب تشوفني ليه يا هشام؟
فأنحدرت دموع غزيرة على وجنتيه راحت تتسابق
في النزول، وهو يسعل، قائلاً بضعف:

_ أنا عارف إني أذيتك كثير، ودمرتك، وعملت
حاجات كثير وحشة في حقك، عايز أقولك إن بنتي
دفعت حق كل غلطة غلطها في حقك..

عقدت إسرائء حاجبيها، وهي تسأله في هدوء:

_ مها؟! مالها حصل لها إيه..

فانتحب هشام وذاد بكأوه يبكي الصمّ الصلاب،
وفطر قلبها، وشهقت في وجل عندما أتبع يقول
من بين شهقاته:

_ ماتت، بنتي ماتت يا إسرائء، كل واحد كلت عليه
حقه، خد حقه من بنتي، اغتصبوها وموتها..

تراجعت إسرائ بظهرها ودموعها تسيل في صمت،

بينما علا نحيب هشام، وهو يستطرد:

_وأنا السرطان بياكل في جسمي أكل وصل

لمرحلة متأخرة.

وصمت فجأة بتأوه شديد، وقد مسك قلبه، وأرتج

عليه لوهلة، وقد جحظت عيناه، وعلا صفير إحدى

الأجهزة، وخفت صوته، وهو يطلب منها:

_س... سامحيني.

وشهق، شهقت الموت والأحتضار وتهدل جسده

ساکناً فوق الفراش، وقد قابلت الروح بارئها،

وفاضت من جسده، وخبى بريق الحياة من عينيه،

وصرخت هي تستغيث بالأطباء الذين أكدوا وفاته،

فغادرت المستشفى راکضة، واستقلت اول سيارة

أجرة وقعت عينها عليها، وغادرتها عند كورنيش

النيل، وأخذت تسير بمحازاة السور وهي تضم

نفسها بذراعيها، والدموع تطفق من عينيها
أبائيل.

ما أهون الحياة!

وما أبخسها؟

فيما يمكن المرء أن يضيع حياته!!

ألا يعلم أن الموت زائر لا محالة كل إنسان؟

لا أحد سيفر منه ولا يفلت؟!!

إنه الحقيقة التي يجب أن يعمل لملاقاتها كل

إنسان؟!!

وتتأهى لها صوتٍ سحيقٍ كانت بحاجة إليه، وقد
كان قلبها يناديه فلبى النداء، ونداء القلوب صدى
لا يدر به إلا العشاق، وكان بلال يناديها وهو
يركض نحوها:

إسراء.. إسراء.

فالتفتت إليه وقد حلت عقدة ساعديها، وودت لو
ترتمي في حضنه، وترأت له وقد ظلت سحابة
سوداء من الحزن وجهها الجميل، فهمه أمرها.
وخطاب ساحر ذاك الذي دار بين الأعين المتعانقة،
نظر بلال في حنو إلى الدموع المتلألاً في مقلتيها،
وهمس بصوتٍ خفيض:

_بتعطي ليهِ..

هم أن يتساءل عما حدث، وكيف دار الحوار بينها
وبين هشام، لكنها شهقت، قائلة بصوتٍ شق قلبه:

_هشام مات يا بلال.

_فسألها برفق:

_وأنتِ بتعطي ليهِ؟

فأسبلت أجفانها، وهي تقول بصوتٍ خفيض:

_عشان خايفة من الموت.

فتبسّم وقد تفعمت في عينيه كل حنان الدنيا، وهو
يهمس وقد أثر في نفسه منظرها تأثيرًا شديدًا:

وقبل ما الموت يخطف حد فينا، إيه رأيك نسرق
الدنيا قبل ما تسرقنا، وتوافقي نكمل الباقي من
عمرنا سوا، وتديني فرصة تانية، وأوعدك إنك
مش هتندمي.

وصمت وعيناه تراقبان ملامحها، وهو يسألها في
حذر:

ها توافقي.

وصممت لبرهة، حسبها حين من الدهر، حتى
تعلقت عينها بعيناه وهزت رأسها بالموافقة، ثم
تبسّمت بسمة رائعة كضوء الفجر، أو كالبدر في
ليلة تمامه، أشرقت سماء قلبه فتبسّم ثغره تلقائيًا.
وبقيا يتأملان بعضهما متبسمان، بعينين تلمعان
بالفرح، وكان البحر يموج مضرِبًا، وتتقلب مائه

كانها تخذ تلك اللحظة، والقمر من فوقهما يطل
عليهما بقرصٍ مكتمل كالسراج المنير.

لقد جرى كل منهما من الآخر مجرى الدم،
والعيون تلقي وعدًا بالبقاء أبد الدهر.

وانبعث صوت بلال رخيماً، عذباً آتياً من سويداءه
التي حلت فيه هي محل لم يحل به أحداً قبل:

_ أنتِ مني وأنا منك يا كتكوتة.

فضحكت فخفوت ضحكة رقيقة خلبت لُبه، وسلبت
قلبه الذي كان متهاهباً في تأملها، وانساب صوتها
العذب الشجي هامساً بعينين تتلألأن كعيون

النجوم:

_ وأنتَ مني وأنا منك.

وبينما كانا هائمين في سُبُل الحب التقيا أخيراً،
وجمعهما سبيلٌ محال إن يكون فيه الفراق حاضراً.

وكانت مهجته وكان الوتين.

تمت بحمد الله